محاسبة النفس اللوامة
و
تنبيه الروح النوامة

تأليف

العارف الكبير الشيخ تقي الدين إبراهيم بن علي الكفعمي
من أعلام القرن التاسع الهجري

تحقيق

الشيخ فارس الحسون

مؤسسة الفكر الإسلامي
للثقافة والإعلام
بيروت - لبنان

محاسبة النفس اللوامة
و
تنبيه الروح النوامة

بسم الله الرحمن الرحيم

محاسبة النفس اللوامة
و
تنبيه الروح النوامة

تأليف

العارف الكبير الشيخ تقي الدين إبراهيم بن علي الكفعمي
من أعلام القرن السابع الهجري

تحقيق

الشيخ فارس الحسّون

مؤسسة الفكر الإسلامي
للثقافة والإعلام
بيروت - لبنان

كافة الحقوق محفوظة ومسجلة

الطبعة الأولى

١٤١٢هـ - ١٩٩١م

حارة حريك - بئر العبد - خلف البنك اللبناني الفرنسي - ☎ : ٨٢١٢٧٤
ص. ب : ١٣/٥٩٥٣ شوران - بيروت - لبنان .

بسم اللّه الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف أنبياء الله محمّد وعلى آله الطاهرين المعصومين ، واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين .

الإنسان ما دام يحمل معه صفة الإنسانية ، ويجعلها كالقطب من الرحا في حياته ، فهو دائماً يفكّر في أنه فاقدٌ لشيءٍ عظيم لا بدّ وأن يصل إليه ليكمل ما فرضه على نفسه من حمل الإنسانية ، ألا وهو الوصول إلى الكمال والجمال الروحي والعرفان الحقيقي .

فعلى قدر ما يحمله الإنسان من الإنسانية ، يكون تفكيره للوصول إلى الكمال والجمال ، إذ نستطيع أن نقول وبكلّ صراحة : إن بين الإنسانية وبين الكمال والعرفان تساوياً ، فلا يفرق لنا أن نقول : إنسانية ، أو كمال وروح وعرفان .

لكن هنا سؤال يتبادر إلى ذهن كل طالب للحقيقة ، وهو : كيف يمكن الوصول إلى هذه المرتبة التي هي أُمنية كلّ حرّ

صاحب قلبٍ طاهرٍ نقيّ ، وفي هذا العالم الـ . . . . . .

نعم سؤال في محلّه . . . لكن تكـلّ الألسن عن جـوابـه ، تتحيّر الأقلام عن الكتابة عنه ، وتكبو بل تنكسر .

فكيف يمكن أن يصـل الإنسـان إلى مـرحلة العشق الحقيقي للحقّ ؟ مع وجود هـذه الموانـع الكثيرة في زمـاننا هـذا وعدم وجـود المربّي الروحي ، إذ الأكثـر ـ إن لم نقل الكـل ـ يريـد أن يصل إلى مرحلة من العلم من دون أن يمزجه بالعمـل والتقوى ، فهـل يا تـرى عليـه هذا ينفعـه ، ومن النـار يخلّصـه ؟ من دون التقـوى ، من دون أن يسلك المسلك العـرفانيّ ، من دون أن يجـد حلاوة العشق ولـذّة المناجاة .

نعم كيف يمكن أن يصـل الإنسـان إلى مـرحلة الإنسـانيـة ، وهو واقع في زمنٍ لا يـوجد من يـوصله إلى حكم الله الواقعي ؟ مـع وجود الشبهات الكثيـرة التي هي أحد المـوانع الـرئيسيّة المـانعة من الـوصول إلى الحقيقـة والحق ، إلى السعادة الأبـدية ، هـذا كلّه مع وجود إبليس الرجيم الذي ينتهز الفـرص لكي ينشب مخالبـه في كلّ شيء . . .

وهنـا سؤال آخر يفـرض وجوده على أذهـان العشاق والمحبّين الّذين يسألون من هذا وذاك كي يصلوا إلى الكمال والجمال .

وهو : إذن ماذا نعمل ؟ وهل توجد طريقة نستـطيع بـواسطتهـا أن نصل إلى الكمال أو نحوم حوله ؟

نعم يبقى شيئان يستطيع الإنسان بواسطتهمـا أن يبقى له رجـاءٌ

للوصول إلى مراده وهدفه العالي ، وهما :

أولاً : الالتجاء والتوسل بمن وجد الوجود لأجلهم ، بمن قدّمهم الأنبياء والأولياء في دعواتهم وتوسلاتهم ، ألا وهم أهل البيت الّذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، هم الّذين توسل بهم آدم فتاب الله عليه ، هم سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلّف عنها هلك وغرق ، هم باب حطة الّذي من دخله كان من الآمنين ، هم آل يس ، هم الذكر ، هم الراسخون في العلم ، هم آيات الله وبيناته وكتابه ، هم أُولو الأمر ، هم أنوار الله ، هم المؤمنون ، هم الأبرار والمتقون والسابقون والمقرّبون ، هم السبيل والصراط ، هم الصادقون والصديقون والشهداء والصالحون ، هم نعمة الله وفضله ورحمته ، هم حبل الله المتين والعروة الوثقى ، هم الصافّون والمسبّحون ، هم البحر واللؤلؤ والمرجان ، هم السبع المثاني ، هم العلماء ، هم الشجرة الطيبة ، هم الهداية والهدى

هُمُ النورُ نورُ اللّهِ جلّ جلالُهُ ... هُمُ التينُ والزيتونُ والشفعُ والوترُ
مهابطُ وحيِ اللّهِ خُزّانُ عِلمِهِ ... ميامينُ في أبياتِهم نَزَلَ الذِكرُ
وأسماؤُهم مكتوبةٌ فوقَ عرشِهِ ... ومكنونةٌ من قبلِ أن يُخلقَ الدرُّ
ولولاهمُ لم يخلقِ اللّه آدماً ... ولا كان زيدٌ في الأنام ولا عمرُو
ولا سُطحت أرضٌ ولا رُفعت سما ... ولا طَلعت شمسٌ ولا أشرق البدرُ
ونوحٌ به في الفُلكِ لمّا دعا نجا ... وغِيضَ به طوفانُهُ وقضيَ الأمرُ
ولولا هُم نارُ الخليلِ لما غَدَتْ ... سلاماً وبرداً وانطفى ذلك الجمرُ
ولولا همُ يعقوب ما زال حزنُهُ ... ولا كان عن أيّوبَ ينكشفُ الضرُّ

ولانَ لـداودَ الحديـدُ بسـرّهم فقـدَّرَ في سَرْدٍ يَحيـرُ بـه الفكـرُ
ولمّـا سليمانُ البسـاطُ به سـرى أُسيلت له عينٌ يَفيضُ له القـطرُ
وسُخّـرتِ الريـحُ الرخـاءُ بأمـرِهِ فَغَـدوتُهـا شهـرٌ وروحَتُهـا شهـرُ
وهُمْ سرُّموسى والعصى عندماعصى أوامرَهُ فـرعونُ والتقفَ السحـرُ
ولولاهمُ ما كان عيسى بنُ مريمٍ لعـازرَ من طيِّ اللحودِ لـه نشـرُ
سرى سرُّهم في الكائناتِ وفضلُهُمْ وكـلُّ نبيٍّ فيـه من سـرِّهم سـرُّ

فـلا بد لكـلّ من يريـد الوصـول إلى المراتب الـراقيـة من أن يقـدّم هؤلاء الكرام في دعـواته إلى الله ويتـوسل بهم ، فـإنّـه السبب الأساسيّ الّذي يبقي للإنسان الـرجاء للوصـول إلى أُمنيته السـامية ، وأحسن ما يذكرهم به هو زيارتهم بالزيارة الجامعـة الكبيرة ، وزيـارة عاشوراء مع اللعن والسلام الكامل كمـا أكّد عليهمـا قائم آل محمّـد (عليـه وعليهم السلام) ، مـع صلاة النـافلة في قصة السيـد الـرشتي المشهورة .

ثانياً : محاسبة النفس كلّ يوم وليلةٍ بـل كلّ آنٍ ولحـظةٍ ، لأن النفس أمارةٌ بالسوء تتّبع الهـوى بل تتخـذه إلهاً . فبـالمحاسبـة ينجو الغـارق ويتدارك المفـرّط عثراتـه ويتذكّـر فارط زلّاتـه ، وبالمحـاسبة يستـطيع الشخص الّـذي يريـد أن يصل إلى أُمنيتـه الشاقـة المصعـد والمرتقى أن يبقى له رجاء للوصول إليها أو الحوم حولها .

نعم المحاسبة لها دور فعّال وأساسيّ في تربيـة الروح وتصفيـة القلب ، وفضلهـا لا يكاد ينكـره ذو لبّ ، وقد وردت عـدة أحـاديث عن النبي وآله (عليهم السلام) في فضلها والتأكيد عليها .

فعن النبي (صلّى الله عليه وآله وسلم) أنّه بعث بسريّةٍ فلمّا رجعوا قال : مرحباً بقومٍ قضَوا الجهاد الأصغر وبقيَ عليهمُ الجهاد الأكبر ، قيل : يا رسول الله وما الجهاد الأكبر ؟ قال : جهاد النفس[1] .

وعن عليّ (عليه السلام) في وصيته عند وفاته وهي طويلة وفيها :

والله الله في الجهاد للأنفس فهي أعدى العدوّ ، فإنّه قال الله تبارك وتعالى : ﴿**إِنَّ النَّفْسَ لأَمّارَةٌ بالسُّوءِ إلّا ما رَحِمَ رَبِّي**﴾[2] . وإن أول المعاصي تصديق النفس والركون إلى الهوى[3] .

وعن الباقر (عليه السلام) أنّه قال في وصيته لجابر الجعفي (رضوان الله عليه) : . . . إن المؤمن معنيٌّ بمجاهدة نفسه ليغلبها على هواها ، فمرة يقيم أودها ويخالف هواها في محبة الله ، ومرَّة تصرعه نفسه فيتّبع هواها ، فينعشه الله فينتعش ويقيل الله عثرته فيتذكر ، ويفزع إلى التوبة والمخافة فيزداد بصيرة ومعرفة لما زيد فيه من الخوف . . . ولا فضيلة كالجهاد ولا جهاد كمجاهدة الهوى . . .[4] .

وعن أبي حمزة الثمالي (رضوان الله عليه) أنه قال : كان عليّ بن الحسين زين العابدين (عليه السلام) يقول : ابن آدم ،

---

(١) الكافي ٥ : ١٢ حديث ٣ ، معاني الأخبار : ١٦٠ ، وفيه : وقال (عليه السلام) : أفضل الجهاد من جاهد نفسه .

(٢) يوسف ١٢ : ٥٣ .

(٣) دعائم الإسلام ٢ : ٣٥٢ حديث ١٢٩٧ .

(٤) تحف العقول : ٢٨٤ .

إنّك لا تزال بخيرٍ ما كان لك واعظٌ من نفسك ، وما كانت المحاسبة لها من همّك ، وما كان الخوف لك شعاراً والحزن لك دثاراً ، إنّكَ ميت ومبعوث وموقوف بين يدي الله عزّ وجلّ فَأعدَّ جواباً[1] .

وعن عليّ (عليه السلام) أنّه قال : النفس مجبولة على سوء الأدب ، والعبد مأمور بملازمة حسن الأدب ، والنفس تجري بطبعها في ميدان المخالفة ، والعبد يجهد بردّها عن سوء المطالبة ، فمتى أطلق عنانها فهو شريك في فسادها ، ومن أعان نفسه في هوى نفسه فقد أشرك نفسه في قتل نفسه[2] .

وروي أنه دخل على رسول الله (صلّى الله عليه وآله) رجل اسمه مجاشع ، فقال : يا رسول الله كيف الطريق إلى معرفة الحقّ ؟ فقال (عليه السلام) : معرفة النفس ، فقال : يا رسول الله كيف الطريق إلى موافقة الحقّ ؟ قال : سخط النفس ، فقال : يا رسول الله فكيف الطريق إلى وصل الحقّ ؟ قال هجر النفس ، فقال : يا رسول الله فكيف الطريق إلى طاعة الحقّ ؟ قال : عصيان النفس ، فقال : يا ر سول الله فكيف الطريق إلى ذكر الحقّ ؟ قال : نسيان النفس ، فقال : يا رسول الله فكيف الطريق إلى قرب الحقّ ؟ قال : التباعد عن النفس ، فقال : يا رسول الله فكيف الطريق إلى أُنس الحقّ ؟ قال : الوحشة من النفس ،

---

(١) أمالي المفيد : ١١٠ .

(٢) مشكاة الأنوار : ٢٤٧ .

فقال : يا رسول الله كيف الطريق إلى ذلك ؟ فقال : الاستعانة بالحقّ على النفس[1] .

وعن الصادق (عليه السلام أنه قال : من ملك نفسه إذا رغب وإذا رهب وإذا اشتهى وإذا غضب حرّم الله جسده على النار[2] .

وعن النبيّ (صلّى الله عليه وآله) أنه قال : سيأتي على الناس زمان لا يُنال الملك فيه إلا بالقتل والتجبّر ، ولا الغنى إلا بالغصب والبخل ، ولا المحبة إلا باستخراج الدين واتباع الهوى ، فمن أدرك ذلك الزمان فصبر على الفقر وهو يقدر على الغنى ، وصبر على البغضة وهو يقدر على المحبّة ، وصبر على الذّل وهو يقدر على العزّ ، آتاه الله ثواب خمسين صدّيقاً ممن صدّق بي[3] .

وعن أبي عبد الله الصادق أنه قال : إن قدرتم أن لا تعرفوا فافعلوا ، وما عليك إن لم يثنِ الناس عليك ، وما عليك أن تكون مذموماً عند الناس إذا كنت محموداً عند الله تبارك وتعالى ! إن أمير المؤمنين (عليه السلام) كان يقول : لا خير في الدنيا إلّا لأحد رجلين : رجلٌ يزداد فيها كلّ يوم إحساناً ، ورجلٌ يتدارك منيّته بالتوبة ، وأنّى له بالتوبة ؟ فوالله أن لو سجد حتى ينقطع عنقه ما

(١) عوالي اللئالي ١ : ٢٤٦ حديث ١ .
(٢) ثواب الأعمال : ١٩٢ .
(٣) الكافي ٢ : ٩١ حديث ١٢ .

قبل الله عزّ وجلّ منه عملاً إلاّ بولايتنا أهل البيت ، ألا ومن عرف حقنا أو رجا الثواب بنا ورضيَ بقوته نصف مدّ في كلّ يوم وما يستر عورته وما أكنّ به رأسه ، وهُمْ مع ذلك والله خائفون وجلون ودّوا أنه حظّهم من الدنيا ، وكذلك وصفهم الله عزّ وجلّ حيث يقول : ﴿وَالّذينَ يُؤتُونَ ما أتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾[1] ما الّذي أتوا ؟ أتوا والله بالطاعة مع المحبّة والولاية ، وهم في ذلك خائفون أن لا يقبل منهم ، وليس والله خوفهم خوف شكّ فيما هم فيه من إصابة الدين ، ولكنّهم خافوا أن يكونوا مقصّرين في محبتنا وطاعتنا . . .[2].

فتبيّن لنا من هذه الأحاديق أهميّة المحاسبة لمن يريد الوصول إلى كمال الإنسانية والعرفان الحقيقي والروح الصافية ، وعدم إمكان الاستغناء عنها .

لكن يختلج في الذهن سؤال لطيف ، وهو : كيف نحاسب أنفسنا ؟

روي عن أبي عبد الله (عليه السلام) في وصيته لابن جندب (رضوان الله تعالى عليه) : . . . يا ابن جندب ، حقٌّ على كلّ مسلمٍ يعرفنا أن يعرض عمله في كلّ يومٍ وليلةٍ على نفسه فيكون محاسبَ نفسه ، فإن رأى حسنةً استزاد منها وإن رأى سيئةً استغفر منها لئلاّ يخزى يوم القيامة[3] .

---

(١) المؤمنون ٢٣ : ٦٠ .

(٢) الكافي ٨ : ١٢٨ حديث ٩٨ .

(٣) تحف العقول : ٣٠١ .

وروي عن علي (عليه السلام) عن النبيّ (صلّى الله عليه وآله) أنه قال : أكيس الكيسين من حاسب نفسه وعمل لما بعد الموت ، فقال رجل : يا أمير المؤمنين كيف يحاسب نفسه ؟ قال : إذا أصبح ثمّ أمسى رجع إلى نفسه وقال :

يا نفسي ، إنّ هذا يومٌ مضى عليكِ لا يعود إليكِ أبداً ، والله يسألكِ عنه : بما أفنيتِهِ ؟ فما الّذي عملتِ فيهِ ؟ أذكرتِ الله أم حمدتِهِ ؟ أقضيتِ حوائج مؤمن فيهِ ؟ أنفّستِ عنه كربةً ؟ أحفظتِهِ بظهر الغيب في أهله وولدهِ ؟ أحفظتِهِ بعد الموت في مخلّفيهِ ؟ أكففتِ عن غيبة أخٍ مؤمنٍ ؟ أأعنتِ مسلماً ؟ ما الّذي صنعتِ فيهِ ؟

فيذكر ما كان منه ، فإن ذكر أنّه جرى منه خيرٌ حمد الله وكبّره على توفيقه ، وإن ذكر معصية أو تقصيراً استغفر الله وعزم على ترك معاودته[1] .

فلا بدّ للعاقل وأن يقسّم وقته : فوقتٌ يناجي فيه ربّه ، وآخر يتفكّر فيه في صنع الله ، ووقت يخلو فيه بحظ نفسه من الحلال ، وآخر يحاسب نفسه فيه .

فيعيّن وقتاً خاصّاً يتكلّم فيه مع نفسه ويخاطبها وينبّهها ويحثّها ويؤنّبها ويوبّخها ، كما ورد في الحديث السابق . وهذه الطريقة من أحسن طرق محاسبة النفس ، ولها الأثر البالغ والسريع ، وأول من اقتفى هذه الطريقة هو شيخنا الأمير الزاهد

---

(١) وسائل الشيعة ١١ : ٣٧٩ حديث ٨ نقلاً عن التفسير المنسوب للإمام العسكري (عليه السلام) .

ورّام بن أبي فراس الأشتري ، حيث ذكر في مجموعته : فإذا أصبح العبد وفرغ من فريضة الصبح ينبغي أن يفرغ قلبه ساعة لمشارطة النفس ، كما أنّ التاجر عند تسليم البضاعة إلى الشريك يفرغ المجلس لمشارطته ، فيقول للنفس :

ما لي بضاعةٌ إلّا العمر ومهما فني رأس المال حصلتِ الخسارَة ، ووقع اليأس من التجارة . وهذا اليوم الجديد قد أمهلني الله تعالى فيه ، وأنسأ في أجلي وأنعم عليّ بهِ . ولو توفّاني لكنتُ أتمنّى أن يرجعني إلى الدنيا يوماً واحداً ، حتّى أعمل فيه صالحاً . فاحسبي أنّكِ توفيتِ ، ثمّ رددتِ . فإيّاكِ ثمّ إيّاكِ أن تضيّعي هذا اليوم ، فإنّ كلّ نفسٍ من الأنفاس جوهرةٌ لا قيمة لها . . .[1] .

وذكر شيخنا النوري الطبرسي في كتابه دار السلام بعد ذكر حديث الصيرفيّ : فإذا كان هذا حال الإمام (عليه السلام) في حزنه على ما يرد على الشيعة في غيبتهِ ، فبالحري للمؤمن المبتلى بتلك الهلكة أن يطول حزنه ولا ينام في ليلتهِ . ويتأسف دائماً في غيبة إمامهِ ، ويتحسر لفراقه في آناء ليله وأطراف أيامهِ . ويناجي ربه تارة ويقول : . . . ويخاطب نفسه مرة ويقول :

ويحكِ يا نفسُ ، إن كنتِ قد حُرمتِ عنِ النظرة إلى تلك الطلعة الرشيدةِ ، والغرّة الحميدةِ . ومُنعتِ عن الاقتباس من أنوار علومه الإلهيةِ ، وحكمته المحمديةِ . بمرأى من الناس ومسمعٍ منهمْ ، ومحضرٍ من الخلق ومشهدٍ لهم . لمصالح وحكم تدور

---

(١) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر ١ : ٢٣٣ .

عليها نظام العالم ، لكن أبواب الوصول إليه مفتوحة ، ومناهل الظماء لديه مترعةٌ . دخلها قومٌ لم يسلكوا غير طريقتهم ، وشرب منها زمرةٌ لم يشربوا من غير آنيتهمْ . فارجعي البصر كرتيْن ، تريهم بين الناس مختفينْ . وقد أشرنا إلى بعضهم في مطاوي هذا الكتاب ، ولعل الله يوفقنا لاستقصاء جماعةٍ منهم في رسالة منفردة تحن إليها قلوب أُولي الألبابِ . فلو شابهتِهم في الأعمال والأقوالِ ، وصرتِ كأحدهم في الأفعال والأحوالِ ، كنتِ معهم عند تقسيم هذا النوالِ . لكنّكِ تدثرتِ بجلباب أعدائهِ ، وأنختِ راحلتكِ بغير فنائهِ . تصبحين وتمسين ولا يجري ذكره على قلبكِ ولسانكِ ، وتبتغين مرضاة ربّ العالمين وفضله ولا تقدميه في إمامكِ . فاتخذتِهِ وراءك ظهريّاً ، فكأنّه (عليه السلام) صار نسياً منسيّاً . فصرتِ محرومةً من خصائص لطفهِ ، ونفحات رحمتهِ . فابكِ طويلاً فقد عظم المصاب وطال العذاب ، وإلى الله المشتكى من اتصال الغفلة وسوء المآبْ[1] .

وشيخنا الكفعمي ـ مؤلف هذا الكتاب ـ أيضاً أخذ هذه الطريقة وانتهجها لما فيها من الأثر الوضعي في القلب وتقوية الروح ، فجعل كتابه مخاطبة للنفس وتنبيهاً لها ، فالكتاب حوار بين القوة العقلائية والقوة الشهوانية ، بين القلب والهوى ، بين الروح الطاهرة والنفس الأمّارة . فعلى كلّ من يريد الوصول إلى الحقّ والحقيقة والجمال الروحي أن يحاسب نفسه الأمّارة ويخاطبها بهذه العبارات حتى يصرعها ويجعلها خاضعةً إلى القوة العقلائية

(١) دار السلام فيما يتعلق بالرؤيا والمنام ٤ : ٩٢ ـ ٩٤ .

ويجعلها مسيَّرةً لا مسيِّرةً ، فحينئذ يشملها الخطاب الربانيّ : ﴿**يا أَيَّتُها النَّفْسُ المُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إلى رَبِّك راضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبادِي وادْخُلِي جَنَّتِي**﴾[1] .

المؤلف :

الشيخ تقيّ الدين إبراهيم بن عليّ بن الحسن بن محمد بن صالح بن إسماعيل ، الكفعمي مولداً اللويزي محتداً الجبعي أباً[2] .

أحد أعيان القرن التاسع الجامعين بين العلم والأدب ، والكمال والعرفان ، والزهد والعبادة . ويُحكى في كثرة عبادته : أنه كان يقوم بجميع العبادات المذكورة في مصباحه ، وتقوم زوجته بما لا يتّسع له وقته منها .

مشايخ إجازته الذين يروي عنهم :

يروي الشيخ الكفعمي عن :

والده الشيخ زين الدين علي بن الحسن ، وكان من أعاظم الفقهاء والورعين ، وقد ينقل عنه في كتابيه الكبيرين ، معبراً عنه : بالفقيه الأعظم الأورع .

---

(١) الفجر ٨٩ : ٢٧ ـ ٣٠ .

(٢) الكفعمي : نسبة إلى كفر عيما ، قرية من ناحية الشقيف في جبل عامل قرب جبشيت ، واقعة في سفح الجبل مشرفة على البحر ، واللويزي : نسبة إلى اللويزة ، قرية في جبل عامل ، ويقال : اللويزاوي أيضاً من باب زيادات النسب ، والجبعي نسبة إلى جبع ، ويقال : جباع بالمد ، وهي قرية على رأس جبل عامل ، ويقال أيضاً : الجباعي من باب زيادات النسب .

أخيه الشيخ شمس الدين محمد صاحب كتاب زبدة البيان في عمل شهر رمضان .

السيد الشريف الفاضل حسين بن مساعد الحسيني الحائري صاحب كتاب تحفة الأبرار في مناقب الأئمة الأطهار .

الشيخ زين الدين البياضي صاحب كتاب الصراط المستقيم .

السيد الحسيب علي بن عبد الحسين الموسوي الحسيني صاحب كتاب رفع الملامة عن عليّ في ترك الإمامة ، وكان بينهما مكاتبات ومراسلات بالنظم والنثر .

أقوال العلماء في حقّه :

المحدث الحرّ العاملي : كان ثقةً فاضلاً شاعراً عابداً زاهداً ورعاً [أمل الآمل ١ : ٢٨] .

العلّامة المجلسي : من مشاهير الفضلاء والمحدثين والصلحاء المتورعين [أعيان الشيعة ٢ : ١٨٥] نقلاً عن تكملة الرجال لعبد النبي الكاظمي ، حيث ذكر أنه نقله عن خط الشيخ المجلسي] .

العلّامة المجلسي : وكتبُ الكفعمي أغنانا اشتهارها وفضل مؤلفها عن التعرض لحالها وحاله [البحار ١ : ٣٤] .

المولى عبد الله الأفندي : العالم الفاضل الكامل الفقيه المعروف بالكفعمي ، من أجلة علماء الأصحاب . . . له يد طولى

في أنواع العلوم سيّما العربية والأدب ، جامع حافل كثير التتبع في الكتب [رياض العلماء ١ : ٢١] .

العلّامة الخوانساري : الشيخ العالم الباذل الورع الأمين والثقة النقة الأديب الماهر المتقن المتين [روضات الجنات ١ : ٢٠] .

المحدّث القمي : كان ثقةً فاضلاً أديباً شاعراً عابداً زاهداً ورعاً [الكنى والألقاب ٣ : ٩٥] .

العلّامة المامقاني : من مشاهير الفضلاء والمحدّثين والصلحاء والمتورعين ، وكان بين زماني الشهيدين رحمهما الله ، ووصفه في فهرست الوسائل بالورع ، وعدالته لا تكاد تحتاج إلى بيان [تنقيح المقال ١ : ٢٧] .

السيد الأمين : وكان واسع الاطلاع طويل الباع في الأدب سريع البديهة في الشعر والنثر كما يظهر من مصنفاته خصوصاً من شرح بديعيته ، حسَنُ الخط [أعيان الشيعة ٢ : ١٨٥] .

السيد الصدر : هو العالم الكامل المعروف بالكفعمي [تكملة الأمل : ٧٦] .

العلّامة الأميني : أحد أعيان القرن التاسع الجامعين بين العالم والأدب الناشرين لألوية الحديث والمستخرجين كنوز الفوائد والنوادر ، وقد استفاد الناس بمؤلفاته الجمّة وأحاديثه المخرجة وفضله الكثير ، كل ذلك مشفوع منه بورع موصوف وتقوى في ذات الله إلى ملكات فاضلة ونفسيّات كريمة ، حلّى جيد زمنه

بقلائدها الذهبية ، وزيّن معصمه بأسورتها وجلّل هيكله بأبرادها القشيبة ، وقبل ذلك كلّه نسبه الزاهي بأنوار الولاية المنتهي إلى التابعي العظيم الحارث بن عبد الله الأعور الهمداني ، ذلك العلوي المذهب العليّ شأنه الجليّ برهانه الذي هو من فقهاء الشيعة . . . [الغدير ١١ : ٢١٣] .

المقري : وما رأيت مثله في سعة الحفظ [أعيان الشيعة ٢ : ١٨٥ نقلاً عن نفح الطيب ٤ : ٣٩٧] .

الزركلي : أديب من فضلاء الامامية . . . له نظم ونثر [الاعلام ١ : ٥٣] .

كحالة : مفسّر محدّث فقيه أديب وشاعر [معجم المؤلفين ١ : ٦٥] .

مولده ووفاته :

لم يذكر أحد ممن ترجم الشيخ الكفعمي من الأوائل تاريخ ولادته ووفاته ، على عادة أصحابنا في التهاون بتاريخ المولد والوفاة ومعرفة الطبقات بل مطلق التاريخ ، مع محافظة غيرهم على ذلك مع ما فيه من الفوائد .

وما حدّده بعض العلماء من تاريخ ولادته ووفاته استناداً إلى بعض القرائن ، فهو إلى الحدس أقرب منه إلى الحس .

بل ما ذكره السيد الأمين في [الأعيان ٢ : ١٨٤] من أنه : ولد سنة ٨٤٠ كما استفيد من أُرجوزة له في علم البديع ذكر فيها

أنه نظمها في سنّ الثلاثين ، وكان الفراغ من الأُرجوزة سنة ٨٧٠ . فهو بعيد عن الصواب جداً ، لأن السيد الأمين نفسه قال في [الأعيان ٢ : ١٨٥] وجد بخطه ـ أي الكفعمي ـ كتاب دروس الشهيد قدس سره فرغ من كتابته سنة ٨٥٠ وعليه قراءته وبعض الحواشي الدالة على فضله . وعدّ في [ص ١٨٦] من تآليفه كتاب حياة الأرواح ، وقال : فرغ من تأليفه سنة ٨٤٣ .

قال السيد حسن الصدر في [تكملة الأمل : ٨١] وفرغ من نسخ كتاب الدروس للشهيد ـ وهو عندي بخطه وعليه قراءته وبعض حواشيه ـ ٨٥٠ ، ولا أظنه ينقص عن الثلاثين عند فراغه من الدروس ، فيكون يوم فراغه من المصباح في حدود ٧٥ .

وقال المولى الأفندي في [الرياض ١ : ٢٢] وله مجموعة كثيرة الفوائد مشتملة على مؤلفات عديدة رأيتها بخطه في بلدة إيروان من بلاد آذربايجان ، وكان تاريخ إتمام كتابة بعضها سنة ٨٤٨ لخمس بقين من شهر رمضان ، وتاريخ بعضها سنة ٨٤٩ ، وتاريخ بعضها ٨٥٢ .

وعلى قول السيد الأمين يكون الشيخ الكفعمي عند فراغه من تأليف المصباح ابن ٥٥ سنة ، مع أنا نراه في قصيدته الرائية في مدح أمير المؤمنين (عليه السلام) المذكورة في [المصباح : ٧١٠] يقول :

بحقّكَ مولايَ فاشفعْ لمن أتاكَ بمدحِ شفاء الصدور

هــو الجبعيّ المسـيء الفـقيـر إلى رحمــات الـرحيم الغفــور
مِن الحسنــات خــلا قــدحــه فمــا من فتيــلٍ ولا من نقيــر
خــطايـاه تحكي رمــال الفـلاة ووزن الــلكــام وأُحــدٍ وثــور
وشــيــخ كــبــيــر لــه لــمــةٌ كســاهـا التعمّــرُ ثـوب القتيــر

فمجموع ما ذكرناه يعـطينا خبـراً أن المترجم لـه كان في سنـة ٨٤٣ مؤلّفاً صاحب رأي ونظر يثني على تآليفه الأساتـذة الفطاحـل ، وأنه حينما ألف المصباح سنة ٨٩٤ كان شيخاً هرماً كبيراً .

ومـا استظهـره العلامـة الـطهـراني من القـرائن في [الـذريعـة ٣ : ٧٣ و ١٤٣] من أنه ولد سنة ٨٢٨ ، فهو فلا يخلو من بعد .

وذكـر الحاج خليفـة في [كشف الظنـون ٢ : ١٩٨٢] أنه تـوفي سنـة ٩٠٥ ، وكذا ذكـره العلاّمـة الـطهـراني في [الـذريعـة ٧ : ١١٥ و ٣ : ٧٣ و ١٤٣] تبعــاً لصـاحب كشف الــظنـون . وفي [الأعيــان ٢ : ١٨٤] وفي الـطليعة أنـه تـوفي في سنـة ٩٠٠ . وعلى كـل حـال فالقدر المتيقن أنه ولد أوائل القرن التاسع في قرية كفر عيما .

وأقـام الشيخ الكفعمي مـدةً في كـربـلاء المقـدسـة ، وعمـل لنفسـه في كربـلاء أزجاً لـدفنه بـأرض الحسين (عليـه السـلام) التي تسمّى عقيـراً ، فـأنشـد ـ وهـو وصيّـةٌ منـه إلى أهله وإخــوانـه ـ في ذلك :

سـألتكم بـاللّه أن تـدفنـوني إذا متّ في قبـرٍ بـأرض عقيــرِ
فـإنّي به جـار الشهيـد بكـربـلا سليـل رسـول اللّه خيــر مجيـرِ
فإني به في حفـرتي غير خـائفٍ بــلا مـريــةٍ من منكــرٍ ونكيــرِ

أمنت بـه في مـوقفي وقيـامتي إذا الناس خافوا من لظى وسعيرِ
فإنّي رأيت العُرب تحمي نزيلها وتمنعـه من أن ينـال بضيـرِ
فكيف بسبط المصطفى أن يذودمَن بحـائـره غـاوٍ بغيـر نصيـرِ

ثم عاد إلى جبل عامل وتوفي بها ، ووفاته إما في آخر القرن التاسع أو أوائل القرن العاشر ، والله أعلم . ودفن في قرية جبشيت ، من قرى جبل عامل ، ثم خربت القرية فنزح أهلها منها وأصبحت محرثاً ، فلما خربت اختفى قبره بما تراكم عليه من التراب ، ولم يزل مستوراً بالتراب إلى ما بعد المائة الحادية عشرة لا يعرفه أحد ، فظهر عند حرث تلك الأرض وعرف بما كتب عليه ، وهو : هذا قبر الشيخ إبراهيم بن علي الكفعمي رحمه الله .

قال المولى الأفندي في [الرياض ١ : ٢٢] وحكى لي بعض أفاضل الثقات من سادات جبل عامل ـ متعنا الله بدوام عمره وإفضاله ـ عن بعض ثقات أهل تلك النواحي من عجيب ما اتفق فيهم قريباً من هذه الأعصار ، أن حرّاثاً منهم كان يكرب الأرض بثوره ، فاتفق أن اتصل رأس جارّته حين الكراب بصخرة عظيمة اقتلعها من الأرض ، فإذا هو من تحتها بجثمان مكفون قد رفع رأسه من التراب كالمتحيّر الفَرِق المستوحش ، ينظر مرّةً عن يمينه وأُخرى عن شماله ويسأل من كان عنده : هل قامت القيامة ؟ ثم سقط على وجهه في موضعه ، فأُغمي على الراعي من عظم الواقعة ، فلما أفاق من غشيته وجعل يبحث عن حقيقة الأمر رأى مكتوباً على وجه تلك الصخرة صفة صاحب العنوان : هذا [قبر]

إبراهيم بن علي الكفعمي رحمه الله .

وقال السيد حسن الصدر في [تكملة الأمل : ٧٦] وحدثني بعض الأجلّة الثقات أن قبره كان مخفياً وظفر به في المائة الحادية عشرة ، وله حكاية غريبة مشهورة ، وأيضاً قد روى هذه الحكاية سيدنا آية الله العلامة صدر الدين العاملي عن بعض الثقات من أهل البلاد .

وقال السيد الأمين في [الأعيان ٢ : ١٨٤] : وبعض الناس يروي لظهوره حديثاً لا يصح ، وهو : أن رجلاً كان يحرث فعلقت جارّته بصخرة فانقلعت فظهر من تحتها الكفعمي بكفنه غضاً طرياً فرفع رأسه من القبر كالمدهوش والتفت يميناً وشمالاً ، وقال : هل قامت القيامة ؟ ثم سقط ، فأُغمي على الحارث ، فلما أفاق أخبر أهل القرية فوجدوه قبر الكفعمي وعمّروه ، وقد سرى تصديق هذه القصة إلى بعض مشاهير علماء العراق ، والحقيقة ما ذكرناه ، ويمكن أن يكون الحارث الذي عثر على القبر زاد هذه الزيادة من نفسه فصدقوه عليها . انتهى .

وحكمه هذا ـ أي : عدم صحة الواقعة ، وإمكان أن يكون الحارث زاد هذه الزيادة من نفسه ـ في غير محلّه ، إذ لا استبعاد من وقوع مثل هذه الواقعة ، بالأخص من الشيخ الكفعمي شيخ العارفين ، فهل يستبعد العقل أن يجعل الله هذه الكرامة للشيخ الكفعمي ليبيّن فضله للناس ؟ وما حاجة الحارث إلى اختلاق هذه القصة ؟!

آثاره :

قال المولى الأفندي في [الرياض ١ : ٢١]: ثم له ـ عفا الله عنه ـ يد طولى في أنواع العلوم سيما العربية والأدب ، جامع حافل كثير التتبع في الكتب ، وكان عنده كتبٌ كثيرةٌ جداً ، وأكثرها من الكتب الغريبة اللطيفة المعتبرة ، وسماعي أنه قدس سره ورد المشهد الغروي وأقام به وطالع في كتب خزانة الحضرة الغروية ، ومن تلك الكتب ألف كتبه الكثيرة في أنواع العلوم المشتملة على غرائب الأخبار ، وبذلك صرح في بعض مجاميعه التي رأيتها بخطه . انتهى .

فمن مؤلفاته القيمة :

١ ـ البلد الأمين والدرع الحصين ، كتاب كبير أكبر من المصباح ألّفه قبله ، ينقل منه العلامة المجلسي في البحار ، وضمّنه مضافاً إلى الأدعية والعوذ والأحراز والزيارات والسنن والآداب وغيرها أدعية الصحيفة السجادية ، وألحق به عدة رسائل منها : محاسبة النفس ، والمقام الأسنى .

٢ ـ تاريخ وفيات العلماء .

٣ ـ تعليقات على كشف الغمة .

٤ ـ التلخيص في مسائل العويص ، والمسائل العويص للشيخ المفيد .

٥ ـ الجنّة الواقية والجنّة الباقية ، المعروف بمصباح الكفعمي

لسبقه بمصباح المتهجد للشيخ الطوسي ، وعلى منواله نسج الكفعمي ، وهو كبير كثير الفوائد ، وعليه حواشٍ لطيفة للمصنف ، وضمّنه عدة رسائل منها المقام الأسنى ، فرغ منه سنة ٨٩٥ هـ .

٦ ـ الجنة الواقية ، وهو مختصر للمصباح لطيف ، وتردد الشيخ المجلسي في نسبة الكتاب للكفعمي ، فقال في [البحار ١ : ١٧] وكتاب الجنة الواقية لبعض المتأخرين ، وربما ينسب إلى الكفعمي ، وكذا تأمّل المولى الأفندي في [الرياض ١ : ٢٣] في نسبة الكتاب للكفعمي .

٧ ـ حجلة العروس .

٨ ـ حديقة أنوار الجنان الفاخرة وحدقة أنوار الجنان الناظرة .

٩ ـ الحديقة الناضرة .

١٠ ـ حياة الأرواح ومشكاة المصباح ، مجموع لطيف لا يملّ أحد من دوام مطالعته ، فهو بالحقيقة حياة الأرواح ، مشتمل على ٧٨ باباً في اللطائف والأخبار والآثار والآداب والمواعظ والأوامر والنواهي ، فرغ من تأليفه سنة ٨٤٣ وقيل : ٨٥٤ .

١١ ـ الرسالة الواضحة في شرح سورة الفاتحة .

١٢ ـ زهر الربيع في شواهد البديع .

١٣ ـ صفوة ـ صفو ـ الصفات في شرح دعاء السمات ، ذكر فيه سند هذا الدعاء وروايته وفضله ، ثم ذكر جملة من ألفاظ

الدعاء ثم شرحها ، فرغ منه سنة ٨٧٥ ، وذكر السيد الأمين اسم الكتاب : سفط الصفات ، واستظهر أن صفوة الصفات تصحيف .

١٤ ـ العين المبصرة .

١٥ ـ فرج الكرب وفرح القلب ، في علم الأدب بأقسامه يقرب من عشرين ألف بيت . والبيت : السطر المحتوي خمسين حرفاً ـ وذكر العلامة الطهراني في [الذريعة ١٤ : ٣١] أن كتاب فرج الكرب هو شرح البديعية في مدح خير البرية لصفيّ الدين الحلي المتوفي سنة ٧٥٠ .

١٦ ـ الفوائد الطريفة ـ الشريفة ـ في شرح الصحيفة .

١٧ ـ قراضة النضير في التفسير ، ملخص من مجمع البيان للطبرسي .

١٨ ـ الكوكب الدريّ ، وقيل : الكواكب الدرية .

١٩ ـ اللفظ الوجيز في قراءة الكتاب العزيز .

٢٠ ـ لمع البرق في معرفة الفرق ، وهو نفس فروق اللغة ، كتاب جليل في موضوعه يدلّ على تبحر مصنفه في علم اللغة .

٢١ ـ مجموع الغرائب وموضوع الرغائب ، على نمط الكشكول ، قال في آخره : جمعته من كتابنا الكبير الذي ليس له نظير ، جمعته من ألف مصنف ومؤلف .

٢٢ ـ محاسبة النفس اللوامة وتنبيه الروح النوامة ، وهو هذا الكتاب الماثل بين يديك .

٢٣ ـ مشكاة الأنوار ، وهو غير مشكاة الأنوار لسبط الشيخ الطبرسي .

٢٤ ـ المقام الأسنى في تفسير الأسماء الحسنى ، ألحقه المصنف بالبلد الأمين والمصباح ، وقد أنهيت تحقيقه منذ زمن ، وسيطبع عن قريب إن شاء الله تعالى .

٢٥ ـ ملحقات الدروع الواقية .

٢٦ ـ المنتقى في العوذ والرقى .

٢٧ ـ النخبة .

٢٨ ـ نهاية الأرب ـ الأدب ـ في أمثال العرب ، كبير في مجلدين لم ير مثله في معناه .

٢٩ ـ نور حدقة البديع ونور حديقة الربيع ، في شرح بديعيته المشهورة .

قال المولى الأفندي في [الرياض ١ : ٢٢] وله مجموعة كبيرة كثيرة الفوائد مشتملة على مؤلفات عديدة ، رأيتها بخطه في بلدة إيروان من بلاد آذربايجان ، وكان تاريخ إتمام كتابة بعضها سنة ٨٤٨ لخمس بقين من شهر رمضان ، وتاريخ بعضها سنة ٨٤٩ ، وتاريخ بعضها سنة ٨٥٢ ، وكان فيها عدة كتب من مؤلفاته أيضاً ، منها :

كتاب اختصار الغريبين ، للهروي .
وكتاب اختصار مغرب اللغة ، للمطرزي .

واختصار كتاب غريب القران ، لمحمد بن عزيز السجستاني .

وكتاب اختصار جوامع الجامع ، للشيخ الطبرسي .

واختصار كتاب تفسير علي بن إبراهيم .

واختصار زبدة البيان مختصر مجمع البيان للطبرسي ، للشيخ زين الدين البياضي .

واختصار علل الشرائع ، للصدوق .

واختصار القواعد الشهيدية .

واختصار كتاب المجازات النبوية ، للسيد الرضي .

واختصار كتاب الحدود والحقائق في تفسير الألفاظ المتداولة في الشرع وتعريفها . . .

ثم من مؤلفاته أيضاً : كتاب مختصر نزهة الألبّاء في طبقات الأُدباء تأليف كمال الدين عبد الرحمن بن محمد بن سعيد الأنباري .

وله أيضاً : اختصار كتاب لسان الحاضر والنديم . انتهى .

وله أيضاً شعر كثير وقصائد طوال وأراجيز جيدة وخطب مسجعة .

فله القصيدة البديعية الميمية المشتملة على أنواع المحسنات الشعرية المذكورة في علم البديع اللفظية منها والمعنوية ، وقد شرحها شرحاً يظهر منه كماله في الأدب ، وختمها بخطبة غراء في مدح سيد البرية .

ولـه قصيدة في مـدح أمير المؤمنين (عليـه السـلام) تبلغ ١٩٠ بيتاً أنشدها عند قبره الشريف لما زاره يذكر فيها يوم الغدير .

وله أُرجوزة في ١٣٠ بيتاً في الأيام المستحب صومها .

ولـه أُرجـوزة ألفيـة في مقتـل الحسين وأصحـابـه بـأسمـائهم وأشعـارهم ، قال في كتـاب فرج الكـرب وفـرح القلب : لم يصنف مثلها في معناها ، مأخوذة من كتب متعددة ومظان متبددة .

حول الكتاب :

اسم الكتاب : مُحاسَبَةُ النَّفْسِ اللوّامةِ وَتَنْبِيهُ الرُّوحِ النَّوّامَةِ . ولم يـذكره المصنف صـريحاً في مقـدمـة الكتـاب ، بـل أشـار إليـه بقـولـه : . . . فحقٌّ على كـلّ ذي علم ، وحتمٌ على كـلّ ذي حـزم مُحاسَبَةُ النَّفْسِ اللوّامَةِ وَتَنْبِيهُ الرُّوحِ النَّوّامَةِ .

وطـريقـة هـذا الكتـاب من أحسن طـرق محـاسبـة النفس ، والمصنف أخـذها من الحـديث المـروي عن النبي (صلّى الله عليـه وآله) ، كما ذكرناه سابقاً .

والمصنف جمـع في كتـابـه هـذا آيـات التحـذيـر والتـرغيب وغيـرها ونسجهـا نسجاً لـطيفاً يؤثـر في قلب القـارىء ، واقتبس من بعض الآيـات عبـارات زادت الكتـاب كمـالاً ، وأورد الأحـاديث الـواردة عن النبي وآلـه (عليهم السـلام) من التحـذيـر والتـرغيب والمـواعظ والأوامـر والنـواهي ، وجعلهـا على نسق جميـل من دون الإشـارة إلى ذكـر الحـديث إلّا قليـلاً ، وضمّن كتـابـه الحكم والأمثـال ، واللطائف والآثار ، والعبـارات الأدبيـة والأشعـار اللطيفـة

التي تناسب المقام .

فخرج كتابه جامعاً مانعاً يستلذّ من قراءته كل أحد ولا يملّ من دوام مطالعته .

ثم إن شيخنا الكفعمي (رضوان الله عليه) ألّف هذا الكتاب مستقلاً ـ وتاريخ تأليفه للكتاب غير معلوم ـ وبعد ذلك اختصره وأدرجه في آخر كتابه البلد الأمين والدرع الحصين الذي ألّفه عام ٨٦٨ هـ ، وطبع المختصر مع كشف الريبة للشهيد الثاني ومحاسبة النفس لابن طاوس سنة ١٣٩٠ هـ .

قال العلاّمة الطهراني : مُحاسَبَةُ النَّفْسِ اللوّامَةِ وَتَنْبِيهُ الرُّوحِ النَّوّامَةِ للشيخ تقي الدين إبراهيم بن علي بن الحسن بن محمد بن صالح الكفعمي صاحب الجنة الواقية المعروفة بمصباح الكفعمي التي فرغ منها ٨٩٥ ، مشتملة على مواعظ حسنة ومخاطبة النفس بعبارات مؤثرة أولها : الحمد لله السريع حسابه الأليم عقابه ، وهو مطبوع مع كشف الريبة في ١٣١٩ . . وقد أدرجها المصنف نفسه في آخر كتابه البلد الأمين والدرع الحصين الذي ألفه ٨٦٨[1] .

عملنا في الكتاب :

اعتمدتُ في تحقيق هذا الكتاب على أربع نسخ للمكتبة الرضوية على صاحبها آلاف التحية والسلام ، وهي :

١ ـ نسخة كاملة تاريخ كتابتها عام ٩٨٩ جاء في آخرها : على يد

(١) الذريعة ٣٠ : ١٢١ .

الفقير الحقير حافظ محمد علي أصفهاني سنة ٩٨٩ وهي نسخة كثيرة الأغلاط ، وقد أورد الكاتب بعض تعاليق المصنف على الكتاب في داخل المتن ، فأدرجناها في الهامش ، وجعلنا حرف (أ) رمزاً لها .

٢ ـ نسخة كاملة أيضاً إلاّ ورقتين سقطت من وسط الكتاب والمناجاة من آخره . وهي بدون تاريخ ، سيئة الخط ، وجعلنا حرف (ب) رمزاً لها .

٣ ـ نسخة مختصرة ملحقة بالبلد الأمين ، تاريخ كتابتها عام ١٠٨٢ ، وهي نسخة جيدة الخط قليلة الأخطاء ، وجعلنا حرف (ج) رمزاً لها .

٤ ـ نسخة مختصرة أيضاً ملحقة بالبلد الأمين ، جيدة الخط أيضاً قليلة الأخطاء ، وهي بدون تاريخ ، وجعلنا حرف (د) رمزاً لها .

فضبطت الكتاب على هذه النسخ الأربع وأشرت إلى الاختلافات التي لها وجه في الهامش ، وخرجت الآيات القرآنية ، وشرحت الكلمات التي يعسر على العرف العام فهمها من كتب اللغة ، وحركت بعض الكلمات التي تحتاج إلى تحريك ولم أخرج الأحاديث لما أشرت إليه قبل قليل من أن أكثر عبارات الكتاب هي نصوص الأحاديث نسجها المصنف في كتابه من دون الإشارة إلى ذكر الحديث ، وما أشار إليه قليل جداً ، علماً بأن بعض الكلمات لم نستطع قراءتها فتركنا في محلها بياضاً ، وبعض الكلمات لم نستطع الوصول إلى معناها من كتب اللغة فتركناها كما هي .

وفي الختام أتقدّم بجزيل الشكر والتقدير إلى مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث لما قامت به من توفير جميع المساعدات لي كما هو شأنها مع كلّ محقق يريد خدمة مذهب أهل البيت (عليهم السلام) .

وكذا أتقدم بجزيل الشكر والثناء إلى الأستاذ المحقق الشيخ أسد مولوي لمراجعته الكتاب من أوله إلى آخره .

سائلاً المولى الجليل أن يوفق كلّ العاملين لخدمة أهل البيت (عليهم السلام) .

فارس الحسون

١٩/ شعبان المعظم/ ١٤٠٨

حرم أهل البيت قم

بسم اللّه الرحمن الرحيم

الحمدُ للّهِ السريعِ حسابُهُ ، الأليمِ عقابُهُ .

وأشهدُ أنْ لا إلَهَ إلاّ الله ، شهادةً تُؤمنُ صاحبَهَا منْ عظائمِ الجرائمْ وجرائمِ العظائِمْ ، ولا يخافُ فِي اللّهِ لومةَ لائمْ[1] .

وأشهدُ أنّ محمّداً عبدُهُ ورسولُهُ ، الّذِي جعلَهُ اللّهُ علىٰ كافّةِ أُمّتِهِ شهيداً ﴿**يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً**﴾[2] .

وبعدُ : فإنّهُ قدْ أجمعت[3] الأنبياء والمرسلونَ ، والأئمّةُ الراشدونَ . أنَّهُ تعالىٰ لجميعِ العبادِ بالمرصادِ[4] ، وأنّهُمْ سَيُناقَشُونَ يومَ المعادِ ، ويُطالَبُونَ بمثاقيلِ الذرِّ ، منَ الخيرِ والشرِّ

---

(١) اقتباس من قوله تعالى : ﴿**يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم**﴾ المائدة ٥ : ٥٤ .

(٢) آل عمران ٣ : ٣٠ .

(٣) في (أ) و (ب) : (اجتمعت) وفي (د) : (جمعت) وما أثبتناه من (ج) هو الأنسب .

(٤) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿**إنّ ربك لبالمرصاد**﴾ الفجر ٨٩ : ١٤ .

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَه ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهْ﴾[1] ولا يُنجي منْ هذهِ الأخطارِ الجليلَهْ ، إلّا محاسبةِ[2] النفسِ كلّ يومٍ وليلَهْ .

فمنْ حاسبَ نفسَهُ قبلَ أنْ يحاسبَ خفّ فِي القيامةِ[3] حسابُهُ ، وحضَرَ عندَ السؤالِ جوابُهُ ، وعظُمَ يومَ القيامةِ ثوابُهُ[4] ، وحسنَ منقلبُهُ ومآبُهُ[5] .

ومنْ لمْ يحاسبْ نفسَهُ ، وأضاعَ يومَهُ وأمسَهُ . وتلفّعَ[6] بملاءةِ الهوىٰ ، وتعرّىٰ منْ لباسِ التقوىٰ ، وجبَ أنْ يطولَ فِي عرصاتِ القيامةِ مقامُهُ ، وتدومَ فِي مواقفِ يومِ الطامّةِ آلامُهُ .

فحقٌّ علىٰ كلِّ ذِي علمٍ ، وحتمٌ علىٰ كلّ ذِي حزمٍ :

مُحاسَبَةُ النَّفْسِ اللوّامةِ وتَنْبيهُ الرُّوحِ النوّامةِ

فإنّ النفسَ بالطبعِ متمردةٌ عنِ الطاعاتِ ، مستعصيةٌ عنِ العباداتِ ، فكنْ لها منَ الواعظينَ ﴿وَذَكِّرْ فإنَّ الذِّكْرىٰ تَنْفَعُ المُؤْمِنِينَ﴾[7] .

ففِي الخبرِ : لا يكونُ الرجلُ منَ المتقينَ حتّىٰ يحاسبَ

---

(١) الزلزلة ٩٩ : ٧ و ٨ .

(٢) في (ب) : (إلّا بمحاسبة) .

(٣) في (ب) : (يوم القيامة) .

(٤) جملة : (وعظم يوم القيامة ثوابه) لم ترد في (أ) و (ب) .

(٥) أي : مرجعه . اللسان ١ : ٢١٨ أوب .

(٦) أي : التحف ، والالتفاع والتلفع : الالتحاف بالثوب ، وهو : أن يشتمل به حتى يجلل جسده . اللسان ٨ : ٣٢٠ لفع .

(٧) الذاريات ٥١ : ٥٥ .

نفسَهُ ، فيعلمَ طعامَهُ وشرابَهُ ولُبسَهُ .

وعنهُ (عليهِ السلامُ) : قيِّدُوا أنفسكُمْ بمحاسبتِها ، واملكُوها بمخالفتِها ، تأمنُوا منَ اللّهِ الرهبَ ، وتدركُوا عندهُ الرغبَ ، فإنَ الحازمَ منْ قيّدَ نفسَهُ بالمحاسبةِ ، وملكَها بالمغالبةِ . وأسعدُ الناسِ منِ انتدبَ[1] لمحاسبةِ نفسهِ ، وطالبَها بحقوقهِ[2] فِي يومهِ وأمسهِ .

وعنهُ (عليهِ السلامُ) : الكيّسُ منْ دانَ نفسَهُ أيْ : حاسبَها ، وعملَ لمْا بعدَ الموتِ وطالبَها .

فحاسِبْ نفسَكَ قبلَ أنْ تُحاسب ، وطالِبْها قبلَ أنْ تُطالب . وقلْ لها[3] :

يا نفسُ :

احزمي[4] أمركِ ، فما لكِ بضاعةٌ إلّا عمرُكِ . فلا تفنِيهِ فِي مآربِكِ[5] ، ولذّاتِكِ ومطالبِكِ . لأنّهُ إذا فني رأسُ المالِ حصلتِ الخسارَة ، ووقعَ اليأسُ عنِ التجارَة .

شعرٌ :

---

(١) في (أ) : (من انقاد) .

(٢) في (ب) : (حقوقها) .

(٣) في (ب) : (يا نفس : فحاسبي نفسكِ قبل أن تُحاسَبي وطالبيها قبل أن تُطالَبي وقولي لها) .

(٤) من الحزم ، وهو : ضبط الرجل أمره والحذر من فواته . مجمع البحرين ٦ : ٣٩ حزم . وفي (أ) : (احزمي) وفي (ج) و (د) : (اجزمي) وما أثبتناه من (ب) هو الأنسب .

(٥) أي : حاجاتك . اللسان ١ : ٢٠٨ أرب .

إذا كنتُ أعلمُ علماً يقيناً بأنَّ جميعَ حياتِي كساعَهْ
فلِمْ لا أكونُ ضنيناً[1] بها واجعلُها فِي صلاحٍ وطاعَهْ

يا نفسُ :

وهذا يوم جديدٌ ، وهوَ عليكِ شهيدٌ . فاعلمِي فيهِ للّهِ بطاعتِهِ ، وإيّاكِ إيّاكِ منْ إضاعته . فإنَّ كلَّ نفسٍ منَ الأنفاس ، وحاسَّةٍ منَ الحواسّ . جوهرة عظيمة ، ليسَ لها منْ قيمَة .

شعرٌ :

أولى الذخائرِ فِي الحمايةِ والرعايةِ والحراسَهْ
عمرُ الفتىٰ فهوَ النهايةُ فِي الجلالةِ والنفاسَهْ
وحذارِ منْ تضييعِهِ إنْ كنتَ منْ أهلِ الكياسَهْ

يا نفسُ :

إنَّ اليومَ والليلةَ أربع وعشرونَ ساعَهْ ، فاشتغلي فيها بالطاعَهْ . فقدْ وردَ فِي الخبرِ ، عنْ سيّدِ البشر :

أنّهُ يُنشرُ[2] للعبدِ كلَّ يومٍ أربعٌ وعشرونَ خزانَهْ ، بعضُها فارغةٌ وبعضُها ملآنَهْ :

فإذا فُتحتْ لهُ خزانة الحسنات ، والمراضِي والمثوبات ، نالَهُ منَ الفرحِ والسرور ، والبهجةِ والحبور ، بمشاهدةِ تلكَ الأنوار ،

---

(١) أي : شحيحاً . مجمع البحرين ٦ : ٢٧٥ ضنن .
(٢) في (ب) : (ينثر) .

الّتي هيَ وسيلةٌ عندَ الملكِ الجبّار ، ما لوْ وُزّعَ علىٰ أهلِ النار ، لأدهشهُمْ ذلكَ الفرحُ عن ألمِ السُعار[1] .

وإنْ فُتحتْ لهُ خزانةُ العصيان ، والغيبةُ والبهتان ، غشاهُ منْ نتنِها وظلامِها ، وأصابَهُ منْ شرِّها وآلامِها ، ما لو قُسِّمَ علىٰ أهلِ النعيمِ ، لنغصَ[2] عليهِمُ التنعيمْ .

وإنْ فُتحتِ الفارغةُ منَ الأعمال ، الموصوفةُ بالتكاسلِ والإهمال ، لحقَهُ[3] الحزنُ العظيم ، علىٰ خُلوِّها منَ الثوابِ الدائمِ المقيم .

يا نفسُ :

فاملئي تلكَ الساعاتِ منَ الحسنات ، واشحنِيها بما شقَّ منَ العباداتِ والقربات ، ولا تميلِي إلىٰ الكسلِ والاستراحَة ، فما ملأَ الراحةَ منِ استوطأَ الراحة[4] .

وهبْ كنتِ مسيئَةً قدْ عفي عنْ جريرتِك ، وستَرَ[5] علىٰ سريرتِك ، أليسَ قدْ فاتكِ ثوابُ المحسنين ، ودرجاتُ الأبرارِ فِي علّيين ؟!

---

(١) في (أ) : (السعار بالضم : حرّ النار وشدة الجوع أيضاً ، وسعرناهم بالنبل : أحرقناهم ، قاله الجوهري) . الصحاح ٢ : ٦٨٤ سعر .

(٢) في (أ) : (لبغض) وفي (ب) : (لنقص) والمثبت من (ج) و (د) وهو الأنسب .

(٣) في (ج) : (لحفّه) .

(٤) قيل : الراحة الأولى بمعنى الكفّ والجمع الراح ، والثانية من الاستراحة . وفي (ب) : (ما ملأ الراحة من استوطأ الزاحة) .

(٥) في (أ) : (وسرّ) .

يا نفسُ :

إنْ كنتِ فِي معصيةِ اللّهِ ممّنْ يعلمُ اطّلاعَه ، فلقدِ اجترأتِ علىٰ أمرٍ عظيمِ الشناعَه ، لجعلكِ إيّاهُ أهونَ الناظرين ، وأخفَّ المطّلعين ، وإنْ كنتِ تظنّينَ أنّهُ لا يراكِ ، فلقدْ كفرتِ بمولاكِ .

يا نفسُ :

أترينَ لوْ أنَّ أحداً منْ جلسائك ، أو عبيدِكِ وإمائك ، واجهكِ بما تمقتينَهُ ، أوْ عامللكِ بما تكرهينَهُ ، لقلَّمْتِ منهُ الأظفار ، وأحللتِ بهِ دارَ البوار .

فبأيِّ جسارةٍ تتعرضينَ لمقتِ اللّهِ وعذابه ، وشدّةِ نكالِهِ وعقابه ؟ وقرِّبي إصبعَكِ من الحميم ، إنْ ألهاكِ البطرُ عنِ النظرِ فِي عقابِهِ الأليم .

يا نفسُ :

ويحكِ بل ويلكِ منَ العذاب ، كأنّكِ لا تؤمنينَ بيومِ الحساب ، أتظنّينَ أنّكَ إذا متِّ انفلتِّ ، وإذا حشرتِ رُددْتِ ؟! هيهاتَ هيهاتْ ، كَلُّ ما توعدينَ لآتْ[1] .

شعرٌ :

ولوْ أنّا إذا متنا تُركنا ... لكانَ الموتُ راحةَ كلِّ حيّ
ولكنّا إذا متنا بُعثنا ... ونُسألُ بعدهُ عنْ كلِّ شيء

(١) اقتباس من قوله تعالى : ﴿إن ما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين﴾ الأنعام ٦ : ١٣٤ .

يا نفسُ :

إنّكِ تَقدمينَ علىٰ ما قدَّمْتِ ، وتُجازينَ علىٰ ما أسلفتِ ، فلا تخدعنّكِ دنيا دنيَّة ، عنْ مراتبِ جنّاتٍ عليَّة ، فإنَّ لكلِّ حسنةٍ ثواباً ، ولكلِّ سيّئةٍ عقاباً ، وإنّه لا بدَّ لكِ فِي قبركِ منْ قرين ، فإنْ كانَ صالحاً فبهِ تستأنسِين ، وإنْ كانَ طالحاً فمنه تستوحشِين .

شعرٌ :

أتُرجىٰ نجاةٌ منْ حياةٍ سقيمةٍ ... وسهمُ المنايا للخليقةِ راشقُ
فمَنْ حسُنتْ أفعالُهُ فهوَ فائزٌ ... ومنْ قبُحَتْ أفعالُهُ[1] فهوَ زاهقُ
لقدْ شقيتْ نفسٌ تخالفُ ربَّها ... وتعرضُ عنْ إرشادها وتشاقِقُ

يا نفسُ :

ما هذهِ الحيرةُ والسبيلُ واضح ، وما هذهِ الغفلة والمُشيرُ ناصح ، إلىٰ كمْ تجمعينَ ولا تقنعين ، ولِوارثكِ تودعين ؟!

شعرٌ :

وأنتَ كمنْ يبني[2] بناءً وغيرُهُ ... يعاجلُهُ فِي هدمِهِ ويسابقُ
وينسجُ آمالاً طوالاً بعيدةً ... ويعلمُ أنَّ الدهرَ للنسجِ خارقُ

يا نفسُ :

أتفرحينَ بنعيمٍ زائل ، وسرورٍ راحل ؟! غفلتِ وأغفلتِ ، وعلمتِ فأهملتِ . إلىٰ كمْ مواظبتُكِ علىٰ الذنوب ، وأنتِ بعين

---

(١) في (ب) : (أعماله) .
(٢) في (أ) : (أبنى) .

عـلّام الغيوب ؟ فجمعُـكِ فِي هذهِ الـدنيـا إلىٰ تفـريق ، وسعتُـكِ[1] إلىٰ ضيق . فمـا هذهِ الـطمـأنينَـةُ وأنتِ مُزعجـة ، ومـا هـذا الـولـوجُ وأنتَ مُخرجة ؟!

شعرٌ :

أتُـرجىٰ نجاةٌ بعـدَ سبعينَ حجّـةً ... ولا بدَّ منْ يومٍ تَعقكَ العوائقُ[2]
ومنْ طـرقْتـهُ الغـاديـاتُ بـويلِهـا ... فلا بدَّ ما يأتيهِ فيهـا[3] الصـواعقُ

وليسَ أبناءُ السبعين ، بأحقَّ بـالحذرِ منْ أبنـاءِ العشرين . لأنَّ طـالبَهـا وهـوَ الموتُ واحـد ، وليسَ عن[4] الطلبِ بـراقـد . واعملِي لمـا أمامَكِ منَ الهول ، ودعِي عنكِ زخرفَ القول .

يا نفسُ :

أمّـا رأيُكِ فعـازبٌ ، وأمّا رشـدُكِ فغائبٌ . داؤُكِ لا يُـرجىٰ لـهُ دواءٌ ، وأملُكِ ليس لـهُ انتهـاءٌ . قـدْ فُتنتِ بعملِك ، وخُضْتِ فِـي بحـارِ زللِك . فقـدِّمِي التـوبَـة ، قبـلَ أنْ تبلغَـكِ النـوبَـة ، واعمِلي للخلاص ، قبلَ الأخذِ بالنواصِ .

شعرٌ :

---

(١) في (ب) : (وسعيك) .
(٢) قال الجوهري في الصحاح ٤ : ١٥٣٤ عوق : (عاقه عن كذا عوقاً واعتـاقه أي : حبسه وصرفه عنه ، وعوائق الدهر : الشواغل من أحداثه) .
(٣) في (ب) : (فلا بدّ ما بلته فيه) .
(٤) في (ب) : (وليس عند) .

إذا نُصب الميزانُ للفصلِ والقَضا ... وأُبلسَ[1] محجاجٌ وأُخرسَ ناطقُ
وأُجّجَتِ النيرانُ واشتدَّ غيظُها ... وقدْ فُتحتْ[2] أبوابُها والمغالقُ
وقُطّعَتِ الأسبابُ منْ كلِّ ظالمٍ ... وقامتْ بهِ أسرارُهُ والعلائقُ

يا نفسُ :

لا جرمَ أنّهُ تعالىٰ[3] تكفّلَ في الدنيا بإصلاحِ أحوالِك ، فعلام كذّبتِيهِ بأفعالِك ؟ وأصبحتِ تتكالبينَ[4] علىٰ طلبِ[5] الدنيا تكالُب المدهوشِ المستهترِ ، وأعرضتِ عنِ الآخرةِ إعراضَ المغرورِ المستحقرِ[6] ما هذا منْ علاماتِ منْ يتّبعُ السنّة ، أو يبتغِي الجنَّة .

شعرٌ[7] :

فحبُّكِ هذا من أدلِّ دلالةٍ ... علىٰ أنّكِ فِي غمرةِ الجهلِ تسبحِي
تروحِي وتغدِي في غرورٍ وغفلةٍ ... وأنتِ بغيرِ الحقِّ فِي الأرضِ تمرحِي
فعاصِي هواكِ واتّقِ اللّه وحدهُ ... عساكِي في يومِ القيامةِ تفلحِي

---

(١) ابلس : سكت . النسان ٦ / ٢٩ بلس .
(٢) في (ب) : (وفتحت) .
(٣) في (ب) : (أن الله تعالى) .
(٤) قال الجوهري في الصحاح ٣ / ٢١٥ كلب : (والمكالبة : المشارّة وكذلك التكالب ، تقول منه : هم يتكالبون على كذا أي : يتواثبون عليه) . وفي (ج) و (د) : (تكالبين) .
(٥) في (ب) : (في طلب) .
(٦) في (ب) : (المستهتر) .
(٧) في (أ) : (الكنعمي شعر) .

يا نفسُ :

أتحسبينَ أنْ تُتـركِي سدىٰ ، ألمْ تكـوني نـطفـةً منْ منيٍّ يُمنىٰ ، ثمَّ كنتِ علقـةً فخلقَ فسـوّىٰ ، أليس ذلكَ بقـادرٍ[على] أنْ يحيي الموتىٰ ؟![1] .

فما لكِ لا تعرفينَ قدرك ، ولا تأخذينَ حـذرك ؟ فإنْ كنتِ قـدْ أمنتِ فِي الحشرِ بسؤالِكِ ، وعرفتِ جميعَ ذلـكَ هنالِـك . فمـا بـالُكِ تسـوّفِينَ بالعمـلِ[2] ، وقدْ دنـا الأجـل ، ولعلّهُ يختـطفُكِ منْ غيـرِ مهل ؟!

شعرٌ :

وكـأنّا للمـوتِ ركبٌ مخبّـونِ[3] سـراعٌ لـمـنـهـلٍ مـوردِ

يا نفسُ :

لـو عزمتِ[4] علىٰ سفـرٍ ، لقضاءِ الـوطـر ، تـرتجينَ فيـهِ نيـلَ الـظفـر ، والأمنَ منَ الضـرر . فلقيتِ[5] فِي طـريقـكِ شخصـاً ، أخبـركِ أنّـهُ رأىٰ أمـامـكِ لصّـاً . يـأخـذُ الأقفـال ، ويستبيـحُ النفسَ

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿أيحسب الإنسان أن يترك سدى ألم يك نطفة من منيّ يمنى ثمّ كان علقة فخلق فسوّى فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى﴾ القيامة ٧٥ : ٣٦ـ٤٠ .

(٢) في (أ) : (العمل) .

(٣) في (ب) : (مخنون) وفي (ج) و (د) : (مجنون) وما أثبتناه من (أ) هو الأنسب .

(٤) في (ب) : (لو عرضت) .

(٥) في (أ) : (فلقيك) .

والمال . لرجعتِ عنْ ذلكَ الطريقِ المخوف[1] ، حذراً منَ اللصِ العسوف[2] .

أفكانَ قولُ التوراةِ والإنجيل ، والزبورِ والتنزيل . بإخبارهمْ بأخاويفِ القيامة ، وأهاويلِ يومِ الطامّة . أقلَّ منْ مُخبرِكِ صدْقاً ، وأنذرَ منْهُ حقّاً ؟! ولعلَّ المخبرَ غيرُ صادق ، بلْ أكذبُ منْ بارق[3] !!

يا نفسُ :

لو أنَّ طبيباً يهوديّاً ، أوْ حكيماً نصرانيّاً . أخبرَكِ فِي ألذِّ أطعمتِكِ بدائه ، وعدمِ دوائه . ثمَّ أمرَكِ بالاحتماء ، عنْ بعضِ الغذاء . لصبرتِ عنهُ وتركتِه ، وجاهدْتِ نفسكِ فيه .

أفكانَ قولُ القرآنِ المبينِ ، والأنبياءِ والمرسلين ، أقلَّ تأثيراً منْ قولِ يهوديٍّ يخبرُ عنْ تخمين ، أوْ نصرانيٍّ ينبىءُ عنْ غيرِ يقينٍ ؟!

والعجبُ لِمنْ[4] يحتمِي عنِ الطعامِ لأذيّتِه ، كيفَ لا

---

(١) في (أ) : (يقال طريق مخوف ، لأنه لا يخيف بل يخيف فيه قاطع الطريق قاله الجوهري) الصحاح ٤ : ١٣٥٩ خوف .

(٢) العسوف : الظلوم . الصحاح ٤ : ١٤٠٣ عسف .

(٣) في (أ) : (في أمثالهم : أكذب من بارق ، وهو : السحاب الذي يكون فيه البرق ولا ماء فيه ، قال : بلوته أكذب من يلمع أو بارقٍ يلمع في خلّب ، ويلمع يحتمل أن يراد به السراب لأن اسمه يلمع ، ويحتمل أن يراد به البرق الذي لا مطر معه لأن اسمه يلمع أيضاً ، وإنما قيل للسراب يلمع لأنه يسير إلى المطر ولا مطر معه) .

(٤) في (ب) : (يا نفس والعجب) .

يحتمِي عنِ الذنبِ لأليمِ عقوبتِه ؟!

شعرٌ :

جسمُكَ بالحِمْيَةِ وَقَّيْتَهُ ... مخافةَ البارِدِ والحارِ[1]

قدْ كانَ أولىٰ بكَ أنْ تحتمِي ... عن المعاصِي حذرَ النارِ

يا نفسُ :

ومنَ العجبِ أنّهُ لوْ أخبرَكِ طفلٌ : بأنَّ عقرباً فِي جيبِكِ ، لرميْتِ بثوبكِ ، أوْ حيّةً فِي إزاركِ لرميْتِ بأطمارِكِ[2] .

أفكانَ قولُ الأنبياءِ والأبدال ، أقلَّ عندَكِ منْ قولِ الأطفال ؟! أمْ صارَ حرُّ نارِ جهنّمَ وزقّومهٰا ، أحقرَ عندَكِ منْ العقربِ وسمومهٰا ؟! ولاٰ جَرمَ فلوِ انكشفَ للبهائمِ علانيتُكِ وسريرتُك ، لضحكوا منْ غفلةِ سيرتك .

يا نفسُ :

مَنْ لاٰ يُطعمُ الدابَّةَ إلاّ فِي الحضيضِ[3] لا يقدرُ علىٰ قطعِ العقبةِ ؟! ومَنْ لا يملكُ قيراطاً منَ المالِ كيفَ يفكُّ الرقبة[4] ؟! وكيفَ بكِ إذا أُمرتِ بالصعودِ ، علىٰ عقَبَةٍ كؤود[5] . وطرسُكِ[6]

---

(١) في (ب) : (مخافة الضار) .

(٢) قال الجوهري في الصحاح ٢ : ٧٢٦ طمر : (والطمر : الثوب الخلق ، والجمع الأطمار) .

(٣) الحضيض : القرار من الأرض عند منقطع الجبل . الصحاح ٣ : ١٠٧١ حضض .

(٤) في (ج) : (لا يفكّ الرقبة) .

(٥) عقبة كؤود : شاقة المصعد صعبة المرتقى . اللسان ٣ : ٣٧٤ كأد .

(٦) الطرس : الصحيفة . الصحاح ٣ : ٩٤٣ طرس .

موفورٌ منَ السيّئات ، وظهرُكِ موقورٌ[1] منَ التبعات . وأنتِ معَ ذلكَ عاريةٌ[2] عطشانة ، حافيَةٌ غرثانَة[3] ؟! فلا شكَّ هنالكَ أنَّ المستريْح ، أحسنُ حالاً منَ الطليح[4] . ولا جرمَ أنَّ المبطئين ، أقبحُ حالاً منَ المسرعين . فاستعدِّي للآخرة ، علىٰ قدرِ هولِ أرضِ الساهرة . ولا تكوني ممّنْ يعجزُ عنْ شكرِ ما أُوتِي ، ويبغِي الزيادةَ فيما بقي ، وينهىٰ الناسَ ولا ينتهِي .

يا نفسُ :

ما المانعُ لكِ منَ المبادرةِ إلىٰ صالحِ الأعمال ، وما الباعثُ لكِ علىٰ التسويفِ والإهمال . وهلْ سببُهُ إلّا عجزُكِ عنْ مخالفةِ شهوتِك ، وضعفُكِ عنْ مؤالفَةِ أئمتِك ؟ وهبْ أنَ الجهدَ فِي آخرِ العمرِ نافعٌ ، وأنّهُ مُرقٍ إلىٰ أسعدِ المطالع . فلعلَّ اليومَ آخرُ عمرِك ، ونهايةُ دهرِك .

شعرٌ :

ولا تُرجِ فعلَ الصالحاتِ إلىٰ غدٍ لعلَّ غداً يأتِي وأنتَ فقيدُ

يا نفسُ :

غالبِي الشهوةَ قبلَ قوَّةِ طراوتِها[5] ، فإنّها إنْ قويتْ لمْ

---

(١) أي : محمول . الصحاح ٢ : ٨٤٨ وقر . وفي (أ) : (موفور) .

(٢) في (أ) : (عادية) .

(٣) من الغرث وهو الجوع . الصحاح ١ : ٢٨٨ غرث .

(٤) قال الجوهري في الصحاح ١ : ٣٨٨ طلح : (وطلح البعير : أعيا ، فهو طليح . . . وناقة طليح أسفار : إذا جهدها السير وهزلها) .

(٥) قال الجوهري في الصحاح ٦ : ٢٤١٢ طرا : (شيء طريّ أي : غضّ بيّن الطراوة) وفي =

تقدري علىٰ مقاومتِها . ومثلُ ذلكَ : أنَّ الشهوةَ كالشجرةِ النابتَة ، والصخرَةِ الثابتَة . الّتي تعبَّدَ العبدُ بقلعِها ، أو أُمر[1] بنزعِها ، فمَنْ تركَ قلعَها وعجزَ عنْ نزعِها . كانَ كمنْ عجزَ عنْ قلعِ شجرةٍ وهوَ شابٌّ قويُّ الهمّة ، فأخَّرَها بعدَ أُمّة[2] إلىٰ الضعفِ وابيضاضِ اللمّة[3] . مَع العلمِ بأنَّ طولَ المدّةِ تزيدُ الشجرةَ قوّة وثباتاً ، وتولي القالعَ ضعفاً وشتاتاً .

وبالجملةِ : ما لا يُقدرُ عليهِ فِي الشبابِ لا يُقدرُ عليهِ فِي المشيب ، لكنْ منَ التعذيبِ تهذيبُ الذيب .

شعرٌ :

أتروضُ عرسكَ بعدَما هرمتْ ومنَ العناءِ رياضةُ الهرمِ

يا نفسُ :

ما قولُكِ فِي مريضٍ غمرَهُ الأسقام ، أُشير عليه بتركِ الماءِ البارِدِ ثلاثةِ أيام ، ليصحَّ ويتهنّأَ بشربِهِ مدىٰ الشهورِ والأعوام . فما مقتضىٰ العقلِ فِي افتعالِ أمرِ الصبوَةِ[4] ، وقضاءِ حقِّ الشهوة . أيصبرُ الثلاثةَ أيامٍ[5] ليتنعّمَ طولَ عمره ؟ أمْ يقضِيَ فِي الحالِ

= (أ) : (ضراوتها) وفي (ب) : (ضرّ أوقاتها) وما أثبتناه من (ج) و (د) وهو الأنسب .

(١) في (أ) : (وأمر) .

(٢) الأمة : الحين . الصحاح ٥ : ١٨٦٤ أمم .

(٣) اللّمة بالكسر : الشعر يجاوز شحمة الأذن . الصحاح ٥ : ٢٠٣٢ لمم .

(٤) الصبوة : جهلة الفتوة واللهو من الغزل . العين ٧ : ١٦٨ صبو .

(٥) في (ب) : (أيصبر في ثلاثة أيام) .

شهوةَ وطره[1] ؟!

وليتَ شعري أألمُ الصبرِ عنِ الشهواتِ ، وكظمُ الغيظِ عنِ العقوباتِ . أعظمُ شدّة ، وأطولُ مدّة . أمْ ألمُ النارِ ، وغضبُ الجبّار ؟!

يا نفسُ :

منْ لا يطيقُ الصبرَ عنْ قضاءِ الوطرِ ، كيفَ يصبرُ يومَ العرضِ علىٰ حرِّ سقر[2] ؟!

يا نفسُ[3] :

ولربَّ شهوة ساعة قدْ أورثتْ حزناً طويلاً ، فكمْ منْ أُمنيّةٍ جلبَتْ منية .

شعرٌ[4] :

منْ نالَ منْ دنياهُ أُمنيّةً أسقطتِ الأيّامُ منهٰا الألفْ[5]

وإيّاكِ إيّاكِ أنْ ترضِي غيرَ اللّهِ وتعرضِي عنه ، فإنّهُ مانعُكِ منَ الغيرِ ولا يمنعُكِ الغير منه . والعجبُ منكِ كيفَ تذنبينَ

---

(١) الوطر : كل حاجة كان لصاحبها فيها همّة . اللسان ٥ : ٢٨٥ وطر .

(٢) سقر : اسم علم لجهنم ، قال تعالى : ﴿سأُصليه سقر وما أدراك ما سقر لا تبقي ولا تذر لواحة للبشر عليها تسعة عشر﴾ المدثر ٧٤ : ٢٦-٣٠، المفردات : ٢٣٥ سقر .

(٣) في (ب) : (شعر) .

(٤) في (ب) : (يا نفس) .

(٥) فتصير الأمنية منية .

والشاهدُ عليكِ الملكُ الجبّارِ ؟! وتضحكين ولعلَّ أكفانَكِ قدْ خرجَتْ منْ عندِ القصّارِ[1] ؟!

يا نفسُ :

وممّا أعظكِ بهِ منْ كلامِ أميرِ المؤمنين ، وسيِّد الوصيين : أنَّ الفكرَ يهدي ، والهوىٰ يردي . والشهواتُ آفات ، واللذاتُ مفسدات . والرزقُ مقسوم ، والحريصُ محروم . والدنيا تضرُّ ، والأملُ يغرُّ[2] . والأمْنُ اغترار ، واليقظةُ استبصار . والغفلةُ ضلالة ، والغرّةُ[3] جهالة .

يا نفسُ :

مكاسبُ الدنيا بالإنفاق ، والآخرةِ بالاستحقاق . والهوىٰ عدوُّ العقل ، واللهوُ منْ ثِمارِ الجهل . والأعمالُ منْ ثمارِ النيّات ، والصدقةُ أفضلُ الحسنات . والطمعُ فقرٌ ظاهر ، واليأسُ غنىً حاضر .

يا نفسُ :

السلامةُ فِي التفرد ، والراحةُ فِي التزهّد . والساعاتُ تُكمنُ

---

(١) القصّار والمقصّر : المحوّر للثياب ، لأنه يدقها بالقصرة التي هي القطعة من الخشب . اللسان ٥ : ١٠٤ قصر .

(٢) في (ب) : (والأمل يغرّ والدنيا تضر) .

(٣) في (أ) : (والعزة) .

الآفاتِ ، والعمرُ تُفنيهِ[1] اللحظاتِ . والدنيا سوقُ الخسران ، والجنّةُ دارُ الأمان . والحسابُ قبلَ العقاب ، والثوابُ بعدَ الحساب . والدنيا دارُ الأشقياء ، والجنّة دارُ الأتقياء .

يا نفسُ :

الدنيا محلُّ الآفات ، والمالُ مادّةُ الشهوات . والدنيا مُطلَّقةُ الأكياس ، ومنيةُ الأرجاس. والتقوىٰ خيرُ زادٍ ، والطاعةُ أحرزُ عتاد . والزهدُ متجرٌ راجح ، والورعُ عملٌ راجح . والحريصُ عبدُ[2] المطامِع ، والمستريحُ منَ الناسِ القانع .

يا نفسُ :

المواصلُ للدنيا مقطوع ، والمغترُّ بالآمالِ مخدوع . والتقوىٰ رأسُ الحسنات ، والورعُ جُنّةٌ منَ السيّئات . والتوبة تستنزل الرحمة ، والإصرارُ يجلبُ النقمة ، والطاعةُ تستدِرُّ المثوبة ، والمعصيةُ تجلبُ العقوبة .

يا نفسُ :

الدنيا دارُ المحنة ، والهوىٰ مَطيّةُ الفتنة . والتعزّزُ بالتكبّرِ ذلّ ، والتكثّرُ بالدنيا قِلّ . واليقينُ رأسُ الدينِ ، والإنفرادُ راحةُ المتعبدين ، والزهدُ سجيّةُ المخلصين ، والخوفُ جلبابُ[3]

---

(١) في (أ) : (بقية) .

(٢) في (أ) : (عند) .

(٣) الجلباب : الملحفة . الصحاح ١ : ١٠١ جلب .

العارفين ، والبكاءُ شعارُ المشفقين ، والفكرُ نزهةُ المتقين ، والسهَرُ روضةُ المشتاقين ، والإخلاصُ عبادةُ المقربين[1] ، والذكرُ لذّةُ المُحْبِين .

يا نفسُ :

الدنيا مصرعُ العقولِ ، والشهواتُ تسترقُّ الجَهولِ . والفكرُ مرآةٌ صافية ، والموعظةُ نصيحةٌ شافية . والنيّةُ أساسُ العمل ، والأجلُ حصاد الأمل . والمقاديرُ لا تدفعُ بالقوّةِ والمغالبة ، والأرزاقُ لا تُنالُ بالحرصِ والمطالبة .

يا نفسُ :

الدنيا كيومٍ مضىٰ ، وشهرٍ انقضىٰ . فالرغبةُ فيها تُوجبُ المقت ، والإشتغالُ بالفائتِ[2] يُضيّعُ الوقت . والمالُ يُفسدُ المآل[3] ، ويوسعُ الآمال . وهوَ داعيةُ التعب ، ومطيّةُ النصب[4] . والغنيُّ منِ استغنىٰ بالقناعة ، والعزيزُ منِ اعتزَّ بالطاعة .

يا نفسُ :

أسبابُ الدنيا منقطعة ، وعواريها مرتجعة . والمصيبةُ بالدينِ أعظمُ المصابِ ، والغضبُ يفسدُ الألباب ، ويبعدُ منَ الصوابِ .

---

(١) في (ب) : (المتقربين) .

(٢) في (أ) : (بالغائب) .

(٣) قال ابن منظور في اللسان ١١ : ٣٢ أول : (الأول : الرجوع ، آل الشيء يؤول أوْلاً ومآلاً : رجع) .

(٤) في (أ) : (المنصب) .

وهـوَ عدوٌّ فـلا تملِّكِيـه نفسَـك ، ولا تجعلِيـهِ لُبسَـك . والنـدمُ علىٰ الخطيئةِ استغفار ، والمعاودةُ للذنبِ إصرار .

يا نفسُ :

الـولهُ[1] بـالدنيـا أعظمُ فتنـة ، وإطراحُ الكلفِ أشـرفُ قنيـة . فمنْ أخلصَ فيهـا توبتـه ، أسقطَ حوبَتـه . والعملُ فيهـا بـطاعـةِ اللّهِ أربـح ، والـرجـاءُ لـرحمتـهِ أنجـح ، والإشتغـالُ بتهـذيبِ النفسِ أصلح ، والإتكالُ علىٰ القضاءِ أروح .

شعرٌ :

عجبتُ لشيءٍ لا يسـاوِي جميعَهُ جناحَ بعوضٍ عندَ منْ أنتَ عبدهُ
شُغلتُ بجزءٍ منهُ عنهُ فما الّـذِي يكونُ إذا حاسبَكَ عذرُكَ[2] عندَهُ

يا نفسُ :

الحـازمُ منْ تركَ الـدنيا لـلآخرَةِ ، والـرابـحُ منْ بـاعَ العـاجلةَ بالآجلةِ يومَ السـاهِرَةِ . والـزاهدُ أنْ لا يـطلبَ المفقود ، حتّىٰ يعـدمَ المـوجـود . واجتنـابُ السيّئـات ، أولىٰ منِ اكتسـابِ الحسنـات . اشتغالُكِ بمعـايبِك[3] يكفيـكِ العار ، واشتغـالُكِ بـإصلاحِ معـادكِ ينجيـكِ منْ عذابِ النـار . والطاعـةُ للّهِ أقـوىٰ سببٌ ، والمـودّةُ فِي

---

(١) قال الطريحي في المجمع ٦ : ٣٦٧ وله : (والوله بالتحريك : ذهاب العقل والتحير من شدة الوجد) .

(٢) في (ب) : (عدوك) .

(٣) في (أ) : (بمعانيك) .

اللّهِ أقربُ نسب .

يا نفسُ :

الـدنيـا لا تصفُـو لشـارب ، ولا تفِي لصـاحب ، فهيَ مليَّـةٌ بالمصائب ، طارقةٌ بالفجائعِ والنوائب . والعاقلُ منْ هجرَ شهوتَـه ، وأسخطَ دنياهُ وأرضىٰ آخرتَه . والعارفُ منْ عرفَ نفسَهُ فـأعتقَهَا[1] ، ونزّهَهَا عنْ كلِّ ما يبعدُهَا ويوبقُهَا .

يا نفسُ :

الـدنيَا إذا تحلّتِ[2] انْحَلّتْ ، وإذا حَلَتْ أوْ حلَت . فـالحـازمُ مَنْ جـادَ بمَا فِي يـده ، ولمْ يؤخّرْ عمـلَ يومـهِ إلىٰ غده . والكيّس[3] مَنْ كانَ يومُـهُ خيراً منْ أمسـه ، وعقلَ الـذمَّ عنْ نفسه . والشقيُّ من اغتـرَّ بحـالـه ، وانخـدعَ لغـرورِ آمـالـه . والجـاهــلُ لا يـرتــدع ، وبالموعظةِ لا ينتفع .

يا نفسُ :

الـدنيـا شـركُ النفـوسِ ، وقـرارةُ كـلِّ ضـرٍّ[4] وبؤسِ . وهيَ عرضٌ حاضر ، يأكـلُ منهُ البَـرُّ والفاجـرْ . فأخـوكِ فِي اللّهِ منْ هداكِ إلىٰ رشـاد ، ونهـاكِ عنْ فسـاد ، وأعـانَـكِ علىٰ إصـلاحِ المعــاد .

---

(١) في (ب) : (واعتقها) .
(٢) في (أ) : (أحلت) .
(٣) في (أ) : (أي : العاقل) .
(٤) في (أ) : (خير) .

والحازمُ منْ لمْ يشغلْهُ غرورُ دنياه ، عنِ العملِ لأُخراه . والمغبونُ منِ اشتغلَ بالدنيا جهدَه ، وفاتَهُ منَ الآخرَةِ جدَّه .

يا نفسُ :

أوقاتُ الدنيا وإنْ طالتْ قصيرة ، والمتعةُ بها وإنْ كثرتْ يسيرة . والخوفُ منَ اللّهِ فِي الدنيا ، يؤمنُ الخوفَ منهُ فِي العقبىٰ . والمتّقِي منِ اتّقىٰ منَ الذنوبِ ، والمتنزّهُ منْ تنزّهَ عنِ العيوب ، وانتباهُ العيونِ لا ينفعُ معَ غفلةِ القلوب . والعاقلُ مَنْ زهدَ فِي الدنيا الدنيَّةِ ، ورغبَ فِي جنّةٍ سنيَّة .

يا نفسُ :

اعزفِي[1] عنْ دنياكِ تُصلحِي مثواكِ ، واركنِي إلىٰ الحقِّ وإنْ خالفَ هواكِ ، واجعلِي جهدَكِ وهمَّكِ لآخرتك ، واحفظِي بطنكِ وفرْجكِ فهمٰا[2] فتنتُك ، واعفِي عنْ خادمكِ إذا عصاكِ ، واضربيهِ إذا[3] عصىٰ مولاكِ .

يا نفسُ :

انظري إلىٰ الدنيا نظرَ الزاهدِ المفارقِ ، ولا تنظرِي إليها نظرَ العاشقِ الموامق[4] . وامسكِي منَ المالِ بقدرِ ضرورتك ، وقدِّمِي

---

(١) في (أ) : (عزف الشيء : زهد فيه وانصرف عنه ، قاله الجوهري) الصحاح ٤ : ١٤٠٣ عزف ، باختلاف . وفي (ب) : (اغرفي) .

(٢) في (أ) : (ففيهما) .

(٣) في (أ) : (أنّا) .

(٤) في (أ) : (الوامق) . وقال الجوهري في الصحاح ٤ : ١٥٦٨ ومق : (المقة =

الفضلَ ليومِ فاقتِكِ . واذكـرِي معَ كـلِّ لذّةٍ زوالَهـا ، ومعَ كـلِّ نعمةٍ انتقالَهَا . واجعلِي همّتَكِ وسعيَكِ للخـلاصِ منَ الشقاءِ والعقـاب ، والنجاةِ منْ مقامِ البلاءِ والعذاب .

يا نفسُ :

اذكـرِي عنـدَ المعـاصِي ذهـابَ اللذات وبقـاءَ التبعـات ، واهجـرِي البشهـواتِ فـإنّهـا تقـودُ إلىٰ ركـوبِ السيّئـات . واعملِي والعملُ ينفع ، والدعاءُ يسمـع ، والتوبـةُ ترفـع . والمحتكرُ البخيـلُ جامعٌ لمنْ لا يشكرُه ، وقادمٌ علىٰ منْ لا يعذرُه .

يا نفسُ :

اتّقِي غـرورَ الدنيـا فإنّهـا تسترجـعُ[1] أبداً مـا خـدعتْ بـهِ منَ المحاسنِ ، وتزعجُ المطمئنَّ[2] إليهَا القاطن . فكمْ منْ جامعِ مـالٍ يبخـلُ علىٰ نفسهِ بـأقلِّه ، ويسمـحُ لـوارثـهِ بكلِّه . ولعلَّهُ منْ بـاطـلٍ جمعَه ، ومنْ حقٍّ منعَه . أصـابَهُ حـراماً ، واحتمـلَ بهِ آثـاماً . ورُبَّ مستقبلِ يومٍ ليسَ بمستدبرِه ، ومغبـوطٍ فِي أوّلِ ليلٍ قـامتْ بواكيـهِ فِي آخرِه .

شعرٌ :

هوَ الموتُ لا أعوانُهُ تَقبلُ الرّشـا ولا تُشتـرىٰ ساعـاتُهُ بـالـدراهمِ

= المحبة . . . وقد ومقه يمقه بالكسر فيهما أي : أحبه ، فهو وامق) .

(١) في (أ) : (لتسترجع) .

(٢) في (ب) : (المطمئنين) .

يا نفسُ :

استعـدِّي ليـومٍ تشخصُ فيـهِ الأبصـار ، وتفـدِمُ[1] فيـهِ الأبصار[2] . واذكـرِي هـادمَ اللذات ، ومنغِّصَ الشهـوات ، وداعيَ الشتـات ، ومفـرِّقَ الجمـاعـات ، ومبعِّـدَ[3] الأُمنيـات ، ومـدنيَ المنيّات ، والمؤذنَ بالبينِ والشتـات . واحذرِي الأمـر[4] المغلوب ، والفانيَ المحبوب ، والنعيمَ المسلوب .

شعرٌ :

أمـا واللّهِ لـوْ عـلمَ الأنـامُ ... لِمـا خُلقوا لمـا هَجعـوا ونـامُـوا
لقـدْ خُلقـوا لِمـا لـوْ أبصـرتْـهُ ... عيـونُ قلوبِهِمْ تـاهُـوا وهـامُـوا
حيـاةٌ ثـمَّ مـوتٌ ثـمَّ بعـثٌ ... وتـوبـيـخٌ وأهـوالٌ عـظامُ

يا نفسُ :

احـذرِي أنْ يخدعـكِ الغرورُ بـالحائـلِ اليسير ، أو يستـزلُّـكِ السـرورُ بالـزائلِ الحقيـر . وإيّاكِ وفعـلَ القبيحِ فـإنّهُ يقبّـحُ ذكرَكِ ، ويُكبِّـرُ[5] وزرَكِ ، ويُحبط أجـرَكِ . وإيّـاكِ أنْ تكـوني علىٰ النـاسِ طـاعنة ، ولنفسِـكِ مداهنـة[6] . فتعظمُ عليـكِ الحـوبَـة ، وتحـرمي المثوبَة .

---

(١) الفدم من الناس : العيي عن الحجة والكلام . اللسان ١٢ : ٤٥٠ فدم .
(٢) الأبصار الأولىٰ بمعنى : حاسة البصر ، والثانية بمعنى : البيّنة .
(٣) في (أ) : (ومباعد) .
(٤) في (ب) : (الأمل) .
(٥) في (ب) : (ويكثر) .
(٦) المداهنة : المساهلة . مجمع البحرين ٦ : ٢٥٠ دهن .

يا نفسُ :

إيّاكِ وطولِ الأملِ فكمْ منْ مغرورٍ افتتنَهُ أملُه ، فأفسَدَ عملَهُ وقطعَ أجلَه . فلا أملَهُ أدرك ، ولا ما فاتَهُ استدرك . وإيّاكِ والوقوعَ فِي الشبهات ، والولوعَ[1] بالشهوات . فإنّهما يقتادانكِ إلىٰ الوقوعِ فِي الحرام ، وركوبِ كثيرٍ منَ الآثام .

يا نفسُ :

أينَ الذينَ كانتْ لهمُ الأمَم ، وبلغُوا منَ الدنيا أقاصِي الهِمَم ؟! أينَ الذينَ حازُوا[2] منَ الدنيا أقاصِيهَا ، واستذلُّوا الأعداءَ وملكُوا نواصِيهَا ؟! أينَ منْ سعىٰ واجتهد ، وأعدَّ[3] واحتشَد ، وبنىٰ وشيَّد ، وزخرَفَ ونجَّد[4] ، وفرشَ ومهَّد ، وجمعَ وعدَّد ؟! أينَ كسرىٰ وقيصر ، وتبّعٌ وحمير ؟! وأعظمُ العظات ، الاعتبارُ بمصارع الأموات .

يا نفسُ :

أسعدُ الناسِ منْ تركَ لذّةً فانيَة ، للذّةٍ باقيَة . وأشقاهُمْ منْ باعَ جنةَ المأوىٰ ، بمعصيةٍ منْ معاصِي الدنيا . وأفضلُ الناسِ منْ عصىٰ ورفضَ دنياه ، وقطعَ منها أملَهُ ومناه ، وكانَ همُّهُ لأُخراه .

---

(١) الولوع : العلاقة ، وأولع به ولوعاً وإيلاعاً : إذا لجّ . اللسان ٨: ٤١٠ ولع .

(٢) في (أ) : (أحازوا) .

(٣) في (ب) : (وعدّ) .

(٤) قال الجوهري في الصحاح ٢ :٥٤٢ نجد : (والنجد : ما ينجد به البيت من المتاع ، أي : يزين) .

وأبعدُ الناسِ منَ النجاحِ المشتهرُ باللهوِ والمزاح ، وأبعدُهم[1] منَ الصلاحِ الكذوبُ ذُو الوجهِ الوقّاح .

يا نفسُ :

إيّاكِ والهوىٰ فإنّ أوّلَهُ فتنة ، وآخرَهُ محنة . وإيّاكِ وحبَّ الدنيا فإنّها أصلُ كلِّ خطيئة ، ومعدنُ كلِّ بليّة . فالحازمُ منْ لا يغترُّ بالخدع ، والعاقلُ منْ لا يغترُّ بالطمع . ومنْ باعَ نفسَهُ بغيرِ الجنَّةِ ، فقدْ عظمتْ عليهِ المحنَة .

يا نفسُ :

إنّ مالَكِ لحامدُكِ فِي حياتك ، ولذامُّكِ بعدَ وفاتك ، والتقوىٰ عصمةٌ لكِ في حياتِك ، وزلفىٰ لكِ بعدَ مماتك . والمرءُ علىٰ ما قدَّمَ قادم ، وعلىٰ ما خلَّفَ نادم . وإنَّ النفسَ الّتي تطلبُ الرغائبَ الفانيةَ لتهلَكُ فِي طلبِها ، وتشقىٰ فِي منقلبِها ، والّتِي تجهدُ فِي اقتناءِ الرغائبِ الباقيةِ لتدركُ طلبَها ، وتسعدُ فِي منقلبِها .

يا نفسُ :

إنَّ الدنيا لمفسدةُ الدين ، ومسلبةُ اليقين[2] ، وإنّها رأسُ[3] الفتن ، وأصلُ المحن . وإنّ خيرَ المالِ ما اكتسبَ ثناءً وشكراً ،

---

(١) في (ب) : (وابعده) .

(٢) في (أ) : (إن الدنيا المفسدة الدين مسلبة اليقين) .

(٣) في (أ) : (لرأس) .

وأوجب ثواباً وأجراً ، وإنَّ أخيبَ الناسِ سعياً رجلٌ أخلقَ[1] بدنَهُ فِي طلبِ أمانِيَه[2] ، ولمْ تسعدْهُ المقاديرُ علىٰ ما أرادَهُ واجتهدَ فِيهِ . فخرجَ منَ الدنيا بحسراتِه ، وقدمَ علىٰ الآخرةِ بتبعاتِه . والكيّسُ منْ كانَ لشهوتِهِ مانعاً ، ولنزوتِهِ[3] عندَ الحفيظةِ قامعاً .

يا نفسُ :

إنَّ تقوىٰ اللّهِ عمارةُ الدين ، وعمادُ اليقين . وإنّها لمفتاحُ الفلاح[4] ، ومصباحُ النجاح . وهيَ فِي اليومِ الحرزُ والجُنَّة ، وفي غدٍ الطريقُ إلىٰ الجنَّة . مسلكُها واضح ، وسالكُها رابح . وإنَّ المتقينَ ذهبُوا بعاجلِ الدنيا والآخرة ، شاركُوا أهلَ الدنيا فِي الدنيا ولمْ يشاركْهمْ[5] أهلُ الدنيا فِي الآخرة[6] . بالتقوىٰ ينجُو الهارب ، وتُنجحُ المطالب ، وتُنالُ[7] الرغائب .

يا نفسُ :

إنَّ منْ هوانِ الدنيا علىٰ اللّهِ : أنْ لا يُعصىٰ إلّا فيها ، ولا يُنالُ ما عندَهُ إلّا بتركِ ما لديْها . فعيشُها عناء ، وبقاؤُها فناء . لذّاتُها تنقيص ، ومواهبُها تغصيص . سريعةُ الزوال ، وشيكةُ

---

(١) أي : أبلى . اللسان ١٠ : ٨٩ خلق .
(٢) في (أ) : (الفانية) .
(٣) النزو : الوثبان . اللسان ١٥ : ٣١٩ نزا .
(٤) في (أ) : (الصلاح) .
(٥) في (أ) : (ولم يشاركونهم) .
(٦) في (أ) : (بالآخرة) .
(٧) في (ب) : (وتباذل) .

الانتقال . تقبلُ إقبالَ الطالب ، وتدبرُ إدبارَ الهارب . وتصلُ مواصلةَ المَلول . وتفارقُ مفارقةَ العجول . تصلُ العطيَّةَ بالرزيّة ، والأُمنيّةَ بالمنيّة . خيرُها زهيد[1] ، وشرُّها عتيد[2] . وملَكُها يسلب ، وعامرُها[3] يخرب .

يا نفسُ :

إنّ الدنيا لهيَ الكَنودُ[4] العَنود[5] ، والصَّدودُ[6] الجَحود[7] ، والحَيودُ المَيود[8] . عزّها ذلّ ، وجدُّها هزل ، وكثرُها قلّ ، وعلوُها سفلٌ ، غرورٌ حائل ، وظلٌّ زائل ، وسناءٌ مائل . عيشُها قصير ، وخيرُها يسير . وإقبالُها خديعة ، وإدبارُها فجيعة ، ولذّاتُها فانية ، وتبعاتُها باقية . فِي حلالِها حساب ، وفِي حرامِها عقاب . منِ استغنىٰ فيها فُتن ، ومنِ افتقرَ فيها حزن .

يا نفسُ :

إنَّ الدنيا دارُ شخوص ، ومحلّةُ تنغيص . ساكنُها ظاعن[9] ،

---

(١) الزهيد : القليل . الصحاح ٢ : ٤٨١ زهد .

(٢) العتيد : الحاضر المهيّأ . مجمع البحرين ٣ : ٩٨ عتد .

(٣) في (ب) : (وعاملها) .

(٤) في (أ) : (الكند : النعمة كفرها ، وأرض كنود : لا تنبت) .

(٥) العنود بالضم : الجور والميل ، والعنيد والعنود والمعاند واحد وهو : المعارض لك بالخلاف عليك . مجمع البحرين ٣ : ١٠٩ عند .

(٦) الصد : الإعراض . اللسان ٣ : ٢٤٥ صدد .

(٧) الجحد والجحود : نقيض الإقرار كالاقرار والمعرفة . اللسان ٣ : ٦ . اجحد .

(٨) ماد الشيء يميد ميداً : تحرك ومال . اللسان ٣ : ٤١١ .

(٩) أي : مرتحل . مجمع البحرين ٦ : ٢٧٨ ظعن .

وقاطنُها[1] بـائن[2] . وبرقُهـا خالب[3] ، ونـطقُها كـاذب . وأموالُهـا مخروبة[4] ، وأعلاقُها[5] مسلوبة ، ولذّاتُهـا[6] قليلة ، وحسرتُهـا طويلة . غرارةٌ غرور مٰا فيهٰا ، فانيَـةٌ فانٍ منْ عليهٰـا . تشوبُ نعيمَهـا ببـوس ، وتقرنُ سعـودَهـا بنحـوس . وتصـلُ نفعَهـا بضـرّ ، وتمـزجُ حلوَهٰا بمرّ .

يا نفسُ :

إنَّ الـدنيٰا دارُ محن ، ومحـلُّ فتن . غـرّارةٌ خـدوع ، معـطيـةٌ منـوع ، ملبسـةٌ نـزوع ، تـدنِي الآجـال ، وتبـاعـدُ الآمـال ، وتبيـدُ الرّجال ، وتغيِّرُ الأحوال . لا يـدومُ رخاؤُهـا ، ولا ينقضِي عناؤُهـا ، ولا يـركدُ بـلاؤُهٰا . قـدْ أمَّر منهـا ما كـانَ حلواً ، وكدَّر منهـا ما كـانَ صفواً . منْ صارَعها صرعتـه ، ومنْ غالَبَهـا غلبتْه ، ومنْ أبصـرَ إليهٰا أعمتْه ، ومنْ أبصرَ بهٰا بصّرتْه ، ومنْ عاصٰاها أطاعتْه ، ومنْ ساعاهٰا فاتتْه ، ومنْ تركهٰا نالتْه[7] .

---

(١) القطون : الإقامة . اللسان ١٣ : ٣٤٢ قطن .

(٢) أي : منفصل : اللسان ١٣ : ٦٤ بين .

(٣) أي : خديعة . مجمع البحرين ٢ : ٥٢ خلب .

(٤) في (أ) : (قوله : مخروبة أي : مأخوذة ، وخرب الرجل فهو خريب ومخروب : إذا أخذ ماله كله ، وقولهم : يصبر الرجل على الثكل ولا يصبر على الخرب ، أي : يصبر على موت ولده ولا يصبر على أخذ ماله) .

(٥) في (أ) : (وأعلاقها أي : نفائسها ، والعلق بالكسر : الشيء النفيس) .

(٦) في (أ) : (ولذتها) .

(٧) في (أ) : (أتته) .

يا نفسُ :

إنَّ الدنيا دارٌ بالبلاءِ معروفة ، وبالغدرِ موصوفة . لا تدومُ أحوالُها ، ولا يسلمُ نزّالُها . العيشُ فيها مذموم ، والأمانُ فيها معدوم . ألا وهيَ المتصديةُ للعيون ، والجامعةُ للحزونِ ، والمائنة[1] الخئونِ . تعطِي وترتجعُ ، وتنقادُ وتمتنع . وتوحشُ وتؤنسُ ، وتطمعُ وتؤيس . يعرضُ عنها السعداء ، ويرغبُ فيها الأشقياء .

يا نفسُ :

إنَّ الدنيا ظلَّ الغمام ، وحلمُ المنام . والفرحُ الموصولُ بالغمِّ ، والعسلُ المشوبُ بالسمِّ . سلّابةُ النعم ، أكّالةُ الأُمم ، جلّابةُ النقم . نعيمُها ينتقل ، وأحوالها تبتدل . لا تفِي لصاحب ، ولا تصفُو لشارب . ولا تبقَىٰ علَى حالة ، ولا تخلُو منِ استحالة . تصلحُ جانباً بفسادِ جانب ، وتسرُّ صاحباً بمساءةِ صاحب .

يا نفسُ :

إنَّ الدنيا يَوْنَقُ[2] منظرُها ، ويوبق[3] مخبرُها . ولا تدومُ خبرتُها[4] ، ولا تُؤمنُ فجعتُها . حائلةٌ زائلة ، نافذةٌ بائدة ، أكّالةٌ

---

(١) أي : الكاذبة . اللسان ١٣ : ٤٢٦ مين .

(٢) قال الخليل في العين ٥ : ٢٢١ أنق : (الأنق : الاعجاب بالشيء . . . وآنقني الشيء يونقني إيناقاً وإنه لأنيق مونق : إذا أعجبك حسنه) .

(٣) أي : يهلك . اللسان ١٠ : ٣٧٠ وبق .

(٤) أي : جمالها وحسنها . مجمع البحرين ٣ : ٢٥٦ حبر .

غـوّالة ، غـرّارةٌ ضرّارة . فـالكون فيهـا خطر ، والثقـةُ بها غـرر[1] . والإخـلادُ إليهـا محـال ، والإعتمـادُ عليهـا ظـلال . لمْ يصِفهـا اللّهُ لأوليـائـه ، ولمْ يضنّ[2] بهـا علىٰ أعـدائـه . وهيَ والآخـرةُ عـدوانِ متفاوتان ، وسبيـلانِ مختلفان . فمنْ أحبَّ الـدنيا وتـوالاها ، أبغضَ الآخرةَ وعاداها .

يا نفسُ :

إنْ جـزعتِ علىٰ ما تفلَّتَ منْ يـديك ، فـاجـزعي علىٰ مـا لمْ يصلْ إليك . وإنْ كنتِ فِي البقـاءِ راغبةً فـازهدِي فِي عـالمِ الفناء ، وإنْ كنتِ للنعيمِ طـالبةً فـاعتقِي نفسـكِ منْ دارِ الشقـاء . وأراكِ إنْ دعيتِ إلىٰ حـرثِ الآخـرةِ كسلت ، وإنْ دعيتِ إلىٰ حـرثِ الـدنيـا عملتِ ، وإنْ سقمتِ نـدمت ، وإنْ عـوفيتِ نسيت . تـواقعينَ الحوبَة[3] ، وتتكلين علىٰ التـوبَة . فـأحسني الإستعدادَ والإكثـارَ منَ الـزادِ ليـومٍ تقـدمينَ علىٰ مـا قـدّمت ، وتنـدمينَ علىٰ مـا خلّفت ، وتجازينَ علىٰ ما أسلفت .

يا نفسُ :

إنّكِ إنْ سالمتِ اللّهَ سلمتِ وفزت ، وإنْ حاربتِ اللّهَ خربتِ وهلكت . وإنْ أقبلتِ علىٰ الـدنيـا أدبـرَت ، وإنْ أدبـرْتِ أقبلَتْ . وإنّـكِ إنْ أطعتِ اللّهَ نجّـاكِ وأصلحَ مثـواك . وإنْ أطـعتِ هـواكِ

---

(١) في (أ) : (فالكون فيها خطير والثقة فيها غرور) .
(٢) أي : ولم يبخل . المفردات ٢٩٩ ضنن .
(٣) أي : الإثم . مجمع البحرين ٢ : ٤٧ حوب .

أصمَّكِ وأعماك وأفسدَ منقلبَكِ وأرداك ، وإنْ ملّكتِ هواكِ قيادَكِ أفسدَ معادَكِ وأرداك[1] . بلاءٌ لا ينتهِي ، وشقاءٌ لا ينقضِي .

يا نفسُ :

إنّكِ إنْ اغتنمتِ صالح الأعمالِ نلتِ منَ الآخرةِ نهايةَ الآمال ، وإنّكِ إلىٰ مكارمِ الأخلاقِ والأفعالِ أحوجُ منكِ إلىٰ جمعِ الأموال ، وإنّكِ إلىٰ إعرابِ الأعمالِ أحوجُ منكِ إلىٰ إعرابِ الأقوال . وإنّكِ إلىٰ اكتسابِ الأدب ، أحوجُ منكِ إلىٰ اكتسابِ الفضّةِ والذهب . وإنّكِ إنْ رغبتِ فِي الدنيا أفنيْتِ عمرَك ، وأبقيتِ وزرَك . وإنْ زهدتِ خلصْتِ منَ الشقا ، وفزْتِ بدار البقا ، فاصبرِي علىٰ البلا ، واشكرِي فِي الرخا ، وارضِي بالقضا ، يكونُ لكِ منَ اللّهِ الرّضىٰ .

يا نفسُ :

منْ كلامِ سيّدِ الوصيّينَ أميرِ المؤمنينَ (صلوات الله عليه) لرجلٍ سألهُ الموعظَة ، ومنْ رقدةِ الغفلةِ أنْ يوقظَه : لا تكنْ ممّنْ يرجُو الآخرَة بغيرِ عمل ، ويرجُو التوبةَ بطول الأمل . يقولُ في الدنيا بقولِ الزاهدين ، ويعملُ فيها بعملِ الراغبين . إذا أُعطيَ منها لمْ يشبَع ، وإن مُنع منها لم يقنَع . يعجزُ عنْ شكرِ ما أُوتيَ ، ويبتغِي منها الزيادةَ فيما بقي . ينهىٰ ولا ينتهي ، ويأمرُ بما لا يأتِي . إنْ أصابهُ بلاءٌ دعا مضطرّاً ، وإنْ نالهُ رخاءٌ أعرضَ مغترّاً .

---

(١) في (أ) : (أفسدت معادك وأوردك) .

يقصرُ إذا عمل ، ويبالغُ إذا سئل . يصفُ العبرةَ ولا يعتبر ، ويبالغُ فِي الموعظةِ ولا يزدجر . فهوَ بالقولِ مدلّ ، ومنَ العملِ مقلّ . يناقشُ فيما يفنىٰ ، ويسامحُ فيما يبقىٰ . يرىٰ المغنمَ مغرماً ، والمغرمَ مغنماً . يخشىٰ الموت ، ولا يبادرُ الفوت . يستعظمُ عنْ معصيةِ غيرهِ ما يستقلُّهُ منْ معاصِي هواه ، ويستكثرُ منْ طاعتهِ ما يستحقرُهُ منْ طاعةِ سواه . فهوَ علىٰ الناسِ طاعن ، ولنفسِه مداهن . يهوىٰ داراً أوّلها عناء ، وآخرها فناء . فِي حلالِها حساب ، وفِي حرامِها عقاب . منِ استغنىٰ فيها افتتن ، ومنِ افتقرَ فيها حزن . منْ سعىٰ إليها فاتته ، ومنْ قعدَ عنها أتته . منْ أبصرَ بها بصّرتهُ ، ومنْ أبصرَ إليها أعمته .

فقال (عليه السلام) : دنياكَ مثلُ الشمسِ تدنِي إليكَ الضوءَ لكنْ وعرةُ المسلك ، إذا أبصرتَ إلى نورِها تعشُ وإنْ تبصرَ بهِ تدرك .

يا نفسُ :

إنّما الكرمُ التنزُّهُ عنِ المساوِي ، والورعُ التطهُّرُ عنِ المعاصِي .

واعلمِي : أنَّ آفةَ العقلِ الهوىٰ ، وآفةَ النفسِ الولهُ بالدنيا . وآفةَ الطاعةِ العصيان ، وآفةَ النعمِ الكفران . وآفةَ الأعمالِ عجزُ العمّال ، وآفةُ الآمالِ حضورُ الآجال . والبصيرُ منْ سمع ففكّر ، ونظرَ وأبصر ، وانتفع بالعبر . والسعيدُ منْ خافَ العقابَ فآمن ، ورجا الثوابَ فأحسن .

يا نفسُ :

إذا كانَ البقاءُ لا يوجدُ فالنعيمُ زائل ، وإذا كانَ القدرُ لا يردُّ فالإحتراسُ باطل .

واعلمِي : أنّهُ بالعفافِ تزكُو الأعمال ، وبالصدقةِ تفسخُ الآجال ، وبالطاعةِ يكونُ الإقبال . وأنّ اللّهَ تعالىٰ إذا أحبّ عبداً بغّضَ[1] إليهِ المال ، وقصَّرَ منهُ الآمال .

يا نفسُ :

إنّكِ ستؤاخذين بقولِكِ فلا تقولِي إلّا خيراً ، وتجازينَ بفعلكِ فلا تفعلِي إلّا برّاً . وإنّهُ بقدرِ اللذةِ يكونُ التغصيص ، وبقدرِ السرورِ يكونُ التنغيص . وبالطاعةِ تحصلُ المثوبةُ لا بالكسل ، وبالعملِ تحصلُ الجنّةُ لا بالأمل . وبالأعمالِ الصالحات ترفعُ الدرجات ، وبالتوبةِ تمحّصُ السيئات . وبادرِي العملَ عمراً ناكساً ، ومرضاً حابساً ، وموتاً خالساً .

يا نفسُ :

حبّ الرئاسةِ رأسُ المحنِ ، وحبُّ المالِ سببُ الفتنِ ، وحبُّ الدنيا يوهنُ الدين ، ويفسدُ اليقين . وحقٌّ يضرّ ، خيرٌ منْ باطلٍ يسرّ . وخيرُ الأعمالِ ما قضىٰ اللوازمَ واكتسبَ شكراً ، وخيرُ الأموالِ ما أعانَ علىٰ المكارهِ[2] واسترقَّ حرّاً . وخيرُ الناسِ منْ

---

(١) في (ب) : (أبغض) .

(٢) في (ب) : (المكارم) .

إذا أُعطيَ شكر ، وإذا ابتُليَ صبر ، وإذا ظلمَ غفر ، وإذا أحسنَ استبشر ، وإذا أساءَ استغفر .

يا نفسُ :

حاصلُ المعاصِي التلف ، وحاصلُ الأمانِي الأسفُ ، وحاصل التواضعِ الشرف . ودركُ الخيراتِ ونيلُ السعادات ، بلزومِ الطاعاتِ والأعمالِ الزاكيات .

واعلمِي : أنَّ دوامَ الفكرِ ، والحذرِ يؤمنُ منَ الزللِ والعثرِ ، وأنَّ دوامَ الإعتبارِ يؤدِّي إلىٰ الاستبصارْ ، ويثمرُ الإزدجار . وأنَّ ذهابَ البصرِ خيرٌ منْ عمىٰ البصيرة ، وذهابُ النظرِ خيرٌ منَ النظرِ إلى ما يوجبُ الجريرةِ .

يا نفسُ :

رحمَ اللّهُ امرأً قصّرَ الأمل ، وبادرَ الأجل ، واغتنَمَ المهَلَ ، وأحسَنَ العمل .

ورحمَ اللّهُ امرأً ألجمَ نفسَهُ عنِ معاصِي اللّهِ بلجامِهٰا ، وقادَها إلىٰ طاعةِ اللّهِ بزمامِهٰا . فردَي منْ طولِ أملِكِ في قصرِ أجلِك ، ولا تغرنَّكِ صحةُ نفسكِ وسلامةُ أمسك . فإنَّ مدةَ العمرِ قليلة ، وسلامةُ الجسمِ مستحيلة .

شعرٌ :

كلُّ حياةٍ إلىٰ ممات وكلُّ ذِي جدَّةٍ تحولُ
كيفَ بقاءُ الفروعِ يوماً وقدْ ذوتْ[1] دونَها الأُصولُ

---

[1] أي : يبست . مجمع البحرين ١ : ١٦٠ ذوى .

يا نفسُ :

زهـدُكِ فِي الدنيـا ينجيـك ، ورغبتُـكِ فيهـا تـرديـك . وسببُ الشقـاءِ حبُّ الدنيـا ، وسببُ فسادِ العقـلِ الهـوىٰ . وسببُ صـلاحِ النفسِ الورع ، وسببُ فسادها الطمع .

واعلمِي : أنَّ شرَّ الناسِ : الطويلُ الأمـل ، السّيءُ العمل . الّـذي ينصرُ الـظلوم ، ويعينُ علىٰ المـظلومِ . وشـرُّ النـاسِ منْ لا يُرجىٰ خيرُهُ ، ولا يُؤمنُ شرُّه .

يا نفسُ :

شتّـانَ بينَ عمـلٍ تـذهبُ لـذّتُـهُ وتبقىٰ تبعتـه ، وبينَ عمـلٍ تذهب مؤنتُهُ وتبقىٰ مثوبتُه .

واعلمِي : أنَّ شيمـةَ العقلاءِ قلّةُ الشهـوةِ والغفلة[1] ، وسجيّـةُ الأتقيـاءِ اغتنـامُ المهلةِ والتـزوّدُ للرحلة . فشقِّي أمـواجَ الفتنِ بسفنِ النجـاة ، وشـوّقِي نفسـكِ إلىٰ نعيمِ الجنّـات . تحبّينَ المـوتَ ، وتمقتينَ الحياة .

يا نفسُ :

طـوبىٰ لمنْ راقبَ ربَّه ، وخـافَ ذنبَه ، وشغـلَ بالفكـرِ قلبه . وطوبىٰ لمنْ أطاعتْ نفسُهُ ناصحاً يهدِيه ، وتجنَّبَتْ غاويـاً يردِيـه[2] . قصّر همّتَهُ علىٰ ما يعنيه ، وجعلَ كلَّ جدِّهِ لما ينجِيه . وطوبىٰ لمنْ

---

(١) أي : وقلة الغفلة ، وفي (ب) : (والعفة) .

(٢) في (أ) : (وطوبى لمن أطاع ناصحاً يهديهْ وتجنّب غاوياً يرديه) .

بـادرَ أجلَه ، وأخلَصَ عملَهُ ، وقصّـرَ أملهُ ، واغتنمَ مهلَهُ . وطـوبىٰ لمنْ كـذّبَ منـاهُ وأخـربَ دنيـاهُ لعمـارةِ أُخـراهُ . وملكَ هـواهُ ولمْ يملكـه ، وعصىٰ أمـرَ نفسـهِ فلمْ تهلكـه . وطـوبىٰ لـمنْ تـحلّىٰ بـالعفاف ، ورضيَ بـالكفاف ، وتجنّبَ الإسـراف وندمَ علىٰ زلّتـه ، واستـدركَ فـارطَ عثـرتـه . وطـوبىٰ لمنْ بـادرَ الهـدىٰ قبـلَ أنْ تُغلقَ أبوابُه ، والعملَ الصالحَ قبلَ أنْ تنقطعَ أسبابُه .

يا نفسُ :

طلبُ الجمعِ بينَ الدنيـا والآخرةِ منْ خـداعِ النفس ، وطالبُ الخيـرِ بعملِ الشـرِّ فاسـدُ العقلِ والحسّ . وطـالبُ الدنيـا بـالـدينِ معاقبٌ مذمومٌ وضلالـة[1] ، وطالبُ المراتبِ والدرجـاتِ بغيرِ عمـلٍ جهالة . وطلبُ الجنّةِ بلا عمـلٍ حمق ، وطلبُ الثناءِ بغيـرِ استحقاقٍ خرق[2] . وطالبُ الآخرةِ يدركُ منها أملهُ ، ويأتيهِ منَ الدنيـا ما قـدِّرَ له . وطالبُ الـدنيا تفـوتهُ الآخـرَة ، ولا يدركُ منَ الـدنيا إلّا الصفقـةَ الخاسرَة .

يا نفسُ :

طاعة دواعِي الشرور ، تفسدُ عواقبَ الأُمور . ولقدْ ظفرَ بجنّةِ المأوىٰ ، منْ غلبَ الهوىٰ وأعرضَ عنْ شهواتِ الدنيا .

وعليـكِ : بلزومِ اليقين ، وتجنّبِ الشـكِّ فِي الـدين . فليسَ للمرءِ شيءٌ أهلكَ لدينه ، منْ غلبةِ الشكِّ علىٰ يقينه .

---

(١) في (أ) : (ذو ضلالة) .

(٢) في (أ) : (الخرق بالضم : خلاف الرفق ، ورجل خرق أي أحمق ، قاله المطرزي) .

وعليكِ : بالوفاءِ فإنّهُ أوقىٰ جُنّة[1] ، وبالعملِ الصالحِ فإنّهُ الزادُ إلىٰ الجنّة .

وعليكِ : بالصبرِ والورعِ فإنّهما عونُ الدينِ ، والجصنُ الحصينِ ، وشيمةُ المخلصين ، وعادةُ الموقنين .

يا نفسُ :

عليكِ : بلزومِ العفّةِ والأمانة ، وتركِ فسادِ النيّةِ والجنايةِ[2] . فإنَّ ذلكَ أشرفُ ما أسررت ، وأحسنُ ما أعلنت ، وأفضلُ ما ادّخرت .

وعليكِ : بصنائعِ الإحسان ، وحسنِ البرِّ بذوِي الرحمِ والجيرانِ . فإنّهما يعمّرانِ الديارِ ، ويزيدانِ فِي الأعمار .

وعليكِ : بلزومِ الصبر ، ودوامِ الشكر . فإنّهما يزيدانِ فِي النعمَة ، ويزيلانِ النقمَة .

يا نفسُ :

علىٰ قدرِ العقلِ تكونُ الطاعة ، وعلىٰ قدرِ العفّةِ تكونُ القناعة . وعندَ اشتدادِ القرح ، تبدُو مطالع الفرح[3] . وعندَ الإمتحانِ ، يُكرمُ الرجلُ أو يُهان . وعلى قدرِ البلاء ، يكونُ الجزاء . وعندَ كثرةِ العثارِ والزللِ تكثرُ الملامة ، وعندَ معاينةِ

---

(١) بالضم والتشديد : السترة . مجمع البحرين ٦ : ٢٢٩ جنن .

(٢) في (ب) : (والخيانة) .

(٣) في (أ) و(ب) جملة : (وعند اشتداد القرح تبدو مطالع الفرح) غير واضحة القراءة ، فأثبتنا ما استظهرناه موافقاً للسجع والمعنى ، والله العالم .

أهوالِ القيامةِ تكثرُ منَ المفرّطينَ الندامة .

يا نفسُ :

عجباً لمنْ خافَ البياتَ[1] فلمْ يكفّ ، ولمنْ عرفَ سوءَ عواقبِ اللذاتِ فلمْ يعفّ[2] . وعجباً لمنْ يقنطُ ومعهُ نجاةُ الإستغفار ، ولمنْ علم شدّةِ انتقام اللّهِ سبحانهُ وهوَ مقيمٌ علىٰ الإصرار . وعجباً لمنْ عرفَ أنّهُ منتقلٌ[3] عنْ دنياه ، كيفَ لا يحسنُ التزوّدَ لأُخراه . وعجباً للشقيِّ البخيلِ يتعجّلُ الفقرَ الّذِي منهُ هرب ، ويفوتهُ الغنىٰ الّذي إيّاهُ طلب . فيعيشُ فِي الدنيا عيشَ الفقراء ، ويُحاسبُ فِي الآخرةِ حسابَ الأغنياء . وعجباً لمنْ يتكلّمُ بمٰا لا ينفعهُ فِي دنياه ، ولا يكتبُ له أجرهُ فِي أُخراه .

يا نفسُ :

عودكِ إلىٰ الحقِّ خيرٌ منْ تماديكِ فِي الباطل ، وعداوةُ العاقلِ خيرٌ منْ صداقةِ الجاهل . وعبدُ الشهوةِ أذلُّ منْ عبدِ الرقِّ ، ولا يجدُ أبداً حلاوة العتق[4] . وعبدُ الحرصِ مخلّدُ

---

(١) في (أ) : (أن يأتيه أمر يهلكه في الليل وهو غافل عنه ، وبيّتوا العدوّ : أتوهم ليلاً ، وقوله : ﴿فجاءها بأسنا بياتاً﴾ [٧ : ٤] أي : ليلاً ، وبيت فلان على رأيه : إذا فكّر فيه ليلاً ، ومنه قوله : ﴿إذ يبيّتون ما لا يرضىٰ من القول﴾ [٤ : ١٠٨] والاسم : البيات ، وقوله : ﴿والله يكتب ما يبيّتون﴾ [٤ : ٨١] أي : ما يدرون ويقدّرون من السوء ، وقوله : ﴿لنبيّتنّه﴾ [٢٧ : ٤٩] أي : لنوقعن به بياتاً ، أي : ليلاً) .

(٢) من العفة ، وهي : الكفّ عما لا يحل ويجمل من المحارم والأطماع الدنية . اللسان ٩ : ٢٥٣ عفف .

(٣) في (أ) : (منقل) .

(٤) في (أ) : (الرق) .

الشقاء ، وعبدُ الدنيا مؤيّدُ البلاءِ . وقلبٌ متعلقٌ بالشهوات ، غيرُ منتفعٍ بالعظات .

يا نفسُ :

عيشكِ من الباطلِ أرضاكِ ، وبالملاهِي والهزالِ أغراكِ .

واعلمِي : أنَّ في ذكرِ اللّهِ حياةُ القلوب ، وفِي رضاهُ غايةُ المطلوب . وفِي الطاعةِ كُنوزُ الأرباح ، وفِي مجاهدةِ النفسِ كمالُ الصلاح ، وفِي العُزوبِ عنِ الدنيا نيلُ النجاح ، وفِي العملِ لدارِ البقاءِ إدراكُ الفلاح . ألا وفِي كلِّ لحظةٍ أجل ، وفِي كلِّ وقتٍ عمل . وفِي كلِّ نَفسٍ موت ، وفِي كلِّ وقتٍ فوت ، وفِي كلِّ حسنةٍ مثوبة ، وفِي كلِّ سيئةٍ عقوبة .

يا نفسُ :

اتّقِ اللّهَ تقيةَ منْ سمعَ فخشعَ ، واقترفَ فاعترفَ ، ووجلَ فعملَ ، وحاذرَ فبادرَ ، فتداركَ فارطَ الزلل ، واستكثرَ منْ صالحِ العمل . فيا فوزَ منْ أصلحَ عملَ يومه ، واستدركَ فوارطَ أمسه . ويا ظفرَ منْ غلبَ هواه ، وملكَ دواعيَ نفسه . واستصبحَ بنورِ الهدىٰ ، وخالفَ دواعيَ الهوىٰ . وجعلَ الإيمانَ عُدّةَ معاده ، والتقوىٰ خيرَ ذخرهِ وأفضلَ زاده .

يا نفسُ :

قليلٌ تحمد مغبّته[1] ، خيرٌ منْ كثيرٍ تضرُّ عاقبتُهُ . وقرينُ

(١) أي : عاقبته . مجمع البحرين ٢ : ١٣٠ غبب .

الشهـوات ، أسيرُ التبعـات ، ورهينُ السيئات . ومـا فـاتَ اليـوم منَ الرزقِ تُرجىٰ غـداً زيادتُـهُ ، وما فـاتَ أمسُ منَ العمرِ لمْ يـرجَ العمرُ رجعتُه . فتفكّري واعتبري تهتدِي ، وتزوّدِي للآخرةِ تسعدِي .

يا نفسُ :

كـلُّ طامـعٍ أسير ، وكـلُّ حريصٍ فقيـر . وكلُّ متـوقّعٍ آت ، وكلُّ جمعٍ إلىٰ شتات . وكلُّ مقتصرٍ عليهِ كـاف ، وكلُّ مـا زادَ علىٰ الاقتصـادِ إسراف . وكـلُّ يومٍ يفيـدُكِ عبرة ، وإنْ أصحبتِـهِ فكـرة . وكـلُّ قربٍ[1] دان ، وكـلُّ أربـاحِ الـدنيـا خسـران . وكـلُّ مـدّةٍ منَ الدنيا إلى انتهاء ، وكلُّ حيٍّ فيهٰا إلىٰ فناءٍ .

يا نفسُ :

كمْ منْ أكلةٍ منعتْ أكـلات ، وكمْ منْ لذّةٍ دنيّـةٍ منعتْ سنِيَّ[2] درجات . وكمْ منْ مؤمّلٍ ما لا يدركُـه ، وجامـعٍ ما سـوفَ يتركُـهُ . وكمْ منْ مغرورٍ بالسترِ عليهِ ، وكمْ منْ مستـدرج[3] بالإحسـانِ إليه . وكمْ منْ صائمٍ ليسَ لهُ منْ صيـامهِ إلاّ الـظماء ، وقـائمٍ ليس لهُ منْ قيـامهِ إلاّ العنـاء . وكمْ منْ حزينٍ وفـدَ بهِ حـزنُهُ علىٰ سـرورِ الأبدِ ، وفرحٍ أفضىٰ بهِ فرحُهُ إلىٰ حزنٍ مخلّد .

---

(١) في (أ) : (قريب) .
(٢) أي : علوّ . اللسان ١٤ : ٤٠٣ سنا .
(٣) في (أ) : (مسترج) .

يا نفسُ :

كيفَ يملكُ الورع ، منْ يملكهُ الطمعُ ؟! وكيفَ يهتدي الضليل ، معَ غفلةِ الدليلُ ؟! وكيفَ يستطيعُ الهدىٰ ، منْ يغلبُهُ الهوىٰ ؟! وكيفَ يستأنسُ باللّهِ منْ لا يستوحشُ منَ الخلقِ ؟! وكيفَ يجدُ حلاوةَ الإيمانِ منْ يسخطهُ الحق ؟! وكيفَ يفرحُ بعمرٍ تنقصهُ[1] الساعات ، ويغترُّ بسلامةِ جسمٍ معرّضٌ للآفات ؟!

يا نفسُ :

كفىٰ بالغفلةِ ضلالاً ، وكفىٰ بجهنَّمَ نكالاً . وكفىٰ بالقناعةِ ملكاً ، وكفىٰ بالشرّةِ هلكاً . وكفىٰ بالقرآنِ داعياً ، وبالشيبِ ناعياً . وكفىٰ بالتواضعِ شرفاً ، وبالتكبّرِ تلفاً . وكفىٰ بالرجلِ سعادةً أن يعزفَ عمّا يفنىٰ ، ويتولّه بمْا يبقىٰ . وكفىٰ بالظلمِ سالباً للنعمة ، وجالباً للنقمة .

يا نفسُ :

كيفَ [تبقين] علىٰ حالتك ، والدهرُ فِي إحالتك . فكوني لهواكِ غالبة ، ولنجاتِكِ طالبَة ، وبمالكِ متبرعة ، وعنْ مالِ غيركِ متورعة . جميلةَ العفوِ إذا قدرت ، عاملةً بالعدلِ إذا ملكت . لعقلكِ مسعفة[2] ، ولهواكِ مسوقةً . وكوني فِي الفتنةِ كابنِ اللبونِ لا ضرعٌ فيحلب ، ولا ظهرٌ فيركب .

---

(١) في (ب) : (منقصة) .

(٢) أي : معينة . مجمع البحرين ٥ : ٧٠ سعف .

يا نفسُ :

كذبَ منِ ادّعىٰ اليقينَ بالبانِي[1] ، وهوَ موصلٌ للفانِي . كلاّ لنْ يفوزَ بالجنّةِ إلاّ الساعِي لهٰا ، ولنْ ينجُوَ منَ النارِ إلاّ التاركُ عملَهٰا . ولنْ يلقىٰ جزاءَ الشرِّ إلاّ عاملَهُ ، ولنْ يجزىٰ جزاءَ الخيرِ إلاّ فاعلُهُ . ولنْ يجوزَ الصراطَ إلاّ منْ جاهدَ نفسَه ، ولنْ يحرزَ العلمَ إلاّ منْ يطيلُ درسَهُ .

يا نفسُ :

ليسَ بخيرٍ منَ الخيرِ إلاّ ثوابُهُ ، وليسَ بشرٍّ منَ الشرِّ إلاّ عقابُه . وليسَ معَ الصبرِ مصيبة ، ولاٰ معَ الجزعِ مثوبة . وليسَ لمتكبّرٍ صديق ، وليسَ لشحيحٍ رفيق . وليسَ لكِ بأخٍ منِ احتجتِ إلىٰ مداراتِهِ ، أو أحوجَكِ إلىٰ مماراتِه . ليسَ شيءٌ أعزَّ[2] منَ الكبريتِ الأحمرِ إلاّ ما بقىٰ منْ عمرِ المؤمنِ ، ولا ثوابٌ عندَ اللّهِ أعظمَ منْ ثوابِ السلطانِ العادلِ والرجلِ المحسنِ .

يا نفسُ :

لمْ يوفّقْ منْ بخلَ علىٰ نفسِه بخيرهِ ، وخلّفَ مالَهُ لغيره ، ومنْ أصلحَ نفسَهُ ملكَهٰا ، ومنْ أهملَهٰا أهلكَهٰا . ومنْ أكرمَهٰا أهانتْهُ ، ومنْ وثقَ بهٰا خانتْه ومنْ ملكَهُ هواء ضلَّ ، ومنْ استعبدَهُ الطمَعُ ذلَّ . ومنْ أطاعَ نفسَهُ قتلَهٰا ، ومنْ عصاهٰا وصلَهٰا . ومنْ

---

(١) في (أ) : (بالباقي) .

(٢) في (ب) : (أحب) .

ملكها علا أمرُه ، ومنْ ملكتْهُ ذلَّ قدرُه .

يا نفسُ :

منْ أخذَ بالحزمِ استظهر ، ومنْ أضاعهُ تهوّر . ومنْ أسرعَ المسيرَ أدركَ المقيل ، ومنْ أيقنَ بالنقلةِ تأهّبَ للرحيل . ومنْ بخلَ بمالهِ ذلَّ ، ومنْ بخلَ بذنبهِ جلَّ ، ومنْ أُعجبَ برأيهِ ضلَّ ، ومنْ ركبَ هواهُ زلَّ . ومنْ زرع العدوان ، حصدَ[1] الخسران . ومنْ عملَ للمعادِ ، ظفرَ بالسدادِ ، ومنْ فعلَ ما شاء ، لقيَ ما شاء .

يا نفسُ :

منْ منعَ برّاً ، منعَ شكراً . ومنْ أحقرَ رِمّة[2] ، اكتسبَ مذمّة . ومنْ لزمَ الإستقامة ، لمْ يعدمِ السلامة . ومنْ أعطىٰ التوبة لمْ يحرمِ القبول ، ومنْ أخلصَ العملَ لمْ يعدمِ المأمول . ومنْ فعلَ الخيرَ فبنفسهِ بدا ، ومنْ فعلَ الشرَّ فعلىٰ نفسهِ اعتدىٰ .

واعلمِي : أنَّهُ لمْ يضعِ أمرءٌ مالَهُ فِي غيرِ محلِّهِ ، أوْ معروفَهُ فِي غيرِ أهلِهِ . إلّا حرمَهُ اللّهُ حمدهُم ، وكانَ لغيرهِ ودّهُم .

يا نفسُ :

منِ استقلَّ منَ الدنيا استكثرَ ممَّا يؤمنُهُ ، ومنِ استكثرَ منها استكثرَ ممّا يوبقُه ، ومنْ حسنتْ مساعيه ، طابتْ مراعيهِ ، ومنْ

---

(١) في (ب) : (حصل) .

(٢) بكسر الراء : العظام البالية . مجمع البحرين ٦ : ٧٥ رمم .

أصلحَ جوانِيَّه[1] ، أصلحَ اللّهُ برانِيَّه[2] ، ومنْ كثرَ تعدِّيه ، كثرتْ أعادِيَهُ . ومنْ طالتْ غفلتُه ، تعجَّلَتْ هلكتُهُ . ومنْ أحسنَ العملَ حسُنَتْ لهُ المكافاة ، ومنْ نصحَ فيهِ نصحتهُ المجازاة . ومن أطاعَ هواه ، باعَ آخرتَهُ بدنياه .

يا نفسُ :

منْ ترقّبَ الخيرَ تسارعَ إلىٰ الخيرات ، ومن اشتاقَ إلىٰ الجنّةِ سلاَ عنِ الشهوات ، ومنْ أشفقَ منَ النارِ اجتنبَ المحرّمات ، ومنْ أحبَّ الدارَ الباقيةَ لهىٰ[3] عن اللذات ، ومنْ عرفَ قدرَ نفسهِ لمْ يهنها بالفانيات ، ومنْ خافَ العقابَ انصرفَ عنِ السيئات ، ومنْ لمْ يقدِّم إخلاصَ النيّةِ فِي الطاعةِ لمْ يظفرْ بالمثوبات . ومنْ أسّسَ أساسَ الشرِّ أسّسهُ علىٰ نفسه ، ومنْ سلَّ سيفَ البغْي عمدَ فِي رأسه .

يا نفسُ :

منْ شاوَرَ ذوِي النهىٰ والألباب ، فازَ بالنجحِ والصواب . ومنْ كتمَ مكنونَ[4] رأيه ، عجزَ طبيبُهُ عنْ شفائه . ومنْ أصرَّ علىٰ ذنبه ، اجترأ علىٰ سخطِ ربّه . ومنْ أكثرَ منْ ذكرِ الآخرةِ قلَّتْ معصيتُهُ ، ومنْ كرُمَتْ عليهِ نفسُهُ هانتْ عليهِ شهوتُه . ومنِ اعتمدَ علىٰ الدنيا فهوَ محروم ، ومنْ جمعَ الحرصَ والبخلَ فقدْ استمسكَ

---

(١) أي : باطنه وسرّه . اللسان ١٤ : ١٥٧ جوا .

(٢) أي : ظاهره وعلانيته . اللسان ٤ : ١٥٧ جوا .

(٣) في (ب) : (نهى) .

(٤) أي : مستور ومخفيّ . مجمع البحرين ٦ : ٣٠٢ كنن .

بعمودَي اللؤم .

يـا نفـسُ :

مَنْ لَمْ يجهلْ[1] قليلاً لَمْ يسمعْ جميلاً ، ومَنْ لَمْ يـداوِ شهوتَـهُ بالتركِ لهـا لَمْ يزلْ عليـلاً . ومَنْ لَمْ يدارِ مَن دونَـهُ لَمْ ينلْ حـاجَته ، ومَنْ لَمْ يـدارِ مَنْ فـوقَـهُ لَمْ يـدرِكْ بغيتَـه[2] . ومَنْ مـدحَهـا ، فقـدْ ذبحَهـا[3] . ومَنْ أوسعَ اللّهُ عليـهِ نعمةً وجبَ عليـهِ أنْ يُوسـعَ الناسَ إنعاماً ، ومَنْ زادَهُ اللّهُ كرامةً فحقيقٌ بِهِ أنْ يزيدَ الناسَ إكراماً .

يـا نفـسُ :

مَنْ لَمْ يصحبـكِ معيناً علىٰ نفسِـكِ فصحبتُـهُ وبـالٌ عليـكِ إنْ علمت ، ومَنْ مـدحَكِ بمـا ليسَ فيكِ فهـوَ ذمٌّ لـكِ إنْ عقلت . ومَنْ أطلقَ طرفَه ، جلبَ حتفَـه ، ومَنْ كثرَ قنـوعه ، قـلَّ خضوعـه . ومَنْ بخـلَ بمالـهِ علىٰ نفسه ، جـادَ بـهِ علىٰ بعـلِ عـرسـه . ومَنْ عكفَ عليهِ الليلُ والنهارُ أدّبَاهُ وأنبيَاه[4] ، وإلىٰ المنايا أدّياه .

يـا نفـسُ

من العقـوق ، إضـاعـةُ الحقـوق . ومنَ الفسـاد ، إفسـادُ المعـاد . ومنْ كمالِ الحمـاقة ، الإحتيـالُ فِي الفاقـة . ومنْ كمـالِ النعم ، وفـورُ النعم[5] . ومنْ أشدِّ المصـائبِ غلبـةُ الجهـل . ومنْ

(١) أي : يتغافل .
(٢) أي : حاجته وطلبته . اللسان ١٤ : ٧٦ بغا .
(٣) في (ب) : (ومن مرحها فقد ربحها) .
(٤) من التأنيب الذي هو : المبالغة في التوبيخ والتعنيف . مجمع البحرين ٢ : ٨ أنب .
(٥) في (أ) : (العقل) .

أفضلِ المعروفِ ، إغاثةُ الملهوف . ومنْ أفضلِ الإحسانِ الإحسانُ إلىٰ الأبرار ، ومنْ أفضلِ الأعمالِ ما أوجبَ الجنّةَ وأنجىٰ منَ النار .

يا نفسُ :

ما ندمَ منِ استخار ، وما ضلَّ[1] منِ استشار . وما افتقر[2] منْ ملكَ فهماً ، ولا ماتَ منْ أحيىٰ علماً . ومٰا أحسنَ العفوِ معَ الإقتدار ، ومٰا أقبحَ العقوبة معَ الإعتذار . وما أقبحَ بالإنسانِ[3] ظاهراً موافقاً ، وباطناً منافقاً . وما منْ شيءٍ يحصلُ بهِ الأمان ، أبلغَ منْ إيمانٍ وإحسان .

يا نفسُ :

مٰا الدنيٰا غرّتكِ ولكنْ بهٰا اغتررت ، ومٰا العاجلةُ خدعتكِ ولكنْ بهٰا انخدعت .

واعلمِي : أنَّ مذيعَ الفاحشةِ كقابلِهٰا ، وسامعَ الغيبةِ كفاعلِهٰا . وأنَّ مداومةَ المعاصِي تقطعُ الرزق ، ومقارنةَ السفهاءِ تفسدُ الخلق . ومواصلةَ الأفاضلِ توجبُ السموَّ ، ومباينةَ الدنيٰا تكبتُ[4] العدوّ .

---

(١) في (أ) : (ولا ضل) .
(٢) في (أ) : (ولا افتقر) .
(٣) في (ب) : (ما للإنسان) .
(٤) أي : تهلك وتهين وتذل . مجمع البحرين ٢ : ٢١٦ كبت .

يـا نفـسُ :

مصاحبُ الأشرار ، كراكبِ البحار . إنْ سلمَ منَ الغرق ، لمْ يسلمْ منَ الفَرَق[1] . ومجالسةُ أبناءِ الدنيٰا منساةٌ للإيمان ، قائدةٌ إلىٰ طاعةِ الشيطان[2] . وموافقةُ الأصحاب ، تديمُ الاصطحاب . ونيلُ المآثرِ ببذلِ المكارم ، ونيلُ الجنّةِ بالتنزّهِ عنِ المآثم .

واعلمِي : أنَّ مصيبةً يُرجىٰ أجرُهٰا ، خيرٌ منْ نعمةٍ لا يُؤدّىٰ شكرُهٰا .

يـا نفـسُ :

ويحَ النائم ما أخسرَه ، وثوابُهُ ما أنزَره . قصرَ عمرُه ، وقلَّ أجرُه . وويحَ ابنَ آدمَ ما أغفلَه ، وعنْ رشدِهِ ما أذهلَه ، وعنْ حظّهِ ما أعدلَه . وفيمٰا أوصىٰ اللّهُ إلىٰ موسىٰ (عليهِ السلام) : كذبَ منْ زعمَ أنّهُ يحبّنِي فإذا جنَّهُ الليلُ نام . وإيّاكِ أن تخيّبِي المضطرَّ وإنْ أسرف ، أوْ تحرمِي المحتاجَ وإنْ ألحف . أوْ تصحبِي أبناءَ الدنيٰا فإنّكِ إنْ أقللتِ استقلّوك[3] ، وإنْ أكثرتِ حسدوك . ولا تعملِي شيئاً منَ الخيرِ رياءً ، ولا تتركيهِ حياءً .

يـا نفـسُ :

لاٰ كرمَ كالتقوىٰ ، ولاٰ عدوَّ كالهوىٰ . ولاٰ عزَّ كالطاعة ، ولاٰ كنزَ كالقناعة . ولاٰ هدايةَ كالذكر ، ولاٰ رشدَ كالفكر . ولاٰ زينةَ

(١) وهو : الخوف . العين ٥ : ١٤٨ فرق .
(٢) في (ب) : (قائدة للشيطان) .
(٣) في (ب) : (استعلوك) .

كالآداب ، ولا ريحَ كالثواب . ولا غناءَ معَ إسراف ، ولا فاقةَ معَ عفاف . ولا ثوابَ لمنْ لا عملَ له ، ولا عملَ لمنْ لا نيّةَ له ، ولا نيّةَ لمنْ لا علمَ له ، ولا علمَ لمنْ لا بصيرةَ له ، ولا بصيرةَ لمنْ لا فكرةَ له ، ولا فكرةَ لمنْ لا اعتبارَ له ، ولا اعتبار لمنْ لا ازدجارَ له ، ولا ازدجارَ لمنْ لا إقلاعَ له .

يا نفسُ :

ما لِي أراكِ إذا قرِّبَ إليكِ الطعامُ فِي الليلِ الداج[1] ، تكلّفتِ إنارةَ السراج . لتبصرينَ ما يدخلُ بطنكِ منَ المأكولِ والمشروبِ ، ولا تهتمّينَ بإنارةِ لبّكِ[2] بالعلمِ والتقوىٰ [لتسلمِين] منْ لواحقِ الجهالةِ والذنوبِ ، فنزّهِي نفسَكِ عنِ المآثمِ والعيوبِ ، واعلمِي : أنَّ أعظمَ الخطايا عندَ اللّهِ تعالىٰ اللسانُ الكذوب .

وعليكِ بالتقوىٰ وصحّةِ النيّةِ فِي العلوم[3] والأعمال ، فإنْ دخلهٰا الرياءُ ضاعَ الربحُ ورأسُ المال . فبالإخلاصِ يُعرفُ الصوابُ منَ الزلل ، والاستقامةِ منَ الخطل . وكلّمٰا امتدتِ المعارف ، اشتدّتِ المخاوف[4] .

وإيّاكِ واتّباعِ إبليسِ الّذِي رضيَ بهلاكِ نفسه ، واختارَ منْ

---

(١) أي : المظلم . مجمع البحرين ٢ : ٢٩٧ دجج .
(٢) أي : عقلك . مجمع البحرين ٢ : ١٦٤ لبب .
(٣) في (أ) : (في المعلوم) .
(٤) في (أ) : (المجارف) . وهي من الجرف الذي هو : الأخذ الكثير . اللسان ٩ : ٢٥ جرف .

كلِّ شيءٍ أقبحَ حسنه . [أترين] منْ غرّ أباكِ ينصحك ، ومنْ أفسدَ شأنَ نفسهِ يصلحك . فما يغترُّ بالدنيا غيرُ غرّ[1] ، لا يعرفُ هرّاً منْ برّ[2] .

يا نفسُ :

ينبغي لمنْ عرفَ سرعةَ رحلته ، أنْ يحسنَ التأهّبَ لنقلته ، وأنْ يقدّمَ العملَ الصالحَ لآخرته ، ويعمِّرَ دارَ إقامته . وأنْ لا يخلُو فِي كلِّ حالٍ منْ مجاهدةِ نفسه ، قبلَ حلولِ رمسه . فإذا كنتِ فِي النهارِ تشترينَ وتبيعين ، وفِي الليلِ علىٰ الفرشِ تتقلّبينَ وتنامين ، وفيما بينَ ذلكَ عنِ الآخرةِ تلهينَ وتغفلين . فمتىٰ تتفكّرينَ بالإرشاد ، وتهتمينَ بأمرِ المعاد .

يا نفسُ :

الحرصُ أحدُ الشقائين ، والبخلُ أحدُ الفقرين ، والحسدُ ألأمُ الرذيلتين ، والطمعُ أحدُ الذلّين ، والجورُ أحدُ المُردِيَيْن ، والشهوةُ أحد المُغوِيَيْن ، والخُلقُ السيّءُ أحدُ العذابَيْن ، والهوىٰ أحدُ العدوّيْن ، والغدرُ أقبحُ الجنايتيْن ، والنساءُ أعظمُ الفتنتيْن .

---

(١) الغرّ هو : المخدوع والغافل . مجمع البحرين ٣ : ٤٢٢ غرر .

(٢) في (أ) : (قلت في قولهم : فلان لا يعرف هراً من برّ ثلاثة أقوال ، الأول : أنه لا يعرف من يكرهه ممن يبرّه ، قال الشيخ عبد الرحمن العتايقي في كتابه الملقّب بالغرر والدرر : وهذا القول أجود الأقوال . الثاني : لا يعرف شيئاً من شيء . الثالث : لا يعرف السنّور من الفأرة) .

يـا نفـسُ :

حسنُ البشرِ أحدُ العطاءيْن ، والكفّ عمّا فِي أيدِي النـاسِ أحـدُ السخاءين ، والـذكرُ الجميـلُ أحدُ الحبـاءيْن ، والفكرُ إحـدىٰ الهـدايتين ، والـذكـرُ أفضـلُ الغنيمتيْن ، والأدبُ أحـدُ الحسبيْن ، والدِينُ أشرفُ النسبيْن ، والنيّـةُ الصالحـةُ إحدىٰ العملَيْن ، والمـودّةُ إحـدىٰ القـرابتيْن ، والعفـوُ أعـظمُ الفضليْن ، والتبصّـرُ[1] أحـدُ الظفرينِ ، والتـوفيقُ أشرفُ الحـظّيْن ، والتواضـعُ أفضلُ الشـرفيْن ، والسخاءُ إحدىٰ السعـادتين ، والوعـدُ إحدى الـرقّين ، وإنجازهُ أحـدُ العتقيْن .

يـا نفـسُ :

الحلمُ إحـدىٰ المنقبتيْن ، والعلمُ أفضلُ الجمـاليْن ، والـزهـدُ أفضـلُ الـراحتيْن ، والعمـلُ الصـالـحُ أفضـلُ الـزاديْن ، والخُلقُ السجيحُ[2] إحدىٰ النعمتيْن ، والعدلُ أفضلُ السياستيْن ، والشجاعـةُ أحـد العـزّيْن ، والفـرارُ أحـد الـذلّيْن ، والمـودةُ فِي اللّهِ آكـدُ السبيليْن ، والإيمانُ أفضلُ الأمانتيْن ، والقرآنُ أفضلُ الهدايتيْن .

يـا نفـسُ :

الصـدقُ[3] أفضلُ الـذخـريْن ، والصـدفـةُ أعـظمُ الـربحيْن ، والمعـرفةُ بـالنفسِ أنفعُ المعـرفتيْن ، والأخذُ علىٰ العـدوِّ بـالفضـلِ

---

(١) في (أ) : (والصبر) .

(٢) أي : اللين السهل . اللسان ٢ : ٤٧٥ سجح .

(٣) في (أ) : (الصديق) .

أحدُ الظفريْن ، والقناعةُ أفضلُ الغنائيْن ، والشكرُ أحدُ الجزائيْن ، والمعروفُ أفضلُ الكنزيْن ، والندامةُ إحدىٰ التوبتيْن ، والصلاةُ أفضلُ القربتيْن ، والصيامُ إحدىٰ الصحتيْن ، وحسنُ الردُ إحدىٰ الصدقتيْن ، ولطفُ المنعِ أحدُ البذليْن ، والقرضُ إحدىٰ الهبتيْن ، وحسنُ التدبيرُ إحدىٰ الترويتيْن[1] .

يا نفسُ :

سامعُ الغيبةِ أحدَ المغتابين ، وراوِي الكذبِ أحدُ الكذّابين ، ومنشدُ الهجا أحدُ الهاجين ، ومبلِّغُ الشتمة أحدُ الشاتِمين ، والقلمُ أحدُ اللسانَيْنِ ، والكتابُ أحدُ المحدّثيْن ، وحسنُ الردِّ أحدُ البذليْن ، والعِدَةُ أحدُ العطاءين ، والدعاءُ أحدُ الصدقيْن .

القرضُ أحدُ الهبتيْن[2] ، النظافةُ أحدُ الحليتيْن ، الدهرُ أنصحُ المؤدبيْن ، المشيبُ أحدُ القطيعتيْن ، المصيبةُ بالصبرِ إحدىٰ المصيبتيْن ، والمصيبةُ واحدةٌ فإنْ جزعتِ فهيَ اثنتيْن .

يا نفسُ :

العمرُ وإنْ طالَ فما تحتَهُ حائل[3] ، وكلُّ نعيمٍ لا محالةَ زائل . فترصّدِي للموتِ فلكلِّ طالعٍ أفول[4] ، وتزوّدِي لدارِ

---

(١) في (ب) : (الرّويين) .
(٢) في (ب) : (المحبتين) .
(٣) في (ب) : (طائل) .
(٤) أي : غيبوبة . المفردات : ٢٠ أفل .

الإقامةِ فلكلِّ غائبٍ قفول[1] . واتخذِي الدنيا سوقاً مسلوكاً ، لا بيتاً مملوكاً . فهيَ حانوتٌ لا يطرقُ إلّا للتجارة ، ومبيتٌ لا يسكنُ إلّا بالإجارة . وما هذهِ الحياةُ الفانيةُ إلّا أنفاسٌ تتردّدُ وستنقطع ، وقاماتٌ تتمدّدُ وستنقلع .

يا نفسُ :

علامَ تركنينَ إلىٰ الدنيا وعنْ قليلٍ تقلعك ، وترفلينَ[2] علىٰ وجهِ الأرضِ وعن قريبٍ[3] تبلعك . ولعمرِي منْ عاينَ تلوّنَ الليلِ والنهارِ لا يغترُّ بدهره ، ومنْ علمَ أنَّ بطنَ الثرىٰ مضجعه لا يمرحُ علىٰ ظهره . ومنْ عرفَ الدهرَ حقَّ العرفانِ يزهدُ فيه ، ومنْ شغلَهُ همُّ الموتِ لا يضحكُ مِلء فيه . فاغتنِمي الخمسَ قبلَ الخمس[4] ، وادرِكِي عصركِ قبلَ غروبِ الشمس .

يا نفسُ :

البخيلُ يقاسِي ثلاثةً : البرد والحرّ ، ويركبُ مطية البحرِ والبرّ ، ويجمع الدُرَّ إلى الدُرّ . فيركمُهُ[5] جميعاً ، ويتركُهُ سريعاً .

---

(١) أي : رجوع . المفردات : ٤٠٩ قفل .

(٢) قال الخليل في العين ٨ : ٢٦٣ رفل : (الرَّفل : جرّ الذيل وركضه بالرجل) وقال الطريحي في مجمع البحرين ٥ : ٣٨٤ رفل : (رفل في ثيابه : إذا أطالها وحركها متجبراً) .

(٣) في (أ) : (وعن قليل) .

(٤) في (أ) : (إشارة إلى قوله (عليه السلام) : اغتنم خمساً قبل خمس : شبابك قبل هرمك . . .) .

(٥) من الركم الذي هو : جمع الشيء فوق الشيء حتى يجعل ركاماً مركوماً كركام الرمل والسحاب . اللسان ١٢ : ٢٥١ ركم .

يبذلُ نفسَهُ ، ويحزن قلبَه .

والشحيحُ منْ يشفقُ علىٰ الدرهمِ الصحيحِ فلا يكسرهُ مصارفة ، ثمَّ يقسّمُ بعدَه مجازفة .

والسعيدُ ، منْ يتجهّزُ للسفرِ البعيد . إنْ رزقَ مالاً ، يفرّقُهُ يميناً وشمالاً . يغنِي بهِ جيرانَهُ ، ويطفِي بهِ نيرانَهُ . لا يمسكُهُ فِي يده ، ولا يتركُهُ لغدِه ، ولا يدّخرُهُ لولدِه . إنّما هوَ الزادُ يقدّمهُ لمسرّاه ، ويتصدّقه بيمناهُ ويسراه . فتعساً للبخلاءِ بما تحوِي جيوبهُم ﴿يَوْمَ يُحْمىٰ عَلَيْهَا فِي نارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوىٰ بِهِ جِباهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ﴾[1] ألا أُخبركِ عنهم ، ألا أقولُ لكِ منْ هم ؟ هُم : الجمّاعونَ الطمّاعونَ ﴿الذِينَ هُمْ يُراؤُونَ وَيَمْنَعُونَ المأعُونَ﴾[2] .

يا نفسُ :

ليسَ الشريفُ منْ تطاولَ وكاثر ، إنّما الشريفُ منْ تطوّلَ وآثر . وليسَ البرُّ إبانةُ الحروفِ بالإمالةِ والاشباع ، لكنِ البرّ إعانةُ الملهوفِ بالإنالةِ والاشباع . وليسَ الصومُ صوم جماعةِ الطُغامِ[3] عنِ الجماعِ والطعام ، إنّما الصومُ صومُ الجوارحِ عنِ الآثام وكفُّ الكفِّ عنْ أخذِ الحطام . فوالكِ لمنْ [تدّخرين] أموالَكِ ؟ ، فانفقِي الفكّ قبلَ أنْ يقسّمَ خلفكِ . وكفِّي يدَكِ السفلىٰ ، واجعلِي

---

(١) التوبة ٩ : ٣٥ .

(٢) الماعون ١٠٧ : ٦ و ٧ .

(٣) هم : ضِعاف الأحلام ومن لا معرفة لهم ، أو : أرذال الناس وأوغادهم . اللسان ١٢ : ٣٦٨ طغم .

علىٰ بابِ اليمنىٰ قفلا . فإنّكِ لنْ تبيتي حتّىٰ تملأي زقّكِ[1] ، ولنْ تموتي حتّىٰ تستكملي رزقك ، وعلام تطلبينَ الرزقَ وهوَ طالبُك ، وتستبطئينَ نزولَهُ وهوَ مصاحبُك ، وتستقبلينَ قادمَهُ وهوَ فِي بلدك ، وتنشدِينَ ضالّتَهُ وهُوَ فِي يدك ؟ وعلامَ تهتمّينَ لرزقك ، وقدْ هيّءَ لكِ قبلَ خلقك . وتطلبينَ رزقاً يعدُو فِي قفاك ، ولوْ قعدتِ لأتاكِ ما كفاك ؟ إن ساعدَ القضاءُ فالسيارَةُ كالقاطن ، والسائمةُ كالداجن ، وإنْ لمْ يساعدْ فالسعْيُ جهلٌ والتعبُ فضلٌ إنّما الرازقُ[2] ضامن والمقدورُ كائن . والقناعةُ سيادة ، والمشقّةُ زيادة . فانفقِي ولاْ تخْشَي الفاقة ، وارفِقي ولاْ تتعبِي الناقة .

شعرٌ :

ما لَكَ منْ مالِكَ إلاّ الّذِي قدّمتَ فابذلْ طائعاً مالكا
تقولُ اعمالِي ولوْ فتّشُوا رأيتَ أعمالَكَ أعمىٰ لكا

يا نفسُ :

الصراطُ طريقان ، والناسُ فريقان : سعيدٌ وما أراكَ ، وشقيٌّ وعصاكَ . هُبِلْتِ[3] أللنومِ جُبِلْت ؟! وقُتِلْتِ ألللهوِ عُدِلْت ؟! تستطيبينَ ركوبَ الأخطار ، وورودَ التيار[4] ، ولحوقَ العارِ والشنار ـ لأجل الدنيا ـ وتستلذّين سفَّ الرماد ، ونقل السماد ، ووطيَ البلاد ، للأولاد . وتصبرينَ علىٰ نقلِ الجبال ، وسفِّ السبال ،

---

(١) وهو : كل وعاء اتخذ لشراب ونحوه . اللسان ١٠ : ١٤٣ زقق .
(٢) في (أ) : (الرزّاق) .
(٣) من الهبل الذي هو : الثكل . مجمع البحرين ٥ : ٤٩٧ هبل .
(٤) هو : موج البحر . مجمع البحرين ٣ : ٢٣٤ تير .

لشهوةِ المال . وربّما تبدّلينَ الإيمانَ بالكفر ، وتحفرينَ الجبالَ بالظفر ، للدنانير[1] الصفر . لا تكرهينَ صداعاً ، إذا نلتِ كراعاً [2] .

يا نفسُ :

لا تصحبي الدنيا صحبةً بحال ، ولا تنظري إلىٰ أبنائها إلّا منْ عال[3] . ولا تخفضِي جناحَكِ لبنيها ، ولا تُضَعْضِعِي ركنكِ لبانيها ، ولا تمدِّي عينيكِ[4] إلىٰ زخارِفِها[5] ، ولا تبسطِي يدكِ إلىٰ مخارِفِها[6] .

شعرٌ :

ميّزتُ بينَ جمالِها وفعالِها ... فإذا الملاحةُ بالقباحةِ لا تفِي
حلفتْ لنا أنْ لا تخونَ عهودَنا ... فكأنّما حلفتْ لنا أنْ لا تفِي

فالسعيدُ منْ تركَها لطلّابِها ، ويطرحُ الجيفَة لكلابِها . يدعُ الطعامَ طاوياً[7] ، ويذرُ الشرابَ صادياً[8] . والحازمُ منْ قدّمَ الزادَ لعقبةِ العقبىٰ ، وآثرَ المالَ علىٰ حبِّهِ ذوِي القربىٰ .

---

(١) في (ب) : (للدينار) .
(٢) قال ابن منظور في اللسان ٨ : ٣٠٧ كرع : (والكراع من البقر والغنم : بمنزلة الوظيف من الخيل والإبل والحمر ، وهو : مستدق الساق العاري من اللحم) .
(٣) في (أ) : (غال) .
(٤) في (أ) : (عينك) .
(٥) في (ب) : (مخازفها) .
(٦) في (ب) : (مخارقها) .
(٧) أي : في حال كونه طاوياً ، أي : جائعاً . مجمع البحرين ١ : ٢٧٩ طوا .
(٨) أي : في حال كونه صادياً ، أي : عطشانا . مجمع البحرين ١ : ٢٦٢ صدا .

يـا نفـسُ :

خـالِفِي هواكِ فـإنّها زبـانية [1] ، وطلّقي دنيـاكِ فـإنّهـا زانيـة . والمـالُ رزقٌ أُتيحَ ، ونـزلٌ أُبيـحَ . فمنْ بـهِ شـحٌّ وضنّ ، فقـدِ اتهمَ الـرازقَ وأساءَ الـظنّ . ومنْ حلَّ عقـدَ فلسهِ فقـدْ حازَ ملكـاً مقيماً ، ومنْ توقَّ شحَّ نفسِه فقدْ فازَ فوزاً عـظيماً . فـطوبىٰ لكلِّ غنيٍّ نفّـاعٍ للغير ، وتبّاً لكلِّ دنيٍّ منّاعٍ للخير .

يـا نفـسُ :

ادركِي عمـركِ قبـلَ الفـوت ، وهيّىءِ أمـركِ قبـلَ المـوت . واغتنمِي بياضَ النهارِ قبـلَ العشية ، فـالليل حبلىٰ وجنينُـهُ فِي مشيمةِ المشيّـة . ولاٰ تغترِّي بـذكـرِ أسنـانَـكِ فلعـلَّ هـذا السمنَ ورم ، ولاٰ تنظرِي بنظرةِ شبابكِ فبعدهُ شيبٌ وهرم .

يـا نفـسُ :

إنَّ اللّهَ تعالىٰ أمهلك ، حتّىٰ كأنّهُ أهملك . فالحـذرَ الحذر ، فـواللّهِ لقدْ ستـر ، حتّىٰ كأنّـهُ غفر . أتغتـرينَ عنْ واضحَة [2] ، وقـدْ عملتِ الـذنوبَ الفـاضحَة . فـواعجباهُ لعينٍ تلتـذُّ بـالـرقـاد ، وملكُ الموتِ معهٰا علىٰ الوساد . والصراطُ ميدانٌ يكثرُ فيهِ عثارُ السالِك ، فالسالمُ ناجٍ والعاثرُ هالك .

---

(١) قـال ابن منظور في اللسـان ١٣ : ١٩٤ زبن : (الـزبن : الـدفـع ، وزبنت النـاقـة : إذا ضربت بثفنات رجليها عند الحلب) .

(٢) في (ب) : (الأسنان التي تبدو عند الضحك) .

واعلمِي : أنَّ الدنيا سجين ، وحطامُها سرجين[1] ، فلا يغرّنَّكِ منَ الدنيا طرفها ومطارفها ، ولا يعجبنّكِ تليّدها وطارفها[2] . إنّما هيَ ضوءُ الحباحب[3] ، وطيفُ الجنائبِ .

يا نفسُ :

كوني منَ المصلّينَ ولا تكوني منَ المضلّين ، وكوني منَ المناجينَ تكوني فِي الناجين ، والزمِي اليقينَ تكوني منَ المتقين . واتركِي دنياكِ فإنّها انتنُ منْ جيفةِ المزابل ، واخرجِي منها فإنّها أضيقُ منْ كفّةِ الحابل . فالقِيها فإنّها حليلةُ آبائِك ، وضايقِيها فإنّها ضجيعةُ أبنائِك . واغتنمِي فودَكِ[4] الفاحمَ قبلَ أنْ يبيضَّ ، فإنّما الدنيا جدارٌ يريدُ أنْ ينقضَّ . وإيّاكِ ومضاجعة هذهِ العجوزِ الشوهاء[5] ، وحذارِ منْ هذهِ الحيّةِ الفوهاء[6] . ولا يغرّنَّكِ قطفُها النضيجُ ، ونورُها البهيجُ ، فهوَ غيثٌ أعجبَ الكفّارَ نباتُهُ ثمَّ يهيجُ .

يا نفسُ :

لا تفخرِي علىٰ أهلِ الحسب ، لشرفِ النسبِ . فالشرفُ

---

(١) أي : زبل . مجمع البحرين ٦ : ٢٦٤ سرجن .

(٢) في (أ) : (أي : التلاد ، والتالد والناليد : المال القديم ، والطارف ضد القديم وهو : المال المكتسب) .

(٣) في (ب) : (الحباحب : اسم رجل بخيل لا يوقد إلّا ناراً ضعيفة مخافة الضيفان ، فضربوا بها المثل حتى قالوا : نار الحباحب لما تقدحه الخيل بحوافرها) . ومثله في (أ) .

(٤) فود الرأس : جانباه . مجمع البحرين ٣ : ١٢٢ فود .

(٥) أي : قبيحة المنظر . مجمع البحرين ٦ : ٣٥١ شوه .

(٦) أي : الواسعة الفم . العين ٤ : ٩٥ فوه .

البالغُ نباهةُ النبيه ، والمجبوبُ[1] منْ يفتخرُ بذكرِ أبيه . فمَا يخفضُ المرءُ جمولَ الأسلاف ، إنّمَا الحصرمُ جد السلاف . والأنجادُ قدْ تلدُ الأوغاد ، والنارُ تعقبُ الرماد . والأرضُ كمَا تنبتُ الحبّات ، تولدُ الحيّات . والمرءُ بفضيلتهِ لا بفصيلتِهِ ، والإنسانُ بسيرتِهِ لا بعشيرتِهِ . وذُو الهمّةِ العاليةِ ، لا يغترُّ بالرمّةِ البالية . وأكرمُ الناسِ حملاً وفصالاً ، أشرفُهمْ خصالاً . وأطيبُهمْ طيناً ، أخلصُهمْ ديناً . وهلْ يضرُّ النضارُ كونُهُ منْ صلبِ الصخور ؟ وهل يصلحُ التمساحُ نشؤُهُ فِي حجورِ البحور ؟ وأبُو البَغْلَةِ الهِمْلاجِ[2] حمارٌ بليد ، وأصلُ السلسلِ الرجراجِ صخرةٌ جليد . ولوْ نجا بعلوِّ النسبِ ذُو روح ، لعُصمَ ابنُ نوحٍ بنوح .

يا نفسُ :

كمْ للّهِ منْ عبدٍ لا يعرفُ ربّاً سواه ، ولا يتّخذُ إلههُ هواه . وجهُهُ وضيّ ، وفعلُهُ رضيّ[3] ، وقلبُهُ سماويّ ، وجسمُهُ أرضيّ . فِي الوجدِ سكرانٌ ملطّخ ، وفِي الخوفِ عصفورٌ نصبَ لهُ فخّ[4] . لا يذوقُ فِي العشقِ نومةَ نائم ، ولا يخافُ لومةَ لائم[5] . لا يسترزقُ لئامَ الناس ، ويقنعُ بالخبزِ اليباس . إذا أثرىٰ جعلَ موجودهُ

---

(١) أي : المقطوع . مجمع البحرين ٢ : ٢١ جبب .

(٢) بالكسر وسكون الميم : ما يمشي الهملجة ، وهو مشي شبيه الهرولة . مجمع البحرين ٢ : ٣٣٧ هملج .

(٣) في (أ) : (مرضي) .

(٤) الفخ : المصيدة التي يصاد بها . اللسان ٣ : ٤١ فخخ .

(٥) في (أ) : (يخاف في الصدق لومة لائم) .

معدوماً ، وإنْ أقوىٰ حسبَ قفارَهُ[1] مأدوماً . ثوبٌ بالٍ ، وجوفٌ خالٍ ، ومجدٌ عالٍ . يرىٰ ربوةَ الحقِّ فيرتقِيهٰا ، ويرمقُ هوّةَ الباطلِ فيتّقيهٰا . لا يدعوهُ القرمُ[2] إلىٰ أكلِ الجيف ، ولا يبلغُهُ النّهمُ[3] إلىٰ حدِّ السرف . يأكلُ ليقوىٰ علىٰ الاجتهادِ ، وينامُ ليَصبرَ علىٰ السهاد[4] . ينظرُ إلىٰ طعامهِ منْ أينَ حصل ، وكيف وصل . ومَنْ حصدَهُ وزرعه ، ومَنْ داسَهُ ورفعَه . ومَنِ الكيّالُ والطحان ، ومَنِ الخبّازُ والعجّان ؟ فلا يزالُ يفحصُ حتّى يخلصَ إبريزَهُ[5] علىٰ نارِ السبك[6] ، ويكمل عياره على المحكِّ ، ويشبذبَ[7] تخيّلَهُ عنْ شوكِ الشكِّ . فهكذا خشيةُ الأتقياءِ يجفلونَ[8] كما يجفلُ النعام ، ولا يأكلونَ كما تأكلُ الأنعامُ .

يا نفسُ :

أراكِ علىٰ شرف الحمام ، وأجدُكِ علىٰ طرفِ الثُّمام[9] . قدِ

---

(١) القفار بالفتح : الخبز بلا أدم ، يقال : أكل خبزه قفاراً . مجمع البحرين ٣ : ٤٦٣ قفر .

(٢) القرم بالتحريك : شدة شهوة اللحم حتى لا يصبر عنه . مجمع البحرين ٦ : ١٣٧ قرم .

(٣) النهامة : إفراط الشهوة في الطعام وأن لا تمتلىء عين الآكل ولا تشبع . اللسان ١٢ : ٥٩٣ نهم .

(٤) أي : الأرق . اللسان ٣ : ٢٢٤ سهد .

(٥) الإبريز : الذهب الخالص من الكدورات . مجمع البحرين ٤ : ٨ برز .

(٦) قال الطريحي في المجمع ٥ : ٢٦٩ سبك : (وسبكت الفضة وغيرها أسبكها سبكاً ، من باب قتل : أذبتها) .

(٧) أي : يقطع . اللسان ١ : ٤٨٦ شذب .

(٨) أي : يجهدون أنفسهم ويتعبونها ، مجمع البحرين ٥ : ٣٣٩ جفل .

(٩) قال ابن منظور في اللسان ١٢ : ٨٠ ثمم (والعرب تقول للشيء الذي لا يعسر تناوله : هو على طرف الثمام ، وذلك أن الثمام لا يطول فيشق تناوله) .

انحنتْ قامتُك ، ودنتْ قيامتُك . ولمْ يبقَ منْ عمركِ إلاّ ساعةٌ زمنية ، وما بعد المشيبِ إلاّ بليّةٌ أوْ منيّة . فتأهّبي للعرضِ يومَ القيامة ، وتوضّأي للفرضِ قبلَ الإقامة . وأكثري حزناً على نَفَسٍ ضيّعتِهِ ، وشيطانٍ أطعتِهِ ، وهوىً تبعتِهِ ، ودِينٍ بعتِهِ . وما أخالُكِ[1] إلاّ كزنجيّ زنىٰ وسرق ، وعصىٰ وأبق . فيُرَدّ إلىٰ سيِّدِهِ مكتوفاً ، ومُثِّلَ بينَ يديهِ موقوفاً . يهوىٰ الخلاصَ وأنّىٰ لهُ الخلاص ، ويرجو النجاةَ ﴿وَلاتَ حِينَ مناص﴾[2] فهوَ كمريضٍ لا يرجىٰ برؤُه ، أو محيضٌ لا يرقىٰ[3] قرؤه . أو غريق نبذُه الملاّح ، فأخذهُ التمساح . أو هائم خلّفهُ الخرّيت[4] ، واستهوتهُ العفاريت .

يا نفسُ :

كمْ منْ غافلٍ يبيتُ علىٰ فراشِ الأمنِ وسنان[5] ، والموتُ يحرقُ عليهِ الأسنان . يا ويلَهُ يركضُ بالنهارِ خيلَه ، ويطوي علىٰ الغفلةِ ليلَه . وهو كالقطربِ[6] في المطافِ والمطار ، جيفةٌ بالليلِ

---

(١) أي : وما أظنك . مجمع البحرين ٥ : ٣٦٨ خيل .

(٢) سورة ص ٣٨ : ٣ . والمناص : الملجأ . المفردات : ٥٠٩ نوص .

(٣) أي : لا ينقطع . مجمع البحرين ١ : ١٩٤ رقا .

(٤) في (ب) : (الدليل الحاذق) .

(٥) أي : نائماً نومة خفيفة . اللسان ١٣ : ٤٤٩ وسن .

(٦) في (أ) : (القطرب : دويبة لا تستريح نهارها سعياً [وفي الحديث لا يلفين] أحدكم قطرب نهار جيفة ليل ، يعني : لا ينام أحدكم الليل كلّه ثم يكون بالنهار كأنه قطرب ، لكثرة طوفانه وجولانه في أمر دنياه ، فإذا أمسىٰ يكون كالّاً تعباً فينام ليله كلّه حتى يصبح كالجيفة لا يتحرك . وقيل : القطرب صغار الكلاب . وقيل : ذكر الفيلان . وقيل : حيوان بأرض الصعيد يظهر للمنفرد من الناس ، فربما صدّه عن نفسه إذا كان شجاعاً ، وإلاّ لم ينته عنه حتى ينكحه ، فإذا رأوه الناس قالوا : إما منكوح وإما =

بـطّالٌ بـالنهـار . يعيشُ سـاخـطاً [1] ، ويمـوت قـانـطاً . ذلـكَ دأبُـهُ وديدنُهُ ، حتّىٰ يفترقَ روحُهُ وبدنُه . وسيفجـاهُ منْ ألدِّ [2] مـا لا يودّ ، يومَ تبيضُّ وجوهٌ وتسودّ .

يـا نفـسُ :

مـرضُ القلوبِ منْ أشـدّ الأمـراض ، وعـلاجُـهُ منْ أصـحِّ الأغراض . فيا منْ مـرضَ فؤادُه ، وملَّ عُـوّاده . تراجـع الطبيبَ فِي الحمّىٰ ، وأينَ الـطبيبُ منَ الأجـلِ المـسمّىٰ . وأيّ حكـيمٍ لـمْ تصـرعـهُ المنـون ، ثمَّ لمْ ينفعْـهُ القـانـون ؟ وأيُّ طبيبٍ لمْ تفـدهُ الغبّ [3] ، ثمَّ لمْ ينفعُـهُ الـطبّ ؟ فعـلامَ تـرفعِي إلىٰ الحكيمِ شانك ، وتدلعِي لسانـك . فتنهي سرَّكِ إلىٰ الـطبيب ، وتشتكِي إلىٰ العـدوّ منَ الحبيب ؟ واللّهِ لا ينعشـكِ إلّا منْ صـرعَـكِ ، كمْـا لا يحصـدُكِ إلّا منْ زرعَكِ . إنْ كنتِ وصفتِ لـهُ علّةً لمْ يشفِهـا ، وإنْ عرضتِ عليهِ كربةً لمْ يقدر علىٰ كشفِهٰا .

يـا نفـسُ :

إيّـاكِ أنْ تكوني ممّنْ إذا ذكّـرَ بالآخـرةِ قبعَ قبـوعَ [4] الـوسنـانِ

مروع ، فإن كان منكوحاً يئسوا منه وإن كان مـروعاً عـالجوه . وقيـل : القطرب صغـار الجنّ . وقيل : الذيب . وقيل : الفار الأنقط . هذا ذكر في كتاب نهاية الأرب) .

(١) في (أ) : (شاخصاً) .

(٢) أي : أشدّ . مجمع البحرين ٣ : ١٤١ لدد .

(٣) قال الخليل في العين ٤ : ٣٥ غب : (ويقال : ما يغبّهم لطفي ولهذا العطر مغبة طيبة أي : عافية) .

(٤) في (ب) : (قبع قبوعاً : إذا أدخل رأسه في قميصه) .

فِي جيبِ الكسل ، وإنْ ظفرَ بالحلوةِ الخضرةِ وقعَ وقوعَ الذبابِ علىٰ ظرفِ العسل . وهذهِ علاماتُ المنافقينَ . لهمْ فِي المعاصِي وثبات ، وفِي الطاعاتِ سكونٌ وثبات . وفي الطمعِ حركاتٌ قمرية ، وفِي الورعِ سكناتٌ زحليّة . إذا قلتِ : حيَّ علىٰ الشهواتِ طارُوا إليهٰا خفافاً وثقالاً ، وإذا قامُوا إلىٰ الصلاةِ قامُوا كسالى .

يا نفسُ :

اعمري[1] دنياكِ بقدرِ محياك ، ودبّري أمرَ عقباكِ الّتِي هيَ مأواكِ بقدرِ مثواكِ فمٰا الدنيٰا إلّا دارُ غرور ، وجسرُ مرور . فمٰا أسخرَ منْ خيَّم علىٰ الجسرِ فلا يجوز ، وما درىٰ أنَّ القعودَ علىٰ طرقاتِ المارّةِ لا يجوز . المخدوعُ منْ وضعَ لِبْنةً علىٰ لِبْنة ، والمخذولُ منِ ادّخرَ تِبْنةً علىٰ تِبْنة . وبالُ المرءِ مالٌ أعدّ ، أوْ درهمٌ عدّد . وشقاءُ الغافلِ بيتٌ يبنيه ، ويعمّرُهُ لبنيه . فاحمِلي منَ الدنيٰا زادَ الضرورة ، واحرمِي إلىٰ الآخرةِ إحرامَ الصرورة .

واعلمِي : أنَّ الدنيٰا بئرُ هاروت ، أوْ نهرُ طالوت . وأنَّ الله مبتلِي الخلقَ بهِ فمنْ تبرّضَ[2] ولمْ يصبْ ريّاً ، شربَ مريّاً . ومنِ ارتوىٰ ، أشرفَ علىٰ التوىٰ[3] . إلّا منْ نضحَ نفاضةً علىٰ كبده ، أو اغترفَ غرفةً بيده .

---

(١) في (أ) : (عمري) .

(٢) في (أ) : (التبرض : التبلغ بالقليل من العيش ، والبرض والبراض بالضم القليل . قاله الجوهري) الصحاح ٣ : ١٠٦٦ برض .

(٣) أي : الهلاك . مجمع البحرين ١ : ٧١ توا .

يـا نفـسُ[1] :

القـطيعـةُ شيمـةُ الشـرسِ[2] . والغَمـر الّـذِي لمْ يجـرِّب الأُمور[3] ، وصلةُ الرحمِ تزيدُ فِي العمر . وأصدقُ الصـداقةِ طـلاقةُ البِشـرِ الراشـح ، وأفضلُ الصـدقـةِ علىٰ ذِي الـرحمِ الكـاشـح[4] . وخـدشُ القطيعـةِ فوقَ الأرش ، والـرحمُ معلّقةٌ بـالعرش . منْ طلبَ الخلدَ وشهبه[5] ، وخافَ السعيـرَ وحميمه ، فليـواصلْ حميمـه . إنَّ نسيبَ المـرءِ فقارُ ظهـره ، وفقرةُ نهـره ، وبؤامُ جوزاتِـهِ ، وجـزءٌ منْ أجـزائِـه ، وخُـوطٌ منْ دوحتِـهِ[6] ، وبخـورٌ منْ فـوحتِـه ، وضلعٌ منْ أضالعِهِ ، وإصبعٌ منْ أصابعِهِ ، وجانحـةٌ من جوانحِـهِ[7] ، وجارحـةٌ منْ جـوارحـه ، وزنـدٌ منْ ذراعِـهِ فلْيـراعِـه ، وبضعـةٌ منْ لحمِـهِ فلْيحمِـه . ومنْ بؤمِ الطبيعـةِ ، اجتنابُ القـطيعة ، وأعـظمُ الجريـرةِ سـوءُ العشيرة ، وإحـرازُ الفضيلةِ فِي إعزازِ الفصيلة . والإنسـانُ كثيرٌ

---

(١) من هنا إلى قوله : (يا نفس مـا أراك تتوانين عن النـظر لنفسك . . .) لم يـرد في (ب) فالاعتماد يكون فقط على نسخة (أ) .

(٢) في (أ) : (الـرجل السيء الخلق ، وهـو أيضاً : العسـر الشديـد الخـلاف ، وشـارس القوم : تعادوا) .

(٣) في (أ) ورد بعد لفظ (الأُمور) : (العمر) ولم نثبته لعدم اقتضاء السياق له .

(٤) في (أ) : (في الحديث : أفضل الصدقة على ذي الرحم الكاشح ، وهو : العدوّ الذي يضمر عداوته في كشحه ؛ والكشح : ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلف) .

(٥) كذا في (أ) .

(٦) أي : غصن من شجرته . اللسان ٧ : ٢٩٧ خوط ، و ٢ : ٤٢٦ دوح .

(٧) في (أ) : (الجـوانح : الأضـلاع تحت التراب ممـا يلي الصدور . وفصيلة الـرجـل : رهطه الأدنون ، قاله الجـوهري . وقـال العزيـزي : الشعوب أعـظم من القبائـل ، ثم العمـائر ، ثم البـطون واحدهـا بطن ، ثم الأفخـاذ واحدهـا فخذ ، ثم الفصـائل ، ثم العشائر وليس تعدّ العشائر حيّ بوصف) .

بعشائرِهِ ، والحرَمُ شريفٌ بمشاعرِهِ . ظهرُهُ ببطنِهِ يقوىٰ ، وفخذُهُ[1] . . . . يبقىٰ ، وذكرهُ بحبِّهِ يحيىٰ .

يا نفسُ :

ابيضَّ فودُكِ فاحم ، وباختْ[2] نارُكِ وحرصُكِ جاحم[3] . كيفَ النجا وقدْ نشبتِ[4] نشبَ الغزال في الحبالةِ وتنكّستْ[5] أحوالُكِ[6] ؟ أما علمتِ أنّكِ للموتِ تنكّستِ ، وللنزعِ تقوّستِ ؟ وقدْ هاجَ بقلُكِ ، وماجَ[7] عقلُكِ . ونعرَفيكِ ألفُ التأليف ، ولمْ يرفعْ عنكِ قلمُ التكليف . ونهزتِ حدَّ الثمانين ، وما بلغتِ محورَ المجانين . أما يرُعْكِ موتُ الشبّان ، قبلَ الإبّان[8] . ودفنُ الأحداث ، تحتَ الأجداث . أما يرُعْكِ تقديمُ أعمامِكِ أمامَكِ ، وجعلُ أسباطَكِ أفراطَكِ . فكمْ لكِ في الرمس متزعزعٌ يافع[9] ، وكمْ لكِ بالأمسِ منْ فرطٍ شافع . وأنتِ لا تزدادينَ بذلكَ إلاّ ضلالةً وقسوة ، وجهالةً وصبوة .

---

(١) وردت كلمة غير مقروءة في (أ) .

(٢) أي : سكنت وفترت . اللسان ٣ : ٩ بوخ .

(٣) في (أ) : (الجاحم : المكان الشديد الحر) .

(٤) في (أ) : (أي : وقع ، والنشوب : العلوق في الشيء) .

(٥) في (أ) : (أي : تبدّلت) .

(٦) في (أ) : (وقوله : ﴿ومن نعمره ننكسه﴾ [٣٦ : ٦٨] من أطلنا عمره نكسنا خلقه) وفيه أيضاً : (فصار بدل القوة الضعف وبدل الشباب الهرم ، وإلى البقاء وقد شبت) ولم نثبته في المتن لانتفاء السجع بين الكلمات ، ولاحتمال أن يكون شرحاً .

(٧) أي : اضطرب وتحير . اللسان ٢ : ٣٧٠ موج .

(٨) أي : قبل الحين والوقت . مجمع البحرين ٦ : ١٩٧ أبن .

(٩) في (أ) : (تزعزع الصبي : إذا نشأ وطال ، واليافع : الذي قد قارب الاحتلام ، والفرط : المتقدم وفرطتهم أي : سبقتهم) .

يـا نفـسُ :

ما أراكِ تتوانينَ عنِ النظرِ لنفسك ، والتمهيدِ لرمسـك[1] . إلاّ لكفـرٍ خفيّ ، أوْ لحمقٍ جليّ . فـأمّـا الكفـرُ الخفيُّ فهـوَ ضعفُ إيمـانِـكِ بيـومِ الحسـاب ، وقلّةُ معـرفتِـكِ بعـظيمِ قـدْرِ الثـوابِ والعقاب . وأمّا الحمقُ الجليُّ فـاعتمادُكِ علىٰ عفـوِهِ تعالىٰ وسترِه ، منْ غيـرِ التفاتٍ إلىٰ معـاجلتِـهِ ومكـرِه . فـلا تضيّعِي أوقـاتَـك ، ولا تأسَيْ علىٰ ما فاتَك .

شعرٌ :

إذا أبقتِ الدنيا علىٰ المـرءِ دينَهُ فمـا فاتَـهُ منهـا فليسَ بضـائِـرِ[2]

فأنفاسُكِ معدودة ، وأوقاتُكِ محـدودة . فإذا مضىٰ منـكِ نَفَسٌ فقدْ ذهبَ بعضُك ، ومارَتْ[3] سماؤُكِ ورخَتْ[4] أرضُكِ .

شعرٌ :

ويـحَ ابنَ آدمَ كيفَ يذهبُ عقلُه أو يـسـتـلذَّ بـليـلِهِ ونـهـارِهِ
يمسِي وقـدْ أمنَ الحوادثَ بغتـةً ولـربّمـا طـرقتْـهُ فِي أسحـارِهِ
يضحِي وكفُّ الموتِ فِي أطرافِهِ كالكبشِ يلعبُ فِي يدَيْ جـزّارِهِ
منْ ليسَ يدرِي كيفَ تصبحُ دارُهُ مِنْ بعـدِهِ فلينـظرنْ فِي جـارِهِ

---

(١) أي : لقبرك . مجمع البحرين ٤ : ٧٦ رمس .
(٢) في (ب) : (بضار) .
(٣) المور : الجريان السريع . المفردات : ٤٧٨ مور .
(٤) في (ج) : (ورجت) .

يـا نفـسُ :

اقلعِي عن فعلك ، وانـزعي عنْ جهلِك ، واغتنمِي صحّتَـكِ قبل سقمِك ، وشبابَكِ قبلَ هرمِك .

شعرٌ :

آلـةُ المـرءِ صحـةٌ وشبـابُ فـإذا ولّـيـا عـنِ الـمـرءِ ولّـىٰ

وانـظرِي إلىٰ الّـذينَ مضـوْا كيفَ بنـوْا وعـلّـوْا ، ثمّ ذهبُـوا وخلَّوْا . وانظرِي إلىٰ حمقهِمْ كيفَ يجمعُونَ مـا لا يأكلون ، ويبنُـونَ ما لا يسكنُون ، ويأملُونَ[1] ما لا يـدركون ؟! فهـلْ فِي الدنيـا أحمقُ ممّنْ يعمِّرُ دنياهُ وهوَ مرتحلٌ عنهٰا يقينـاً ، ويخرِّبُ آخـرتَهُ وهـوَ صائـرٌ إليهٰا قطعاً رهيناً ؟!

يـا نفـسُ :

إذا كانَ طلبُكِ للدنيـا غايَتـك ، وما بلغتِ منهٰـا إرادتَك . فمٰـا ظنُّكِ بدارٍ لمْ تطلبِيهٰا ، وكيفَ يكونُ حالُكِ فيهٰا ؟

شعرٌ :

إذا كانَ أدنىٰ العيشُ ليسَ بحاصلٍ لذِي اللبِ فِي الدنيٰا بغيرِ المتاعبِ
فكيفَ بأسنىٰ العيشِ فِي عالمِ البقٰا لذِ ي الجهلِ فِي تفريطهِ[2] فِي المطالبِ

أُفٍّ للدنيـا الـدنيّـة ، خَبُثَتْ فعـلاً ونيّـة ، ولعيشٍ حشـوُهُ همٌّ وعقابُهُ منيّة .

---

(١) في (ب) : (ويؤمّلون) .
(٢) في (ب) : (مع تفريطه) .

واعلمي : أنَّ الدنيا ليستْ تعطِيكِ لتسرُّك ، إنّما تعطِيكِ لتضرُّك[1] .

شعرٌ :

فذِي الدارِ أخْوَنٌ منْ مومسٍ[2] وأخدعُ منْ كفّةِ الحابلِ
تفانىٰ الرجالُ علىٰ حبّها ولا يحصلونَ علىٰ طائلِ

يا نفسُ :

إنَّ الدنيا أقلُّ عندَ اللّهِ منْ جناحِ بعوضةٍ وأحقر ، فمنْ عظّمَ هذا الجناحَ كانَ منهُ أصغر . فكمْ تشعبِيها وتنصدِع ، وترقعِي خرقَها فيتسِع ، وتجمعِي منها ما لا يجتمع .

تأمّلْ بعينيْكَ كيفَ الذهابُ فإنَّ لكلِّ حياةٍ مماتا
فمنْ عاشَ شبَّ ومنْ شبَّ شابَ ومنْ شابَ شاخَ ومنْ شاخَ ماتا

يا نفسُ :

ما عسىٰ أنْ ينالَ طالبُ[3] الدنيا منْ لذّتها ، ويتمتّع بهِ منْ بهجتِها ، معَ ما يرىٰ منْ فنونِ مصائبِها ، وأصنافِ عجائبِها ، وكثرةِ تعبهِ فِي طلابِها ، وتكادحِهِ فِي اكتسابِها ، وما يكابدُهُ[4] منْ أسقامِها وأوصابِها .

---

(١) في (ب) : (لتغرك) .
(٢) أي : فاجرة . اللسان ٦ : ٢٢٤ ميس .
(٣) في (أ) : (صاحب) .
(٤) في (ب) : (وما يكائده) .

شعرٌ :

تعـاورُهُ آفـاتُهـا وهـمـومُهـا وكمْ مـا عسىٰ يبقىٰ لهٰا للتعـاور
فـلاٰ هـوَ مغبـوطٌ بـدنيـاهُ آمنٌ ولاٰ هوَ عنْ طِلابِهٰا النفسَ قاصـر

يـا نفـسُ :

هبْ أنّـكِ لستِ بخبيـرة ، ولاٰ ذاتَ بصيـرة . وإنّمـا تميلينَ بـطبعِ الصبـاء ، إلىٰ التشبيهِ فِي الاقتـداء . فقيسِي[1] عقلَ الأنبيـاءِ والأبدال ، بعقلِ هؤلاءِ الأغمارِ الجهال . وأيضاً إذا كنتِ لاٰ تتركينَ الدنيٰا لعمىٰ بصيرتِك، وخبثِ سريرتِك . فما لـكِ لاٰ تتركِيهٰا ترفعـاً عنْ خسّـةِ شركـائهٰا ، وتنـزُّهاً عنْ كثـرةِ عنائهٰا ، وتوقّيـاً منْ سـرعـةِ فنـائهٰا ، وتفصّيـاً منْ لأوائهٰا وضـرّائهٰا . مـعَ أنَّ بـلاذَكِ لا تخلُو منْ جمـاعةٍ منَ اليهـودِ والمجوس ، يـزيدُونَ عليـكِ فِي نعيمِ المأكـولِ والملبـوس . فـأُفٍّ لـدنيٰا يسبقُـكِ بهٰا هؤلاءِ الأنـذال ، الأخسّـاءِ الجهّـال . وعـلامَ لا تستحِينَ منْ مسـاعـدتهِمْ علىٰ حمـاقتهِم ، ومراودتِهِمْ علىٰ جهالتهِم ؟

يـا نفـسُ :

إذا رغبتِ عنْ أنْ تكـونِي فِي جملةِ[2] المقرّبين ، منَ الأوليـاءِ والمؤمنين ، والأنبياءِ والمرسلين ، فِي جوارِ ربِّ العالمين ، لتكـونِي منْ جملةِ الهـالكين ، والسفهـاء الجـاهلين . أيّـامـاً معـدوداتٍ علىٰ اليقين ، لقدْ خسرتِ الدنيٰا والـدين . فإذاً مـا أخسَّ همّتكِ ، وأحقـرَ

---

(١) في (ب) : (تقيسي) .
(٢) في (ج) و (د) : (في زمرة) .

قيمتَـك ، وأسخفَ عقلك ، وأعـظمَ جهلك ، وأقـلَّ حيـاءك[1] ، وأنزرَ وفاءك[2] لقد أرداكِ الطغيان ، واستحوذَ عليكِ الشيطان .

يـا نفـسُ :

مـا أشبهَكِ في قصـرِ العمرِ وطـولِ الأمل ، بـالجمل لـهُ عنقٌ طـويل وذنبٌ قصيـر ، وجسدٌ كبيـر وأُذنٌ صغير . فصـورتُـكِ صـورةُ إنسان ، وقلبُكِ قلبُ حيوان . فأنتِ كـالنقدِ[3] بـلْ أذلّ ، وكالأنعـامِ بـلْ أضلّ . لا تقتفينَ[4] أثـرَ نبيّ ، ولا تقتـدِينَ بعمـلِ وصيّ . فيـا ويلَكِ ثمَّ يـا ويلَك ، إنْ أقمتِ علىٰ ضـلالـتِـكِ ، وثبَـتِّ[5] علىٰ جهالتِك ، ودمتِ علىٰ إصرارِك ، وتماديْتِ فِي اغترارِك .

يـا نفـسُ :

كمْ منْ جـرمٍ اجترمت ، وإثمٍ اقتـرفت . تنقلبِينَ فِي أوديـةِ الغفـلات ، تقلُّبَ الـريشَـةِ فِي الفلوات[6] . لاٰ والـلّهِ مـا لهـذا فطرت ، ولاٰبهذا أُمرت . إنّهُ لمْ يخلقْـكِ لعباً ، ولمْ يعـدْكِ كذبـاً . عـدَّلَـكِ وسـوّاكِ فـلا تخـرَفِي ، ونـوَّرَكِ وصفّـاكِ فـلاٰ تنكسِفي[7] .

---

(١) في (ج) و (د) : (حياك) .

(٢) في (ج) و (د) : (وفاك) .

(٣) في (أ) : (النقـد بـالتحريـك : جنس من الغنم قصـار الأرجـل قبـاح الـوجـوه قـالـه الجوهري) .

(٤) في (أ) و (ج) و (د) : (لا تقتصين) .

(٥) في (ب) : (وتثبّت) .

(٦) جمع فلاة ، وهي الأرض التي لا ماء فيها . مجمع البحرين ١ : ٣٣٢ فلا .

(٧) أي : فلا تتغيري . مجمع البحرين ٥ : ١١٢ كسف .

وطبعَكِ ذهباً طريّاً فلا تعودِي زيفاً[1] ، وخلقَكِ بشَراً سوياً فلا تصيري طيْفاً . وجعلتِ واضحةَ الغرّةِ[2] فلا يسودنّكِ هواك ، وولدْتِ على الفطرةِ فلا يهودنّكِ أبواك . ويلَكِ جبلْتِ[3] حنيفةً فتمجّست ، وقدِمْتِ قدسيّةً فتنحّسْت ، وأُنزلْتِ طهوراً فتلوّثت ، وخرجتِ سيّاحةً فتلبّثْت . ونسجتِ ديباجاً فصرتِ مِسْحاً[4] ، وهبطتِ عذْباً فعدتِ ملْحاً .

يا نفسُ :

ما أكثرَ انهماكِكِ فِي غوايتِك ، وتهوّركِ فِي عمايتِك[5] ، وتمسكِك بشقاوتِك ، وتشبّثِكِ بغباوتِك ، وعمهِكِ[6] فِي سكرتِك ، وتردّدكِ فِي غمرتِك ، وخبْطكِ فِي عشوائك ، واستمرارِكِ علىٰ التوائك ، ومْا أعظمَ عنودكِ وشقاقك ، وكنودكِ ونفاقك ، وطغواكِ وعداوتك ، وفسقكِ وعصيانك . إنْ قلْتِ كذبْتِ ، أوْ عوتبْتِ غضبْت ، أوْ سُئلْتِ بخلْت ، أو وعدْتِ مطلْتِ .

---

(١) قال الطريحي في المجمع ٥ : ٦٨ زيف : (جاء في الحديث درهم زيف أي : رديء) .

(٢) غرة كل شيء : أوله ، والغرة بالضم بياض في الجبهة . اللسان ٥ : ١٤-١٥ غرر .

(٣) في (أ) : (جعلت) .

(٤) قال الطريحي في مجمع البحرين ٢ : ٤١٤ مسح : (والمسح بالكسر فالسكون واحد المسوح ويعبر عنه بالبلاس وهو كساء معروف) .

(٥) في (ج) و (د) : (في غايتك) .

(٦) في (ج) و (د) : (وغمرك) .

يـا نفـسُ :

أنتِ الّتي حسـدْتِ ، أنتِ الّتِي كنْتِ ، أنتِ الّتِي حقـدْتِ ، أنتِ الّتِي جحـدْتِ ، أنتِ الّتِي أفسدْتِ ، أنْتِ الّتِي عـانـدتِ ، أنتِ الّتِي وشيْتِ ، أنتِ الّتِي التـويْتِ ، أنتِ الّـتِي طـغيْـتِ ، أنْتِ الّـتِي بغيْتِ ، أنتِ الّتِي عصيْتِ ، أنتِ الّتِي هـويْتِ ، أنتِ الّتِي غـويتِ ، أنتِ الّتِي راءيْتِ[1] ، أنتِ الّتِي مـاريْتِ ، أنتِ الّتِي جنيْتِ ، أنـتِ الّتِي عتبْتِ ، أنتِ الّتِي اعتـديْتِ ، أنتِ الّتِي جشعْتِ ، أنـتِ الّتِي جـمعْـتِ ، أنتِ الّـتِي مـنعْـتِ ، أنتِ الّـتِي قـطعْـتِ ، أنتِ الّـتِي طحْتِ ، أنتِ الّتِي ضيّعْتِ [2] ، أنتِ الّتِي ضجـعْتِ ، أنـتِ الّتِي خـدعْتِ ، أنتِ الّتِي زلـلْتِ ، أنتِ الّـتِي غـفلْتِ [3] ، أنـتِ الّتِي عللْتِ[4] ، أنتِ الّتِي ضللْتِ[5] ، أنتِ الّتِي احتلْتِ[6] ، أنـتِ الّتِي أغـفلْتِ[7] ، أنـتِ الّتِي جهـلْتِ ، أنتِ الّـتِي أثـمتِ ، أنـتِ الّـتِي اجترمتِ[8] ، أنتِ الّتِي ظلمْتِ ، أنتِ الّتِي نممْتِ أنتِ الّتِي غممتِ[9] ، أنتِ الّتِي أسأتِ ، أنتِ الّتِي أخطأْتِ ، أنتِ الّتِي اجترأْتِ ، أنتِ الّتِي هـزأْتِ ، أنتِ الّتِي تـرأْتِ ، أنتِ الّـتِي هـمـزْتِ[10] ، أنتِ الّـتِي

---

(١) في (ب) : (راهيت) .
(٢) في (ج) : (ضايعت) .
(٣) في (أ) : (مهلت) .
(٤) في (ج) و (د) : (غللت) .
(٥) في (أ) : (أضللت) .
(٦) في (أ) : (اختلت) .
(٧) في (أ) : (اغتلت) .
(٨) في (أ) : (أحرمت) .
(٩) في (أ) : (غمرت) .
(١٠) في (أ) : (هزمت) .

لـمـزْتِ ، أنتِ الّـتِي هـتكْـتِ ، أنتِ الّـتِي أهـلكْتِ ، أنـتِ الّـتِي شككْـتِ ، أنتِ الّـتِي فـتكْـتِ ، أنتِ الّـتِي اقـتـرفْتِ ، أنـتِ الّتِي خلّفْتِ[1] ، أنتِ الّتِي خـالفْتِ ، أنتِ الّتِي سلفْتِ[2] ، أنـتِ الّتِي سـوّفْتِ[3] ، أنتِ الّتِي أسـرفْتِ ، أنتِ الّـتِي فـتنْـتِ ، أنتِ الّـتِي ظـننْـتِ ، أنتِ الّـتِي خـنْتِ ، أنـتِ الّتِي مـنْـتِ[4] ، أنـتِ الّـتِي فسقْتِ ، أنتِ الّتِي أبقْتِ ، أنتِ الّتِي جمعْتِ ، أنتِ الّتِي عقـقْتِ ، أنتِ الّتِي شـاققْتِ ، أنتِ الّتِي نـافقْتِ ، أنتِ الّتِي حنـثْتِ ، أنـتِ الّتِي نكثْـتِ ، أنتِ الّـتِي عـتبْـتِ ، أنتِ الّـتِي ارتـبْتِ ، أنـتِ الّتِي سـببْـتِ ، أنتِ الّـتِي كـذبْـتِ ، أنتِ الّـتِي صـبـوْتِ ، أنتِ الّـتِي قسـوْتِ ، أنتِ الّتِي سـهـوْتِ ، أنتِ الّـتِي جـفـوْتِ ، أنتِ الّـتِي هفـوْتِ ، أنتِ الّـتِي ضـررْتِ ، أنـتِ الّتِي غـررْتِ ، أنتِ الّـتِي ضاررْتِ ، أنتِ الّتِي شازرْتِ ، أنتِ الّتِي أضـررْتِ[5] ، أنتِ الّتِي أخفـرْتِ[6] ، أنتِ الّتِي فخـرْتِ ، أنتِ الّتِي غـدرْتِ ، أنتِ الّتِي ختـرْتِ[7] ، أنتِ الّتِي حيّـرْتِ ، أنتِ الّتِي قصـرْتِ ، أنتِ الّتِي

---

(١) في (أ) و (ج) و (د) : (أخلفت) .

(٢) في (أ) : (صلفت) .

(٣) في (ب) : (سرفت) .

(٤) في (ج) و (د) : (مننت) .

(٥) في (أ) و (ج) و (د) : (أصررت) .

(٦) في (أ) : (أخفرت أي : نقضت العهد ، وأخفرت الرجل : إذا نقضت عهدك . وفي الحديث : من صلّى الصبح فهو خفرت الله أي : في ذمته وجواره) . وفي (ب) : (خفرت) .

(٧) في (أ) : (الختر : أقبح الغدر . والشطط : تجاوز القدر في كلّ شيء . وأسقطت أي : عثرت وزللت ، والسقاط : العثرة والزلل . وسفهت أي : جهلت . وعمهت أي : تحيّرت وتردّدت) .

قنـطْتِ ، أنتِ الّتِي شـطَطْتِ ، أنتِ الّتِي أسقـطْتِ ، أنـتِ الّتِي سفهْتِ ، أنتِ الّتِي عمهْتِ .

يـا نفـسُ :

وبـالجملةِ فخيرُكِ يسيـر ، وشـرُّكِ كثيـر ، بـلْ خيـرُكَ ظِفْـر ، وشرُّكِ شِبْر . لاٰ تزيدُكِ الموعظةُ إلاّ خسـاراً ، ولاٰ تفيدُكِ الـوصيةُ إلاّ إصـراراً . قـدْ ضـجَّ منـكِ الضيـاءُ والـظلام ، والليـالِي والأيـام ، والمـلائكة الكـرام . ولا جرمَ أنّـهُ مِنْ كانتْ هـذهِ المعائبُ صفتـه ، واعتمـادهُ وسيرتـه . أنْ يستوجِبَ سخطَ الخـالق ، ومقتَ الخلائق . فعلامَ بعتِ الدِّين بـالدُونِ ، ودنَّستِ ثـوبَ عرضِـكِ المصونِ ؟ فـإنّا للّهِ وإنّا إليهِ راجعون .

يـا نفـسُ :

عجبـاً لـكِ وقـد قـادتْـكِ أزمّـةُ الحين ، واستغلقَ علىٰ قلبُـكِ أقفالُ الريْن . وقدْ أشرفْتِ علىٰ الهـلاكِ ، وحلَّ بـكِ الإرتباك ، وآنَ فـوتُـك ، واقتـربَ مـوتُـك . كيفَ تعمِينَ عنْ هـذهِ الأمـور ، ولا تحسبينَ عـواقبَ يومِ النشُـور ؟! وقدْ قيـلَ : منْ تدبَّـرَ[1] العواقب ، أمنَ مِنَ المعاطب .

شعرٌ :

فـإنَّ الجـرحَ ينفـرُ بعـدَ حينٍ إذا كـان البنـاءُ علىٰ فسـادِ[2]

---

(١) في (ب) و (ج) و (د) : (من بدر) .
(٢) في (ب) : (الفساد) .

وكيفَ تبيعِينَ[1] ما يبقىٰ أبدَ الآبدين ، بما لا يبقىٰ إلّا عددَ سنين ؟! فأنتِ كالمنخلِ يمسُكَ النخالةَ ويرسلُ الطحين .

يا نفسُ :

أنتِ تستعدّينَ للشتاءِ بجمعِ عدَّته ، بقَدرِ طولِ مدَّته . فتجمعينَ لهُ منَ الكسوةِ والأحطاب ، وجميع[2] الأسباب . ولا تتكلِينَ فِي ذلكَ علىٰ فضلِ اللّهِ وكرمه ، وجودِهِ ونعمه ، حتّىٰ يدفع عنكِ البردَ وشدَّتَه ، والقرَّ[3] ورعدتَه . منْ غيرِ جبَّةٍ أو لباد ، أوْ حطبٍ أوْ زناد . أوَتظنّينَ[4] أنَّ زمهريرَ جهنّمَ وشدّةَ عقوبتِهِ ، أخفُّ منْ زمهريرِ الشتاءِ ومدّةِ صعوبتِه . هيهاتَ هيهات ، كمْا لاْ يندفعُ بردُ الشتاءِ إلّا بالجبّةِ والنارِ وسائرِ الآلات ، فكذا لاْ يندفعُ حرُّ النارِ وبردِهْا إلّا بحصنِ التوحيدِ وخندقِ الطاعات . وكيفَ تستعدّينَ للشتاءِ قبلَ حلولِه ، والصيفِ قبلَ دخولِه ، وتنسِي زادَ القبرِ قبلَ نزوله ؟!

يا نفسُ :

أمْا تعلمينَ أنَّ الموتَ ميعادُك[5] ، والترابَ فِي القبرِ وسادُك ، والدود يأكلُ لحمَ خدّيْكِ وإنسانَ عينيْك ، والفزع الأكبر

---

(١) في (ج) و (د) : (تتبعين) .
(٢) في (ج) : (وجمع) .
(٣) قال ابن منظور في اللسان ٥ : ٨٢ قرر : (القر : البرد عامة ، بالضم ، وقال بعضهم : القر في الشتاء والبرد في الشتاء والصيف) .
(٤) في (ب) : (أتظنين) .
(٥) في (ب) : (معادك) .

بينَ يـديْـك . أمـا تعلمِينَ أنَّ الأمـواتَ يتمنّـوْنَ الـرجعَـةَ إلىٰ هـذهِ الـدار ، ليشتغلُوا بتدارُكِ تكفيـرِ الأوزار . ولـوْ قـدرُوا علىٰ يـومٍ منْ عمـرك ، أوْ ساعـةٍ منْ دهرِك . لاشتَـرْوا ذلـكَ بـأعلىٰ [1] الأثمـان ، والبِـاقوتِ[2] البهـرمـان [3] . وأنتِ الآنَ فِي أُمنيّتِهِمْ لا فِي منيّتِهِمْ ، وفِي مقامتِهِمْ لا فِي قيامتِهِم .

يـا نفـسُ :

أمـا تستحينَ تزيّنينَ ظـاهرَكِ للعـوام ، وتبارزينَ اللّهَ فِي السـرِّ فِي الجرائم[4] . وكيفَ تأمـرينَ بالخيْـرِ الدانِي والقـاصِي[5] ، وأنتِ ملطخةٌ بالمعاصِي ؟! تدعِينَ إلىٰ اللينِ وأنتِ قاسية ، وتذكّرينَ باللّهِ وأنتِ لهُ ناسية .

شعرٌ :

إذا أنتِ عبتِ الأمـرَ ثمَّ أتيتِـهِ فـأنتِ ومن تزري[6] عليـه سواءُ

فليكنْ قلبـكِ محزونـاً ، وشـرُّكِ مـأمـونـاً . ونفسُـكِ عفيفـةً ، وحوائجُكِ خفيفـةً ، واصبري أيـاماً قليلة ، لـراحةٍ طـويلَة . وانظرِي وجهَـكِ فِي المرآةِ فِي كـلِّ آنٍ ، وفِي كـلِّ وقتٍ وزمـان . فـإنْ كـانَ وجهُـكِ مليحاً ، فـاستقبحِي أنْ تضيفي إليهِ فعـلاً قبيحـاً . وإنْ كـانَ

---

(١) في (أ) : (بأغلىٰ) .
(٢) في (أ) : (والماقور) .
(٣) في (ج) و (د) : (ومعادن العقيان) .
(٤) في (أ) : (بالجرائم) وفي (ج) و (د) : (بالعظائم) .
(٥) أي : القريب والبعيد . مجمع البحرين ١ : ١٤٨ دنا و ٣٤١ قصا .
(٦) في (أ) : (تبني) وفي (ب) : (شيء) وما أثبتناه من (ج) و (د) وهو الأنسب .

وجهُكِ ليسَ بالزيْن ، فلا تجمعِي بينَ القبيحيْن[1] . وانظرِي إلىٰ قولِ الشاعر :

شعرٌ :

يا حسنَ الوجهِ فكنْ محسناً ... لا تبدلَنَّ الزيْنَ بالشينِ
ويا قبيحَ الوجهِ لا تجمعن ... باللّهِ ما بينَ قبيحيْنِ

يا نفسُ :

إيّاكِ واستعمال الرياءِ ، فإنّه موجبٌ للمقتِ والشقاء . حيثُ ينادىٰ عليهِ يومَ تبلىٰ السرائر : يا مرائي يا فاجرُ يا غادر . ثمَّ يقال له فِي التوبيخ علىٰ رؤُوسِ الأشهاد : أمَا استحيْيتَ إذِ استخففْتَ نظرَ سلطانَ المعاد ، وراقبْتَ قلوب العباد ، وتقرّبْتَ إلىٰ المخلوقينَ بالبعدِ عنِ المهيمنِ الجواد .

يا نفسُ :

لوْ لمْ يكنْ فِي الرياءِ إلاّ تحويلُ العملِ منْ جزيلِ الثواب ، إلىٰ وبيلِ العقاب . لكانَ إلىٰ معرفةِ ضررهِ كافياً ، ولتركِ قولهِ والعملُ بهِ واعياً[2] . معَ أنّهُ منْ طلبَ رضىٰ المخلوق[3] منعهُ اللّهُ فِي الدارينِ ثوابَ ما لديه ، وسخطَ عليهِ وأسخطَهُمْ عليه . وأيضاً

---

(١) في (أ) : (بين قبيحين) .
(٢) في (أ) : (داعياً) .
(٣) في (أ) : (المخلوقين) .

فإنّ رضاهُمْ لا يزيدُهُ رزقاً ولا أجلاً ، ولا يُرىٰ نافعاً يومَ فاقتِهِ قولاً وعملاً[1] .

يا نفسُ :

وكيفَ يتركُ العاقلُ ما عندَ اللّهِ تعالىٰ برجلِ كاذب ، ووهمٍ خائب ؟! معَ أنَّ مدحَ الناسِ لا ينفعُهُ وهوَ مذمومٌ عندَ اللّهِ ومنْ أهلِ النار ، وذمّهمْ لا يضرّهُ وهوَ محمودٌ عندَ اللّهِ وفي زمرةِ الأبرار . وفي الحديثِ : منْ آثرَ محامدَ اللّهِ كفاهُ اللّهُ مؤنةَ الناس ، ومنْ أصلحَ ما بينَهُ وبينَ اللّهِ أصلحَ اللّهُ ما بينَهُ وبينَ الناس .

يا نفسُ :

فكوني علىٰ وجلٍ ، ولا تصحبِي غيرَ الخالصِ منَ العمل . كما أنَّ المسافرَ إلىٰ بعيدِ القفار[2] ، لا يصحبُ معهُ إلّا خالصَ النضار . طلباً للخفّةِ وكثرةِ الانتفاع ، والابتياع بهِ عندَ الحاجةِ لما يباع . ولا حاجةَ أعظمَ منْ فاقةِ القيامة ، ولا عملَ أنفعَ منْ الخالصِ للّهِ يومَ الطامة . فهوَ أحسنُ الذخائر ، وأخفُّها حملاً عندَ أُولِي البصائر .

شعرٌ :

---

(١) في (أ) : (ولا عملاً) .

(٢) قال الطريحي في المجمع ٣:٤٦٣ قفر : (القفر من الأرض : المفازة التي لا ماء فيها ولا نبات والجمع قفار) .

مـا بالُ دينُـكَ ترضى أنْ تـدنّسَهُ وثوبُ جسمكَ مغسولٌ منَ الدنسِ
ترجُو النجاةَ ولمْ تسلكْ مسالكَها إنَّ السفينةَ لا تجرِي علىٰ اليبسِ

يـا نفـسُ :

فِي الخبـرِ : إنَّ العملَ الصـالحَ يمهّـدُ فِي الجنّـةِ لصـاحبـه ، كمٰا يرسلُ الرجلُ غلامَهُ بفراشهِ ومآربه . بلْ هوَ يحملُ صاحبَهُ علىٰ ما وردَ عنِ العلماءِ فِي رواياتهِم ، فِي تفسيرِ قولِه تعالىٰ : ﴿**وَيُنَجِّي اللّٰهُ الّذينَ اتّقَوْا بِمَفازَتِهِم**﴾[1] . إذِ العملُ الصالحُ يقـولُ لصاحبِـه : اركبنِي عندَ أهوالِ يومِ القيامةِ فلطالمٰا ركبتُكَ فِي الدنيٰا فِي الصلاةِ والصيام . فيركبُهُ فيتخطّىٰ بهِ مواقفَ الهوان ، حتّىٰ يحلَّ بـهِ غرفـاتِ الجنـان . فـارتـأي لنفسـكِ قبـلَ نـزولـك ، ومهّـدِي المنـزلَ قبـلَ حلولك . ومنْ عملَ صالحاً فـلأنفسهمْ يمهّدُون ، وهمْ فيمـا اشتهتْ أنفسهُمْ خالدون .

يـا نفـسُ :

إيّـاكِ والحرص فالحرصُ مذموم ، والحريص محروم ، والـرزق مقسـوم . لا يزيـدُهُ قيامُ حـريصٍ طامـع ، ولا ينقصُهُ قعـود مجمـلٍ قانع .

شعرٌ :

إيّـاكَ أنْ تحـرصَ فِي مكتسبْ يحـظىٰ بـهِ الغيـرُ وتشقىٰ بـهِ
كـالكلبِ يستبـدِلُ مجهـودَهُ فِي طلبِ الصيـدِ لأصحـابـهِ

---

(١) الزمر ٣٩ : ٦١ .

فخفّضِي فِي الطلب ، واجمِلي فِي المكتسب . ففِي الحديثِ : لا تموتُ نفسٌ منَ الخلق ، حتّىٰ تستكملُ ما قسّمَ لهٰا منَ الرزق . إنَّ اللّهَ قسَّمَ الرزقَ بينَ خلقهِ حلالاً ولمْ يقسّمهُ حراماً ، فمنِ اتقىٰ وصبَر أعطاهُ اللّهُ رزقهُ تماماً . ومنْ هتكَ حجابَ السترِ فأخذهُ منْ غيرِ حلِّه ، قوقصَ[1] بهِ منْ رزقهِ الحلالِ كلّه .

شعرٌ :

يفنِي الحريصُ بجمعِ المالِ مدّتهُ ... وللحوادثِ ما يبقىٰ وما يدعُ
كدودةِ القزّ ما تبنيهِ يهلكُهٰا ... وغيرُهٰا بالّذِي تبنيهِ ينتفعُ

يا نفسُ :

إنَّ أمامكِ طريقاً ذا مسافةٍ بعيدة ، ومشقّةٍ شديدة . وإنّهُ لا غنىٰ لكِ عنْ حسنِ الإرتياد ، وقدّرَ بلاغَكِ منَ الزاد . فلا تحمِلي علىٰ ظهرِكِ ما يعجزكِ حمله ، فيكونُ وبالاً عليكِ نقله[2] . وإنْ وجدتِ منْ أهلِ الفاقةِ منْ يحملُ لكِ زادك ، فيوافيكِ بهِ غداً يومَ معادك . فأكثرِي منْ تزويدهِ وحمّليه ، فلعلّكِ تطلبيهِ فلا تجديه .

يا نفسُ :

الخيرُ باق ، والإحسانُ واق ، والمرءُ لمٰا قدّمَ لاق . ومنَ الفسادِ إضاعةُ[3] الزاد ، ومفسدة المعاد . وإنّمٰا لكِ منْ دنياكِ ، ما

---

(١) أي : قطع . مجمع البحرين ٤ : ١٨٠ قصص .
(٢) في (ب) : (ثقله) .
(٣) في (ب) : (إضافة) .

أصلحتِ بـهِ مثـواكَ . وإذا جـزعتِ علىٰ مـا تفلّتَ من يـديـكِ ، فاجزعي علىٰ كلِّ ما لمْ يصلْ إليك . ولا تكـوني كدودةِ القـزِّ تهلكُ فِي حبسهٰا ، لبنائهٰا منْ جهلهٰا علىٰ نفسهٰا .

شعرٌ :

ألمْ تـرَ أنَّ المـرءَ طـولَ حيـاتـهِ معنّىً بـأمرٍ لا يـزالُ[1] يعـالجـهُ
كـدودِ الـقـزِّ ينسـجُ دائـمـاً ويهلكُ غمّاً وسطَ ما هوَ ناسجـهُ

يـا نفـسُ :

كمٰا ينظرُ المـريضُ إلىٰ لذيـذِ الـطعـام ، فـلا يلتـذُّ منْ شـدّةِ الأسقام . كذلكَ صاحبُ الدنيٰا لا يجـدُ لذّةَ العبـادةِ وحلاوتهٰا ، معَ ما يجدُ منْ محبّةِ الدنيٰا وغضارتهٰا[2] .

واعـلمِي : أنَّ الـدابـةَ إذا لـمْ تـركبْ وتـمتـهنْ[3] نـفـرتْ واستصعبت ، كـذلـكَ القلوبُ إذا لمْ تُـرقّق بـذكـرِ المـوتِ قستْ واستغلظت . وأنَّ الـرَقَّ[4] إذا لمْ ينخـرقْ يـوشـكُ أنْ يكـونَ وعـاءً للعسـل ، كذلـكَ القلوبُ إذا لمْ تغرقْهٰا الشهواتُ يـوشكْ أنْ تكـونَ أوعيةً للحكمةِ وصالح العمل .

يـا نفـسُ :

فِي الحـديثِ منْ قـال : سبحـانَ اللّهِ غـرسَ اللّهُ لـهُ بهٰا فِي

---

(١) في (أ) : (لم يزل) .
(٢) أي : طيب عيشها . مجمع البحرين ٣ : ٤٢٤ غضر .
(٣) أي : إذا لم تركب وتستخدم . مجمع البحرين ٦ : ٣٢١ مهن .
(٤) وهو : كلّ وعاء اتخذ لشراب ونحوه . اللسان ١٠ : ١٤٣ زقق .

الجنّةِ عشرَ شجراتٍ ، فيها ما شاء منْ أنواعِ الفواكه والطيبات . وهيَ ذواتُ أفنان[1] ، تحملُ منْ سائرِ الألوان . فيرىٰ ثمرَها إنْ أرادَ رطباً ، وإذا قضىٰ منهُ أرباً[2] تحوّل عنباً . فإذا قضىٰ منهُ أملاً ، انقلبَ عسلاً وتيجاناً وحللاً . وكذلكَ تتقلّبُ لوزاً ، وبطيخاً[3] وموزاً ، ورماناً وجوزاً ، وزيتوناً وتيناً ، أو لحماً[4] سميناً ، وحوراً عيناً . وإنّها تأتي إلىٰ باغيها[5] ، وتذلّل قطوفَها[6] لجانيها . منْ غيرِ تكلّفِ الاختراف[7] ، أو تجشّمِ الاقتطاف[8] . فلوْ تخرجُ شجرةٌ منْ تلكَ إلىٰ الدنيا للابتياع ، فما ظنّكِ بما كانَ تبذلُ الملوكُ فِي قيمتها لجلالةِ الانتفاع . خصوصاً إذا وصفتْ معَ ذلكَ بأنّها لا تحتاجُ إلىٰ سقيٍ وصرام[9] ، ولا فِي ثمرها جرام ، ولا لعمرها انصرام ، أو أنّها تبقىٰ عشرةَ آلافِ عام .

يا نفسُ :

قدْ وردَ فِي الوَحْي القديم ، عنِ الربِّ العظيم : أعددتُ لعبادِي ما لا عينَ رأت ، ولا أُذنَ سمعت . هذا معَ أنَّ عيانَ الآخرةِ أعظمُ منْ سماعِها ، بخلافِ الدنيا لخساسةِ متاعها . وما

---

(١) أي : ذوات غصون ، أو ذوات ألوان مختلفة . المفردات : ٣٨٦ فنن .
(٢) أي : حاجة . مجمع البحرين ٢ : ٦ أرب . وفي (ب) : (أملاً) .
(٣) في (ب) : (لو أراد بطيخاً) .
(٤) في (أ) : (ولحماً) .
(٥) أي : طالبها . مجمع البحرين ١ : ٥٣ بغا .
(٦) جمع قطف بالكسر وهو : العنقود . اللسان ٩ : ٢٨٥ قطف .
(٧) أي : الإلتقاط . اللسان ٩ : ٦٤ حرف .
(٨) أي : تكلّف القطع . اللسان ١٢ : ١٠٠ جشم .
(٩) الصرام : جذاذ النخل . مجمع البحرين ٦ : ١٠١ صرم .

أيامُ دنياكِ التي تشترِي بها هذا النعيمَ المقيمَ والفضلَ العظيمَ إلاّ ساعة ، فاجعليها طاعة . والماضِي منْ دنياكِ لا تجدينَ للذّتهِ تنعيماً ، ولا لبؤسهِ تأليماً . والمستقبلُ قدْ لا تدركيه ، وإنما أنتِ بالوقتِ الذي أنتِ فيه . ثم إنْ لمْ تبيعِي هذا الوقتَ القصيرَ بنعيمِ الآخرَة ، بعتِها بثمنٍ بخسٍ وصفقة خاسرَة .

شعرٌ :

الدهرُ ساومنِي عمرِي فقلتُ لهُ ما بعتُ عمرِي بالدنيا وما فيها
ثمَّ اشتراها بتدريجٍ بلا ثمنٍ تبتْ يدا صفقةٍ قدْ خابَ شاريها

يا نفسُ :

لا تقولِي أنا أتنعّمُ فِي الدنيا بما أباحهُ اللّهُ منَ المستلذّات ، و ﴿مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ الّتِي أَخْرَجَ لِعِبادِهِ وَالطَّيِّباتِ﴾ [1] . فإنَّ هذا القولَ تمويهٌ وزور ، وحمقٌ وغرور . لأنَّ المتوغّلَ فِي فضولِ الدنيا لا ينفكُّ عنْ تورّطِ الشبهات ، والحرصِ الموقعِ فِي مهاوِي الآفات . وإنْ سلمَ منَ الحرصِ ـ وأنّىٰ لهُ ـ لمْ يسلمْ منَ القساوةِ والملالَة ، فخائضُ الماءِ يجدُ البللَ لا محالَة .

يا نفسُ :

فِي الحديثِ : إنَّ المؤمنَ إذا كانَ فقيراً عفيفاً فِي رياضِ الجنّةِ قبلَ الغنيِّ بأربعين . وفي الحديث : إنَّ أهلَ النارِ يدعونَ

---

(١) الأعراف ٧ : ٣٢ .

مالكاً أربعينَ خريفاً أيْ : أربعينَ سنةٍ[1] . ومثلُ ذلكَ كسفينتينِ مرّتا علىٰ عشّار[2] ، إحداهما خاليةٌ والأُخرىٰ ذاتُ أوقار[3] . فيقولُ للخاليةِ : سيّروها ، وللموقّرةِ : احبسوها لتعشّروها .

يا نفسُ :

وكيفَ يرغبُ العاقلُ عنْ حبِّ المسكنةِ والمساكين ، وهوَ يرى الأولياءَ والنّبيينَ . علىٰ بغضِ الدنيا قدِ انعكفُوا ، وبوظيفةِ القيامِ بخدمةِ الله تكلّفُوا . فلوْ كانَ فِي الدنيا خيرٌ لمْ تفتْ هؤلاءِ الأكياس ، الّذينَ همْ حججُ اللّهِ علىٰ الناس . وأيُّ خيرٍ فِي الملكِ والمالِ وصاحبُهما إمّا قائمٌ بحقوقِهما فذاكَ مسلوبُ اللّذةِ والقرار ، وإمّا مضيّعٌ لما وجبَ عليهِ فيهما فمصيرهُ إلىٰ النار .

يا نفسُ :

الإعتمادُ علىٰ اللّهِ منوطٌ بالنجاح ، ومقودٌ بأزمّةِ الفلاح . والتعلّقُ بغيرهِ مقرونٌ بالخذلان ، وموجبٌ للحرمان . وإنَّ اللّهَ أقسمَ بعزّتِهِ وجلاله ، وعظمتِهِ وكماله . أنْ يقطعَ أملَ كلّ آملٍ أمّلَ سواهُ بالأياس ، وأنْ يكسوَهُ ثوبَ المذلّةِ فِي الناس . ويأمرَ

---

(١) كذا في (ب) وفي (أ) : (في الحديث : إن المؤمن إذا كان فقيراً عفيفاً ليتقلّب في رياض الجنة قبل الغنيّ بأربعين خريفاً أي : أربعين سنة ، وفي حديث آخر عنه (صلّى الله عليه وآله) : من صام يوماً في سبيل الله باعده الله من النار أربعين خريفاً ، وفي رواية أخرى : سبعين خريفاً ، قاله الهروي والمطرزي) .

(٢) بالعين المهملة المفتوحة والشين المشدّدة مأخوذ من التعشير ، وهو : أخذ العشر من أموال الناس بأمر الظالم . مجمع البحرين ٣ : ٤٠٤ عشر .

(٣) أي : ذات حمل . مجمع البحرين ٣ : ٥١٣ وقر .

السمـاواتِ والأرضينَ أنْ تقفـلَ دونـهُ أبـوابَهـا ، وأنْ تقـطعَ عنـهُ أسبـابَهَا . ومَنْ تـوكّلْ علىٰ اللّهِ ذلّتْ لـهُ الصعـاب ، وتسهّلتْ عليـهِ الأسبـاب . فثقِي بـاللّهِ ربّـك ، وتـوكّلِي علىٰ اللّهِ فهـوَ حسبُـك . واطلبِي رفدَه[1] ﴿أليسَ اللّهُ بكافٍ عبدَه﴾[2] .

واعلمي : أنّ الّـذِي للتوكّـل تارك ، مكـذّبٌ بهذهِ الآيـةِ وهـوَ هالك .

يـا نفـسُ :

فِي الحـديثِ : أنَّ جمودَ العينِ منَ قسـاوةِ القلب ، وهوَ يؤذنُ بـالبعـدِ عنِ الـربّ . وأنّـهُ مـا منْ شيءٍ إلاّ ولـهُ وزنٌ أو كيـل ، إلاّ الـدمـوعُ منْ خشيـةِ اللّهِ فِي جـوفِ اللّيـلِ . فـإنَّ القـطرةَ القليلةَ المقـدارِ ، تـطفىءُ بحـاراً منَ النـارِ . وإنَّ القـطرةَ كمثـلِ رأسِ الـذباب ، كجبـلِ أُحدٍ يـومَ الحسابِ منَ الأجـرِ والثواب . والبكـاءُ منْ خشيةِ اللّهِ ينيرُ القلب ، ويعصمُ عنْ معاودةِ الذنب .

يـا نفـسُ :

فعليكِ بإرسـالِ الدمـوعِ السجام[3] ، عنـدَ تذكـاركِ الذنـوبَ العظامِ ، والفضائـحَ فِي يومِ القيـام ، واشفاقُ الخـلائقِ منَ الملكِ العـلاّمِ . وقـدْ خـرستِ الألسنُ والشقـاشق[4] ، وكـانتِ الجـوارحُ

(١) أي : عطاءه وعونه . مجمع البحرين ٣ : ٥٣ رفد .

(٢) الزمر ٣٩ : ٣٦ .

(٣) أي : في حال كونها سجام الذي هو : قطرات الدمع وسيلانه . اللسان ١٢ : ٢٨٠ سجم .

(٤) قال ابن منظور في اللسان ١٠ : ١٨٥ شقق : (والشِّقْشِقة : لهاة البعير ولا تكون إلا =

هيَ[1] الشاهدَ والناطق . يومَ تكشفُ فيهِ العورات ، ويؤمنُ فيهِ النظرُ والالتفات . وكيفَ للمرءِ بالنظرِ إلىٰ منْ يليه ، و ﴿لِكُلِّ امْرِىءٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾[2] .

يا نفسُ :

فمنهمُ المسحوبُ علىٰ وجهه ، والمقرونُ معَ شكلهِ وشبهه . ومنهمُ الجاثِي علىٰ ركبتيه ، والمعلَّقُ بشفتيه . ومنهمْ كالذرِ فيوطأُ بالأقدام ، ومنهمْ منْ يصلبُ علىٰ شفيرِ جهنّمَ عشرةَ آلافَ عام ، أوْ صلباً ليسَ لمدّتهِ انصرام[3] . ومنهمْ من يطوّقُ بشجاع[4] فِي جيده[5] ، ينهشهُ فِي وجههِ ووريده . ومنهمْ منْ تطؤهُ ذواتُ الاخفافِ بأخفافها ، وذواتُ الأظلافِ بأظلافها . ومنهمُ المقرونُ معَ الشياطين ، والمسجونُ فِي سجّين . ومنهمْ منَ القردةِ والخنازيرِ فِي صورتهم ، ومنهمْ كالجيفِ[6] فيتقذرهمْ أهلُ الموقفِ لشدّةِ نتنهم . ومنهمْ منْ يسيلُ منْ أفواههمْ وفروجهِمْ القيحُ والصديد ، ومنهمْ منْ لهُ ثيابٌ منْ نارٍ يصبُّ منْ فوقِ رؤوسهِمُ الحميمُ يصهرُ بهِ ما فِي بطونهمْ والجلودُ ولهمْ مقامعُ منْ حديد . فأحقُّ الناس بالتغبيط[7]

= للعربي من الإبل ، وقيل : هو شيء كالرئة يخرجها البعير من فيه إذا هاج ، والجمع الشقاشق ، ومنه سمّي الخطباء شقاشق ، شبّهوا المكثار بالبعير الكثير الهدر) .

(١) في (ب) : (بين) .

(٢) عبس ٨٠ : ٣٧ .

(٣) أي : انقطاع . مجمع البحرين ٦ : ١٠١ صرم .

(٤) وهي : الحية الذكر ، وقيل : الحية مطلقاً . لسان العرب ٨ : ١٧٤ شجع .

(٥) أي : في عنقه . مجمع البحرين ٣ : ٣٣ جيد .

(٦) في (أ) : (كالجيفة) .

(٧) من الغبطة التي هي : أن تتمنّى مثل حال المغبوط من غير أن تريد زوالها ولا أن تتحول عنه . اللسان ٧ : ٣٥٩ غبط .

الطائعُ الرشيد ، وأحقُّ الناسِ بالعذابِ البسيط العاصِي العتيد[1] .
وقلتُ شعراً .

شعرٌ :

أحقُّ النـاسِ أنْ يـصلَى بنـارٍ فـتىً ذُو مـالْ أذهبـهُ الغنـاءُ
تجمّـعَ منْ نهـاوشَ[2] ثمَّ يلقَىٰ نهـابـرَ[3] إنَّ ذاكَ هـوَ الشقاءُ
فـويـلٌ ثـمَّ ويـلٌ ثـمَّ ويـلٌ لـه في الحشرِ إذ عـظمَ البلاءُ

يـا نفـسُ :

احذرِي : ﴿يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً﴾[4] ، ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّماءُ مَوْراً وَتَسِيرُ الْجِبالُ سَيْراً﴾[5] ، ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنافِقُونَ وَالْمُنافِقاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَراءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً﴾[6] ، ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلائِكَةَ لا بُشْرى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْراً مَحْجُوراً﴾[7] .

يـا نفـسُ :

احذري : ﴿يَوْماً يَجْعَلُ الْوِلْدانَ شِيباً السَّماءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ كانَ

---

(١) في (أ) : (العنيد) .
(٢) وهو : أن يكتسبه من غير حلّه ، كأنه أخذه من أفواه الحيات . اللسان ٦ : ٣٦١ نهش .
(٣) أي : مهالك وأموراً شداداً صعبة . اللسان ٥ : ٢٣٩ نهبر .
(٤) الإنسان ٧٦ : ١٠ .
(٥) الطور ٥٢ : ٩ ـ ١٠ .
(٦) الحديد ٥٧ : ١٣ .
(٧) الفرقان ٢٥ : ٢٢ .

وَعْدُهُ مَفْعُولا﴾[1] ، ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الأَرْضُ وَالْجِبالُ وَكانَتِ الْجِبالُ كَثِيباً مَهِيلاً﴾[2] ، ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُناسٍ بِإِمامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولئِكَ يَقْرَؤُنَ كِتابَهُمْ وَلا يُظْلَمُونَ فَتِيلا﴾[3] ، ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ السَّماءُ بِالغَمامِ وَنُزِّلَ المَلائِكَةُ تَنْزِيلا﴾[4] ، ﴿يَوْمَ يَعَضُّ الظالِمُ عَلىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلا﴾[5] ، ﴿يَوْمَ تَقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ في النّارِ يَقُولُونَ يا لَيْتَنا أَطَعْنَا اللّهَ وأَطَعْنَا الرَّسُولا﴾[6] .

يا نفس :

احذري : ﴿يَوْماً لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً وَلا يُقْبَلُ مِنْها شَفاعَةٌ وَلا يُؤخَذُ مِنْها عَدْلٌ﴾[7] ، ﴿يَوْمَ الفَصْلِ﴾[8] ، ﴿وَما أَدْراكَ ما يَوْمُ الفَصْلِ﴾[9] ، ﴿يَوْمَ يأتِي بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ لا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمانُها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبلُ﴾[10] . ﴿يَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبالَ﴾[11] ، ﴿يَوْمٌ لا بَيْعٌ فِيهِ وَلا خِلالٌ﴾[12] . ﴿يَوْمَ

---

(١) المزمّل ٧٣ : ١٧ ـ ١٨ .
(٢) المزمّل ٧٣ : ١٤ .
(٣) الإسراء ١٧ : ٧١ .
(٤) الفرقان ٢٥ : ٢٥ .
(٥) الفرقان ٢٥ : ٢٧ .
(٦) الأحزاب ٣٣ : ٦٦ .
(٧) البقرة ٢ : ٤٨ .
(٨) الصافات ٣٧ : ٢١ ، الدخان ٤٤ : ٤٠ ، المرسلات ٧٧ : ٣٨ ، النبأ ٧٨ : ١٧ .
(٩) المرسلات ٧٧ : ١٤ .
(١٠) الأنعام ٦ : ١٥٨ .
(١١) الكهف ١٨ : ٤٧ .
(١٢) إبراهيم ١٤ : ٣١ .

الآزِفَة﴾ [1] ، ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرّاجِفَةُ تَتْبَعُها الرّادِفَةُ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَة﴾ [2] .

يا نفس :

احذري : ﴿يَوْمَ يُحْشَرُ أعْداءُ اللّهِ إلىٰ النّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [3] ، ﴿يَوْمُ لا يَنْطِقُونَ وَلا يُؤذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ [4] ، ﴿يَوْمَ لا يَنْفَعُ مالٌ وَلا بَنُونَ﴾ [5] ، ﴿يَوْمَ تَقُومُ السّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ﴾ [6] ، ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إلىٰ نارِ جَهَنَّمَ دَعّاً هذِهِ النّارُ الّتِي كُنْتُمْ بِها تُكَذِّبُونَ﴾ [7] ، ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الأجْداثِ سِراعاً كأنَّهُمْ إلى نُصُبٍ يُوفِضُونَ . خاشِعَةً أبْصارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كانُوا يُوعَدُونَ﴾ [8] ، ﴿يَوْمَ تَأتي كُلُّ نَفْسٍ تُجادِلُ عَنْ نَفْسِها وتُوَفّىٰ كُلُّ نَفْسٍ ما عَمِلَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ [9] .

يا نفس :

احذري : ﴿يَوْمَ الدِّينْ﴾ [10]، ﴿وَما أدْراكَ ما يَوْمُ

---

(١) غافر ٤٠ : ١٨ .
(٢) النازعات ٧٩ : ٦ ـ ٨ .
(٣) فصلت ٤١ : ١٩ .
(٤) المرسلات ٧٧ : ٣٥ ـ ٣٦ .
(٥) الشعراء ٢٦ : ٨٨ .
(٦) الجاثية ٤٥ : ٢٧ .
(٧) الطور ٥٢ : ١٣ ـ ١٤ .
(٨) المعارج ٧٠ : ٤٣ ـ ٤٤ .
(٩) النحل ١٦ : ١١١ .
(١٠) الانفطار ٨٢ : ١٥ .

الـدِّيـنْ﴾[1] ، ﴿يَـوْمَ يَقُـومُ النّـاسُ لِـربِّ الْعـالَـمِـيـنْ﴾[2] ، يَوْمَ التَّنادِ يَـوْمَ تُوَلُّـونَ مُدْبِـرِينْ﴾[3] ، ﴿يَوْمَ يُنْفَـخُ فِي الصُّورِ فَفَـزِعَ مَنْ في السَّمـاواتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إلاّ مَنْ شـاءَ اللّهُ وَكُـلٌّ أتـوْهُ داخِرِينْ﴾[4] . ﴿يَوْمَ الْجَمْعِ لا رَيْبَ فِيهِ فَـرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَـرِيقٌ فِي السَّعِيرْ﴾[5] ، ﴿يَوْمٌ لا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللّهِ ما لَكُمْ مِنْ مَلْجَاءٍ يَـوْمَئِذٍ وَمـا لَكُمْ مِنْ نَكِيرْ﴾[6] .

يـا نفـسُ :

احذرِي : ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرءُ مِنْ أخِيهِ ، وَأُمِّهِ وأبِيـهِ ، وَصاحِبَتِـهِ وَبَنِيهِ﴾[7] . ﴿يَوْمَ يَتَـذَكَّرُ الإِنْسـانُ ما سَعى ، وَبُـرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَـرى﴾[8] . ﴿يَـوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللّهُ جَمِيعـاً فَيُنَبِّئُهُمْ بِمـا عَمِلُوا أَحْصـاهُ اللّهُ وَنَسُـوهُ واللّهُ عَلىٰ كُلِّ شَيءٍ شَهِيـدٌ﴾[9] ، ﴿يَوْمَ تَـرَوْنَها تَـذْهَلُ كُـلُّ مُرْضِعَـةٍ عَمّـا أَرْضَعَتْ وَتَضَـعُ كُـلُّ ذاتِ حَمْـلٍ حَمْلَهـا وَتَـرىٰ النّاسَ سُكارىٰ وما هُمْ بِسُكارىٰ وَلكِنَّ عَذابَ اللّهِ شَدِيدٌ﴾[10] .

---

(١) الانفطار ٨٢ : ١٧ .
(٢) المطففين ٨٣ : ٦ .
(٣) غافر ٤٠ : ٣٢ ـ ٣٣ .
(٤) النمل ٢٧ : ٨٧ .
(٥) الشورى ٤٢ : ٧ .
(٦) الشورى ٤٢ : ٤٧ .
(٧) عبس ٨٠ : ٣٤ ـ ٣٦ .
(٨) النازعات ٧٩ : ٣٥ ـ ٣٦ .
(٩) المجادلة ٥٨ : ٦ .
(١٠) الحج ٢٢ : ٢ .

يـا نفـسُ :

احـذري : ﴿يَـوْمَ التَّـلاقْ﴾ [١] ، ﴿يَـوْمَ يُكْشَفُ عَـنْ ساقْ﴾ [٢] ، ﴿إلىٰ رَبِّكَ يَـوْمَئِذٍ الْمَسـاقْ﴾ [٣] . ﴿يَوْمَ يَقُـومُ الرُّوحُ وَالْمَلائِكَةُ صَفّـاً لاَ يَتَكَلَّمُونَ إلاّ مَنْ أذِنَ لَـهُ الرَّحْمٰنُ وَقَـالَ صَوابـاً ، ذٰلِـكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شـاءَ اتَّخَذَ إلىٰ رَبِّـه مَآبـاً﴾ [٤] ، ﴿يَوْمَ يَنْـظُرُ الْمَرءُ ما قَدَّمَتْ يَداهُ وَيَقُولُ الكافِرُ يا لَيْتَنِي كُنْتُ تُراباً﴾ [٥] .

يـا نفـسُ :

احذرِي ناراً شديدٌ كلبهـا [٦] ، عالٍ لجبهـا ، ساطـعٌ لهبهٰا ، متأجّجٌ سعيرُهٰا ، متغيّظٌ زفيرُهٰـا ، بعيدٌ خمودُهٰا ، ذاكٍ [٧] وقودُهٰـا ، متخوّفٌ وعيدُهٰا . قعرُها بعيد ، وحـرُّها شـديد ، وعـذابُهٰا جـديد ، وحليُّهٰـا أصفـادٌ [٨] الحـديـد [٩] ، وإذا قيـلَ لهٰـا : هـلِ امتـلأتِ ؟

---

(١) غافر ٤٠ : ١٥ .

(٢) القلم ٦٨ : ٤٢ .

(٣) القيامة ٧٥ : ٣٠ .

(٤) النبأ ٧٨ : ٣٨ ـ ٣٩ .

(٥) النبأ ٧٨ : ٤٠ .

(٦) في (أ) : (قولـه : كلبهـا أي : مشارّتهـا ، والتكـالب : المشـارّة . ولجبهـا أي : صـوتها ، وجيش لجب أي : ذي صـوت وكثرة ، وبحـر لجب : إذا سمـع اضـطراب موجه . والأجيج : تلهب النار . وقوله : متغيظ زفيرها التغيظ : الصـوت الذي يهمهم به المغتاظ ، والزفير : صوت من الصدر) .

(٧) من الذكاء بالفتح الذي هو : شـدة وهج النـار واشتعالهـا . مجمع البحـرين ١ : ١٥٩ ذكا .

(٨) أي : أغلال . المفردات : ٢٨٢ صفد .

(٩) في (ج) و (د) : (وحليّها حديد) .

وتقولُ : هلْ منْ مزيدْ[1] .

يـا نفـسُ :

انـظرِي أوّلاً فِي ذنوبـكِ الظاهـرة ، قبلَ حلولِ السـاهرة[2] . ثمَّ انـظرِي فِي الموتِ وسكـرته ، والقبـرِ ومسألتـه . ثمَّ انظرِي بعـدَ هـذهِ الثلاث ، إلىٰ عـذابِ الأجداث . ثمَّ انـظرِي رابعاً فِي أهـوالِ النـداءِ يومَ النشـور ، عنـدَ نفخـةِ الصـور ، وكيفَ يُسـاقُ الخلقُ منَ القبـور . إلىٰ موقفِ السـاهرةِ حفـاةً ، وإلىٰ أرضِ المحشرِ عراءً؟ ! يسـوقهمُ اللّهُ بالنفخـةِ الأُولىٰ وهيَ الراجفـة ، ثمَّ يتبعهٰا بعـدَ أربعينَ سنةً بالنفخةِ الثانيةِ وهيَ الرادفة .

يـا نفـسُ :

ثمَّ انـظرِي خـامسـاً فِي جميـعِ[3] الخـلائقِ علىٰ صعيـد ، وأهوالِ اليومِ الشـديد[4] . وعـدّةُ تلكَ الأُمورِ[5] العـظام ، علىٰ ما وردَ عنِ النبيِّ (عليـهِ السلام) : خمسـونَ هولاً بخمسينَ ألفَ عـام . ثمَّ انـظرِي سادسـاً فِي المناقشـةِ فِي الحسابِ فِي القليـلِ والكثير ، والاستقصاءِ[6] والمضايقةِ فِي النقيرِ والقطمير[7] .

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿يوم نقول لجهنّم هل امتلأت وتقول هل من مزيد﴾ سورة ق ٥٠ : ٣٠ .

(٢) وهي : أرض القيامة . المفردات ٢٤٥ سهر .

(٣) في (ج) و (د) : (في جمع) .

(٤) في (ج) و (د) : (وهول ذلك اليوم الشديد) .

(٥) في (أ) : (الأهوال) .

(٦) في (أ) : (والاستفصاء) .

(٧) النقير : النقرة التي في ظهر النواة . والقطمير : الجلدة الرقيقة على ظهر النواة . =

يـا نفـسُ :

ثمَّ انـظرِي سـابعـاً فِي جهنّمَ [1] وأهـوالِهـا ، وسـلاسلهـا وأغلالهٰا ، وسمومهٰا ونكالهٰا ، وزقّومهٰا ووبـالهٰا . وإلىٰ شـررهٰا التِي تـرمِي بهٰـا كـالجبـال ، وإلىٰ عقـاربهٰـا الفـاغـرة [2] أفـواههٰـا وهيَ كالبغال ، وإلى حيّاتها الصالفةِ بأنيابهـا وهي كالنخـل الطوال . وإلىٰ زبانيتهٰا [3] العظام ، الّذِي مـا بينَ منكبيْ أحدهِمْ مسيـرَ عام ، كيفَ وقـدْ زمّتْ [4] بسبعينَ ألفَ زمام ، وردمتْ [5] بـالغضبِ والانتقـام . معذّبهٰا مقيم ، وهيّنهٰـا أليم . يأكـلُ بعضهٰا بعض ، ويصـولُ بعضهٰا علىٰ بعض . تـذرُ العـظامَ رميمـاً ، وتسقِي أهلَهٰـا حميمـاً [6] . لا تـرحمُ منِ استعطفهٰـا وتضرّعَ لـديهٰا ، ولا يقـدرُ علىٰ التخفيفِ عمّنْ خشعَ لهٰا واستسلمَ إليهٰا .

يـا نفـسُ :

إتَّ اللّهَ يحشـرُ المتكبـرينَ والمتجبّـرينَ كـالـذرِ فِي صـورهِمْ وألـوانهم ، يطؤهمْ أهـلُ الموقفِ يـومَ القيامـةِ لهوانِهم . فيـا خجـلَ المقصّرينَ منَ التوبيخِ فِي محلِّ القيـامة ، ويـا حسرة أهـلِ التفريطِ

مجمع البحرين ٣ : ٥٠٠ نقر ، و ٤٦٢ قطمر .

(١) في (ج) و (د) : (ثم صوّرِي في نفسك جهنم) .

(٢) أي : الفاتحة . مجمع البحرين ٣ : ٤٤١ فغر .

(٣) الزبانية : قسم من الملائكة غلاظ شداد ، وسمّو بذلك لدفعهم أهل النار إليها . اللسان ١٣ : ١٩٤ زبن . وفي (ب) : (زبانيها) .

(٤) أي : شدت . مجمع البحرين ٦ : ٨٠ زمم .

(٥) أي : سدّت . مجمع البحرين ٦ : ٧٢ ردم . وفي (ج) و (د) : (مردومة) .

(٦) في (أ) : (جحيما) .

مِنْ زلّاتِ يومِ الطامة ، ويا سوءَ منقلبِ الظالمينَ عندَ حلولِ الندامة ، ويا حسرةَ الهالكينَ إذا عاينُوا أهلَ السلامة ، ويا هوانَ المتكبرينَ إذا حرمُوا منْ دارِ الكرامة .

يا نفسُ :

يومئذٍ تبرزُ المخبّئات ، وتبدُو المكتومات[1] . وتظهرُ الفضائح ، وتكثرُ الجوائح[2] ، وتشهدُ الجوارح ، وتبعثرُ الضرائح ، وتعدّدُ القبائح . وقيِّدَ الجبابرةُ بخطمِ الارغام[3] ، وجَثىٰ[4] الظالمونَ بينَ يديْ حاكمِ الحكّام ، وعُرفَ المجرمونَ بسيماهمْ فأُخذُوا بالنواصِي والأقدام ، وقُضيَ بدارِ البوارِ لمنْ حُرمَ دارَ السلام .

يا نفسُ :

فإذا عرفتِ فِي هذا المقامِ ، بعضَ شدائدِ أهوالِ يوم القيام ، فانظرِي إلىٰ الجنةِ كيفَ زخرفهَا اللّهُ بالنعيمِ وملأهَا بالانعام ، وشوّقَ إليهَا الأتقياءَ والأخيارَ منَ الأنام ، وجعلهَا ثمانيةَ أقسام : جنّةُ عدنٍ وجنّةُ نعيمٍ وجنّةُ الخلدِ وجنّةُ المأوىٰ وجنّةُ الفردوسِ ودارُ الجلَالِ ودارُ الكمالِ ودارُ السلام ، لبْنةٌ منْ ذهبٍ

---

(١) في (ب) : (المكنونات) .

(٢) في (أ) : (قوله : الجوائح أي : الشدائد ، والجائحة : الشدة ، والجنوح : الاستيصال ، وأجاحه : أهلكه بالجائحة) . وفي (د) : (الصوائح) .

(٣) الخطم : الأنف ، والرِّغام : التراب . اللسان ١٢ : ١٨٦ خطم ، و ٢٤٧ رغم .

(٤) في (ج) : (وجثّ) .

ولبْنةٌ منْ فضّةٍ حصاؤها[1] اللؤلؤ والمرجانِ وترابُها الزعفرانِ تضعُ عليها الأقدامِ .

يا نفسُ :

وفيها كما ذكرَ ذُو الجلال فِي سورةِ القتال : ﴿**أَنْهارٌ مِنْ ماءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفّىٰ وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ**﴾[2] . مطهّرةٌ منَ الدنسِ والآثامِ ، أهلُها فِي أكنافِ القصورِ كأمثالِ البدورِ بيضُ الوجوهِ سودُ العيونِ نواعمُ الأجسامِ حسنُهمْ علىٰ قدرِ أعمالهمْ فمنهمْ كالكوكبِ الدريِّ الغايرِ فِي الأُفقِ ومنهمْ كالبدرِ فِي ليالِي التمامِ ، تشرقُ وجوهُهمْ وتضيءُ أعمالهمْ ويذهبُ عنهمُ الهمَّ ويذهبُ عنهمُ السُّقام ، فِي نعيمٍ وسرورٍ وجنّةٍ وحريرٍ وغبطةٍ وحبورٍ ومساكنَ وقصورٍ وقبابٍ وخيام .

يا نفسُ :

وعلىٰ كلِّ واحدٍ منهمْ سبعونَ حلّةً من سندسٍ واستبرقٍ منسجلة[3] الذيولِ مطرّزة الأعلام ، وكلّماغرّدتْ فوقَ الغصونِ حماماتُ الأوكارِ وجرتْ تحتَ القصورِ أمواهُ الأنهارِ هبّتِ النسيمُ نفحتِ الأشجارُ تلألأتِ الزهورُ تفتحتِ الأكمام . وكلما تعبتْ مصاريعُ القصورِ تغنّتِ الولدانُ والحورُ تراقصتِ البلابلُ وتجاوبتِ

---

(١) في (أ) : (حصياتها) .

(٢) القتال ـ محمد ـ ٤٧ : ١٥ .

(٣) أي : مسترخية . اللسان ١١ : ٣٢٥ سجل .

الطيورُ بأحسنِ نغامٍ وأمتنِ[1] نظام ، يأكلونَ ويشربونَ ويتنعّمونَ لا يفنىٰ شرخُ شبابهمْ[2] ولا يبلىٰ صافِي ثيابهمْ ولا يترنّقُ[3] صافِي شرابهمْ علىٰ طولِ الدهورِ وممرّ الأيام .

يا نفسُ :

فوا عجباً لطالبِ هذا الخيرِ العميم ، والرزقِ الجمّ[4] العظيم ، والمغفرةِ والأجرِ الكريم . كيفَ يطيبُ لهُ رقادٌ ويلذُّ لهُ منام ؟ أوْ كيفَ ينامُ قريرَ العينِ منْ طالبُهُ لا ينام ؟ أوْ كيفَ يطمعُ بالبقاءِ منْ ينقصُ عمرهُ علىٰ ممرِّ الساعاتِ والأيامِ والشهورِ والأعوام ؟ صدقَ عليهِ السلامُ : الناسُ نيام .

شعرٌ :

يا أيّها الراقدُ كمْ ذا المنامْ[5] علامَ ذا الغفلةِ جهلاً علامْ
علامَ تفنِي العمرَ لا ترعوِي سكرتَ يا هذا بغيرِ المدامْ[6]
فِي طمعِ الدنيا ولذّاتها وجمع ما تتركهُ منْ حطام
حلَّ بكَ الشيبُ أما تستحِي ما آنَ إقلاعكَ عنْ ذِي المرامْ
تمارِي الشبّانَ فِي جهلهمْ ذُو شيبةٍ يفعلُ فعلَ الغلامْ
كأنَّ بالصحةِ قدْ حُوّلتْ وألبسَ المسكينُ ثوبَ السقامْ

---

(١) في (أ) : (وأبين) .
(٢) أي : أول شبابهم . اللسان ٣ : ٢٩ شرخ .
(٣) أي : لا يكدر . مجمع البحرين ٥ : ١٧٣ رشق .
(٤) في (أ) : (الجسيم) .
(٥) في (أ) : (النيام) .
(٦) في (أ) : (المرام) .

فـارقـتِ الـقـوةُ أركـانـهـا عنْ كـلِّ ما يعهـدُ حتّىٰ الطعـامْ
طـافَ بـهِ الأهـلُ ولا حـيـلةٌ حتّى سقاهُ الموتُ كأسَ الحمامْ
فـيـا هنيئـاً لامـرىء قـدّمتْ يـداهُ خيـراً بعـدهُ لا يـضـامْ
ويـا حيا المـذنبُ منْ زلـةٍ[1] مـوبقـةٍ تـرديـهِ[2] بينَ الأنـامْ

يـا نفـسُ :

فـدَراكِ دَراكِ ، قبـلَ حلولِ الهـلاكِ . قبـلَ هجـومِ مـا لا يـدفع ، وذهـابُ ما لا يـرجع والإعتـذارُ بمـا لا يسمـع . وشخـوصُ الأبصارُ فِي المحاجرِ[3] وبلوغُ القلوبُ الحناجرِ .

وانظرِي إلىٰ منظرٍ تنصدعُ منهُ المـرائرُ ، وتعلنُ فيـهِ السرائـرُ ، وتكشفُ فيهِ الصغائرُ والكبائـر . فلا مشمِّـرَ[4] يومئـذٍ إلّا ظافـر ، ولا مقصّرَ إلّا خاسر .

يـا نفـسُ :

مـا أقبحَ التقصيـرُ بعـدَ التحـذيـر ، ومـا أحسنَ التشميـر بعـدَ التبـذير . ومـا أعظمَ المصيبـةُ علىٰ منْ فقدَ قلبـاً واعياً ، ومـا أسـرعَ العقوبة علىٰ منْ عدمَ طرفاً باكياً .

شعرٌ :

---

(١) في (أ) و (ب) : (ذلة) والأنسب ما أثبتناه وهو من (ج) و (د) .
(٢) في (ج) و (د) : (تفضحه) .
(٣) جمع محجر بالكسر وهو : ما دار بالعين من جميع الجوانب وبدا من البـرقع . مجمـع البحرين ٣ : ٢٦٠ حجر .
(٤) أي : متهيّأ . اللسان ٤ : ٤٢٧ شمر .

كنتَ فِي سفرةِ الغوايةِ والجهلِ ... دواماً فحانَ [1] منكَ قدومُ
بعدَ خمسٍ وأربعينَ لقدْ ما ... طلتَ لولا أنَّ الغريمَ كريمُ
فعسىٰ أنْ رجعتَ عنْ كلِّ حوبٍ ... يمحُ بهذا الحديثِ ذاكَ القديمُ

يا نفسُ :

إنّكِ عنْ قريبٍ فِي البرزخِ منبوذة ، وبكبائرِ ذنوبكِ وصغائرِها مأخوذة . فكيفَ بكِ إذا بلغَ كتابكِ المسطورُ الأجل ؟ وحُرّرَ حسابُكِ المحصورُ وحصَل ؟ وقُضيَ قضائكِ المقدورُ ونزل ؟ وخابَ رجاؤكِ المغرورُ وبطل ؟

شعرٌ :

فيا هنيئاً لخيِّرٍ كسبت ... يداه خيراً وجدّ في أجرهِ
وقدْ تردّىٰ بحكمةٍ وتقىٰ ... سيّانَ فِي عسرهِ وفِي يسرهِ
ودأبهُ الصومُ والصلاةُ معاً ... فِي يومهِ والهجودُ [2] فِي سحرهِ
ويا تباباً لكادحٍ كدحتْ ... يداهُ شراً وقدْ جدَّ فِي ضررهِ
مشتملٌ بالضلالِ كمْ بدعٍ ... أبدعَ فِي بدوهِ وفِي حضرهِ
مباغِي البغيَ يبتغِي أثراً ... وخدّهُ لا يزالُ فِي صغرهِ [3]
فذاكَ قصراهُ فِي قيامتهِ ... بقصرهِ مرتقٍ علىٰ سررهِ
وإنَّ هذا بيومِ مبعثهِ ... مسعّرُ الجسمِ ظلَّ فِي سعرهِ

---

(١) في (ج) و (د) : (فحار) .

(٢) من التهجد ، قال تعالى : ﴿ومن الليل فتهجّد به ١٧ : ٧٩﴾ أي : تيقّظ بالقرآن ، وذلك حثّ على إقامة الصلاة في الليل المذكور في قوله : ﴿قم الليل إلاّ قليلاً﴾ [٧٣ : ٣] المفردات : ٥٣٦ هجد .

(٣) الصغار بالفتح : الذلّ والضيم . مجمع البحرين ٣ : ٣٦٦ صغر .

يـا نفـسُ :

ألاْ تنظرينَ إلىٰ الّذينَ عمّروا الدنيٰا زماناً ، وجعلُوهٰا أوطاناً ، واتخذُوا منهٰا أمـوالاً وأعواناً ، فأُخـرجُوا منهٰـا وحدانـاً ، وزوّدُوا منْ متاعهٰا أكفاناً ، ولمْ يجدُوا منْ خوفِهٰا أماناً .

شعرٌ :

جرتِ الرياحُ علىٰ محلِّ ديارهمْ فكـأنّهمْ كـانُـوا علىٰ مـيعـادِ

أقـامُـوا[1] فِي بـطونِ الأرضِ بعـدَ ظهـورهٰـا ، وسكنُـوا فِي قبورهٰا بعـدَ قصورهٰـا . فهمْ فِي مضاجـعِ الهلكاتِ راقـدون ، وفِي بلاقعِ[2] الفلواتِ خامدون .

يـا نفـسُ :

فلوْ كشفتِ عنهمْ أغـطيـةُ الأجـداث ، بعـدَ يـومينِ أو ثـلاثِ لـرأيتِ الأحـداقَ[3] علىٰ الخـدودِ سـائلة ، والـديـدانَ فِي الأجسـادِ جـائلة ، والألـوانَ منْ ضيقِ اللّحـودِ حـائلة . ينكـرُهٰـا منْ كـانَ لهٰـا عارفاً ، وينفرُ عنهٰا منْ لمْ يزلْ بهٰا آلفاً . قدْ رقدُوا فِي مقابرِهمْ فيهٰا داخـرون ، وخمدُوا فِي مصـائـرَ يفضي إليهٰـا الأوّلـونَ والآخـرون . فسمعاً يا بنِي الأمـواتِ لداعِي آبـائِكمْ سمعاً ، وقـطعاً لبقـاءِ رجائِكمْ

---

(١) في (ج) و (د) : (قاموا) .

(٢) جمع بلقع وهو : الأرض القفر التي لا شيء بها . اللسان ٨ : ٢١ بلقع .

(٣) قـال الـطريحي في المجمـع ٥ : ١٤٤ حـدق : (وفي الحـديث حـدقـة العين وهي : سوادها) .

فِي الدنيا قطعاً ، أُسوةٌ بمنْ كانَ منْ قبلكم منَ القرونِ مَنْ هوَ أشدُّ منكمْ قوةً وأكثرُ جمعاً .

يا نفسُ :

إنَّ قوارعَ[1] الأيامِ خاطبةٌ فهلْ أُذنٌ لعظاتها واعية ؟ وإنَّ فجائعَ الزبايا صائتةٌ فهلْ نفسٌ إلىٰ التنزّهِ عنها داعيةٌ وإنَّ طوامعَ الآمالِ كاذبةٌ فهل قدمٌ إلى التجنّبِ عنها ساعية ؟ فكيف تغفلينَ عنِ الاستقامةِ ولا بدَّ منْ إدراكك ، وكيفَ تغترّينَ بالسلامةِ ولا ريبَ فِي هلاكك . فيا عجباهُ لمنْ تخربُ الأيامُ عمرهُ وهوَ يعمرُ داراً ، ويا رحمتاهُ لمنْ يوقنُ بحلولِ الموتِ بِهِ وهوَ يلذُّ قراراً .

شعرٌ :

وَمَا الدنيا بباقيةٍ لحيٍّ ولا حيٌّ علىٰ الدنيا بباقِ

يا نفسُ :

استيقظِي منْ غفلتك ، وانتبهِي منْ رقدتك . قبلَ أنْ يقالَ فلانٌ عليل ، ومدنفٌ[2] بخيل[3] ، فهلْ علىٰ الدواءِ منْ دليل ؟ أمْ هلْ إلىٰ طبيبٍ منْ سبيل ؟ ثمَّ عرقَ جبينُك ، وتتابعَ حنينُك[4] ، وأطبقتْ جفونك ، وصدقتْ ظنونُك ، وتلجلجَ لسانُك ، وبكىٰ إخوانُك . ثمَّ حلَّ بكِ أمر القضاء ، ونُزعتْ نفسُكِ منَ الأعضاء .

---

(١) أي : دواهي . مجمع البحرين ٤ : ٣٧٦ قرع .

(٢) المدنف : المثقل في المرض . مجمع البحرين ٥ : ٥٩ دنف .

(٣) في (ج) و (د) : (ثقيل) .

(٤) في (أ) و (ج) و (د) : (أنينك) .

ثمَّ غسّلتِ وكفّنت ، ثـمَّ بعـدَ ذلـكَ دفـنتِ . وبـقيـتِ مـرتهـنـةً بـأعمالـك ، وانصـرفَ وراثُـكِ[1] إلىٰ مـالـك ، وانصـرفتِ إمّـا إلىٰ رضوانٍ أو إلىٰ مالك .

يـا نفـسُ :

فهلمّي إلىٰ محـاسبةِ نفسـكِ قبـلَ مـواثبـةِ رمسـكِ ، وتـدارَكِ يومكِ وأمسـكِ قبلَ شهـادةِ حواسّـكِ[2] وفضّ طرسـكِ [3] . وكوني منَ اللّهِ علىٰ وجـل ، ولا تغتـرّي بـالأمـلِ ونسيـانِ الأجـل . وأنْ تخـرجِي بغيرِ زادٍ ، وتقـدمِي علىٰ غيرِ مهـاد . فتعظمُ نـدامتُـكِ يـومَ قيـامتِك ، وتكثـرُ حسرتُـكِ يـومَ كـرَّتـك ، وتغُمِّي فِي ذلـكَ المقـامِ المهولِ بريقك ، وتصبحِي شماتةَ عدوِّكِ ورحمةَ صديقك .

يـا نفـسُ :

قـدْ خفقتْ فوقَ رأسـكِ أجنحةُ المـوت ، ورمقتكِ عنْ قـريبٍ أعينُ الفـوت . فاهمِلي عبـراتكِ إذا ذكـرتِ عثراتـك ، وكيفَ يفرحُ بصحبةِ الدنيا صدرك ؟ وكيفَ يلتئمُ فِي غمـراتها أمـركِ ، وقدْ دعـاكِ بـاقترابِ الأجـلِ قبركِ ؟ فهـلّا تنظرينَ إلىٰ الّـذينَ مضوْا نـظرةً ، أما لـكِ بهمْ عبـرةً . كيفَ أصبـحَ جمعهمْ بـوراً ، وأملهمْ غـروراً . وخلّفُوا فرادىٰ فِي أضيقِ المضـاجع ، وصـرعتهُم المنايـا فِي أعجبِ المصارع . وذهبتِ الشهوات ، وبقيتِ التبعات ؟!

---

(١) في (ج) و (د) : (أهلك) .

(٢) في (ج) و (د) : (جوانبك) .

(٣) أي : وكسر صحيفتك . مجمع البحرين ٤ : ٢٢٢ فضض و ٨١ طرس .

شعرٌ :

تفنِى اللذاذةُ ممّنْ نـالَ صفوتَهـا ... منَ الحـرامِ ويبقىٰ الإثمُ والعارُ
تبقىٰ عـواقبُ سـوءٍ فِي معقّبَهـا ... لا خيرَ فِي لذّةٍ منْ بعـدِهـا النـارُ

يـا نفـسُ :

حتّامَ إلىٰ الحياةِ سكـونك ، وإلىٰ الـدنيٰا وعمـارتهٰا ركـونك ، أمـا اعتبـرتِ بمنْ مضىٰ منْ أسـلافـك ، ومنْ وارتـهُ الأرضُ منْ ألآفـك ، ومنْ فُجعتِ بهِ منْ إخـوانـك ، ونُقـلَ[1] إلىٰ دارِ البلىٰ منْ أقربائك[2] .

شعرٌ :

فهمْ فِي بطونِ الأرضِ بعدَ ظهورهٰا ... محـاسنهمْ فيهٰـا بـوالٍ دواثـرُ
خلتْ دورهمْ منهمْ وأقوتْ عراصهمْ ... وسـاقتهمْ نحوَ المنـايـا المقـادرُ
وخُلُّوا عنِ الدنيٰا وما جمعُوا لهٰـا ... وضمَّتهمْ تحتَ الترابِ الحفائـرُ
وحُـلُّوا بـدارٍ لا تـزاورَ بينهـمْ ... وأنّىٰ لسكّـانِ القبـورِ التـزاورُ

يـا نفـسُ :

فكيفَ أمنتِ هذهِ الحالـة ، وأنتِ صائـرةٌ إليهٰا لا محـالة ؟! أمْ كيفَ تتهنّئين بحيـاتـك ، وهيَ مـطيّتـكِ إلىٰ ممـاتـك ؟! أمْ كيفَ تسيغِي طعـامَـك ، وأنت تنـظرِي حمـامـك ؟! وهـلْ يحـرصُ علىٰ الدنيٰا لبيب ، أوْ يسرُّ بلذّتهٰا أريب . وهوَ علىٰ ثقةٍ فِي فنائهٰا ، وغيرُ

---

(١) في (أ) : (ونقلت) .
(٢) في (ج) و (د) : (من أقرانك) .

طـامعٍ فِي بقـائهـا ؟! أمْ كيفَ تنـامُ عينُ منْ يخشىٰ البيـات[1] ، أوْ تسكنُ نفسُ منْ يتوقعُ الممات ؟!

ومنْ يصحبُ الدنيا يكنْ مثلَ مستقٍ ... منَ الماءِ منْ بئرٍ عميقٍ بمنخـلِ
فـطلّقهـا يمنُ المفـازة دائمـاً[2] ... وتنجُو بعونِ الله منْ كلِّ موجـلِ

يـا نفـسُ :

ضعِي فخـرك ، واحـطِطِي كبـرك ، واذكـري قبـرك . ولا تقـولِي : غرّتنِي الـدنيـا وقـدْ أرتـكِ مضـاجـع آبـائـكِ منَ الثّـرىٰ ، ومصارعَ[3] أُمّهاتـكِ منَ البلىٰ . كمْ مرّضتِ بكفيـك ، وكمْ عالجتِ بيديك ؟! تبتغِي لهمُ الشفـاء ، وتستوصفِي لهمُ الأطبـاء . مُثِّلتْ لكِ بهمُ الدنيا مضجعك ، وبمصرعهمْ مصرعك .

يـا نفـسُ :

إنَّ الجنـازةَ عبـرةٌ للبصيـرِ ، وفيهـا تنبيـهٌ وتـذكيـر[4] . وأهـلُ الغفلةِ لا تـزيدهُمْ مشـاهدتُهـا إلّا قسوة ، ولا تـولّيهمْ مبـاشـرتُهـا إلّا صبـوة . ومنهمْ منْ يضمـرُ التـوبـة ، وتـركِ الحـوبَـة . فيُغشَىٰ منَ الجزعِ عليه ، وقدْ خضبتِ الدموعُ خدّيه .

شعرٌ :

---

(١) البيات : الأخذ بالمعاصي . مجمع البحرين ٢ : ١٩٤ بيت .
(٢) كذا في (ب) ولم يرد البيت بأكمله في (أ) .
(٣) في (ج) و (د) : (ومنازل) . (٣)
(٤) في (أ) : (إن الجنازة عبرة ، وفيها تنبيه وتذكرة) .

عجبتُ لمنْ يبكِي علىٰ فقدِ غيرهِ ... دموعاً ولا يبكِي علىٰ فقدِ نفسهِ[1]
ولوْ كانَ لهُ عقلٌ لبكىٰ علىٰ نفسهِ ... ومـا فـرّطَ فِي يـومـهِ وأمسـهِ

شعرٌ :

ويبكِي علىٰ الموتى ويتركُ نفسهُ ... ويـزعمُ أنْ قدْ قـلَّ عنهمْ عـزاؤهُ
فلوْ كـانَ ذا رأيٍ وعقلٍ وفـطنةٍ ... لكـانَ عليـهِ لا عليهـمْ بكـاؤهُ

يـا نفسُ :

ثمَّ بعدَ أنْ يسيرَ ، تنسِي ذلكَ الأمرِ الخـطيرِ . فتُحيِي شهـواتِ السيئـات ، وتُميتي قربـاتِ الحسنات ، ولقـدْ أحسنَ ورّامُ[2] قـدّسَ اللّهُ سرَّهُ فِي هذهِ الأبيات .

شعرٌ :

مـذْ رأينـا القبـورَ تُبنى فتُبنـا ... قـدْرَ مـا غيّبَ الـدفينُ وغبنـا
كمْ دفنـا أخـاً عـزيـزاً وابنـا ... وشـرجنـا عليـهِ طينـاً ولِبْنـا
لـوْ رجعنـا عمّـا زُجـرنـا أُجـرنـا ... وتـركنـا مـا اغتصبنـا أصبنـا
وقـبيـحٌ عـليَّ ذكـرُ الغـوانِي ... بعدَ ما قـدْ مضىٰ الشبابُ وشبنـا

يـا نفـسُ :

مَنْ أكثـرَ منْ ذكـرِ قبـرهِ وعمـلَ لـهُ وجـدَهُ روضـةً منْ ريـاضِ النعيم ، ومنْ غفـلَ ذلـكَ وجـدَهُ حفـرةً منْ حفـرِ الجحيم . وفِي

---

(١) في (أ) و(ب) : (ولا يبكي على فقده دماً) وما أثبتناه من (ج) و(د) وهو الأنسب ، لموافقته للقافية .

(٢) قال الشيخ منتجب الدين في الفهرست ١٩٥ : (الأمير الزاهد أبو الحسين ورام بن أبي =

الحديثِ : إنَّ أزهدَ الناسِ منْ لمْ ينسَ القبرَ والبلىٰ ، وتركَ فضلَ زينةَ الدنيا ، وآثرَ ما يبقىٰ ، ولمْ يعدْ منْ أيّامهِ غدا .

يا نفسُ :

تعجبُ الأرضُ لرجلٍ [1] يمهّدُ مضجعهُ للمنام ، ولا يمهّدهُ بالعملِ الصالحِ لطولِ يومِ القيام .

شعرٌ :

ستندمُ عندَ الموتِ كلَّ ندامةٍ ... إذا ضمَّ أعضاكَ الثرىٰ المتضائقُ
وصرتَ طريحاً فِي ضريحكَ مفرداً ... ويهجركَ الجارُ القريبُ الملاصقُ
فذنبكَ إنْ أبغضتَهُ فمعانقٌ ... وما لكَ إنْ أحببتهُ فمفارقُ
وإنّكَ مأخوذٌ بما قدْ جنيتهُ ... وإنّكَ مطلوبٌ بما أنتَ سارقُ

يا نفسُ :

ما منْ أحدٍ منَ العباد ، إلاّ وينادِيهِ قبرُهُ : أنا بيتُ الوحدةِ والانفراد . فإنْ كنتَ ذا ثوابٍ كنتُ عليكَ رحمة ، وإنْ كنتَ ذا عقابٍ فأنا عليكَ اليومَ نقمةً . أنا الذِي منْ دخلنِي طائعاً خرجَ مسروراً ، ومنْ دخلنِي عاصياً خرجَ مثبوراً [2] .

= فراس بحلة ، من أولاد مالك بن الحارث الأشتر النخعي صاحب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) .
عالم فقيه صالح ، شاهدته بحلة ووافق الخبر الخبر ، قرأ على شيخنا الامام سديد الدين محمود الحمصي رحمه الله بحلة وراعاه) .

(١) في (أ) : (من رجل) .

(٢) أي : مهلكاً وملعوناً . مجمع البحرين ٣ : ٢٣٥ ثبر .

ثمّ تناديهِ الموتىٰ منْ جيرانه : أيّها الواردُ علينا بعدَ موتِ إخوانه[1] . أما كانَ لكَ فينا عبرة ، أما كانَ لكَ فِي تقدّمِنا إياكَ فكرة .

يا نفسُ :

فالسعيدُ منِ اعتبرَ بأمسهِ واستظهرَ لنفسه[2] ، والشقيُّ منْ جمعَ لغيرهِ وبخلَ علىٰ نفسهِ بميره[3] .

شعرٌ :

أيا جامعَ المالِ منْ جلِّهِ[4] يبيتُ ويصبحُ فِي ظلِّهِ
سيُؤخذُ منكَ غداً[5] كلُّهُ وتُسئلُ منْ بعدِ عنْ كلِّهِ

وارثكِ يأكلهُ هنيئاً ، طيّباً مريئاً . يأكلهُ حلالاً ، وهوَ كانَ عليكِ وبالاً . خضتِ فِي جمعهِ لججَ البحار ، ومفاوزَ[6] القفار . ثمَّ لمْ تؤدِّي منهُ الزكاة ، ولمْ تنفقِهِ فِي القربات . فكمْ منْ باطلٍ جمعتيه ، ومنْ حقٍّ منعتيه ؟! وإنَّ منْ أعظم الحسرات ، وأكبر البليّات . مالٌ لا ينتفعُ بهِ صاحبهُ فِي حياته ، وضرَّهُ بعدَ وفاته . قدْ جمعَ فأوعىٰ ، وشدَّ فأدلىٰ . يرىٰ ثوابَ مالِهِ فِي ميزانِ سواه ،

---

(١) في (ج) و (د) : (أخدانه) .
(٢) في (أ) : (بنفسه) .
(٣) قال ابن منظور في اللسان ٥ : ١٨٨ مير : (المِيرة : الطعام يمتاره الإنسان) .
(٤) في (ب) : (من حيلة) .
(٥) في (أ) (غداً منك) .
(٦) أي : مهالك . مجمع البحرين ٤ : ٣٠ فوز .

ووزرهُ يحملهُ علىٰ قفاه . فيا لهٰا منْ حسرةٍ لا تقالُ ، ورحمةٍ لا تنال .

شعرٌ :

يلجُّ ابنُ آدمَ فِي رزقِهِ كأنَّ رحىٰ الموتُ لا تطحنهُ
فكمْ منْ حريصٍ علىٰ مالِهِ لأعدائهِ عدَّ ولهُ يخزنهُ

فمنْ يزرعْ خيراً يحصدُ السلامة ، ومنْ يزرعْ شراً يحصدُ الندامة .

شعر :

وإذا افتقرتَ إلىٰ الذخائرِ لمْ تجدْ ذخراً يكونُ كصالحِ الأعمالِ

يا نفسُ :

ما شرٌّ بشرٍّ بعدَهُ النعيم ، وما خيرٌ بخيرٍ بعدَهُ الجحيم . فكلُّ نعيمٍ دونَ الجنّةِ حقير ، وكلُّ بلاءٍ دونَ النارِ يسير .

واعلمي : أنَّ الغنى قلّةُ تمنّيك ، والرضىٰ بما يكفيك . ومَنْ أطالَ الأملَ أساءَ العمل ، ومنْ أكثرَ الرقادَ عدمَ المراد . وتخليصُ النيّةِ منَ الفساد ، أشدُّ علىٰ العاملينَ منْ طولِ الاجتهاد .

يا نفسُ :

ومنَ العجبِ أنّكِ ، تخافينَ اللصَّ علىٰ مالِكِ . فتستظهرينَ فِي حفظِ ذلكَ بإغلاقِ البابِ[1] ، وإقامةِ الحجاب . ورفعِ

---

(١) في (ب) : (الأبواب) .

الحيطانِ ، وترصيصِ البنيان . ثمَّ تنسينَ الموتَ الذِي يدركُ بلا طلب[1] ، ويعلقُ بلا سبب . لا يمنعهُ مانع ، ولا يدفعهُ دافع . فانظرِي إلىٰ الموتِ هلْ فاتتْهُ نفْسٌ فِي مطمحِ النسرِ أوْ مسبحِ النون[2] .

يا نفسُ :

انظرِي إلىٰ محاسنِ ما قيل ، وذكرَ فِي الكنزِ المذكورِ فِي التنزيل : عجباً لمنْ أيقنَ بالقبرِ[3] كيفَ يحزنُ أو يغضب ؟! وعجباً لمنْ يؤمنُ بالحسابِ كيفَ يغفلُ أو يلعب ؟! وعجباً لمنْ أيقنَ بالموتِ كيفَ يفرح ؟! وعجباً لمنْ أيقنَ بالرزقِ كيفَ يترح[4] ؟! وعجباً لمنْ رأىٰ الدنيا وتقلّبَها ، كيفَ يطمئنُّ إليها ويصحبها ؟! .

شعرٌ :[5]

إذا المرءُ كانتْ لهُ فكرةٌ ففِي كلِّ شيءٍ لهُ عبرةٌ

والتفكرُ فِي خلقِ اللّهِ وأمرهِ عبادةٌ جليلَة ، ففِي الحديث : فكرُ ساعةٍ خيرٌ منْ قيامِ ليلة . فمنْ لمْ يكنْ كلامهُ ذكراً فهوَ لغو ، ومنْ لمْ يكنْ نظرهُ اعتباراً فهوَ لهو ، ومنْ لمْ يكنْ سكوتهُ فكراً فهوَ سهو . فتفكرِي قبلَ أنْ تعزمِي ، وتدبّرِي قبلَ أنْ تهجمِي ،

---

(١) في (ب) : (بلا طالب) .

(٢) جملة : (فانظري إلى الموت هل فاتته نفس في مطمح النسر أو مسبح النون) غير واضحة القراءة في (أ) و (ب) فأثبتنا ما استظهرناه والله العالم .

(٣) في (أ) : (بالقدر) .

(٤) أي : كيف يحزن . مجمع البحرين ٢ : ٣٤٤ ترح . وفي (ب) : (كيف ينزع) .

(٥) في (أ) و (ب) : (يا نفس) .

وشاورِي قبلَ أنْ تقدِمي .

شعرٌ :

دافـع الأيـامَ بـالـ ـفكـرةِ فِي يومِ المماتِ
وارضِ منْ عيشـكِ بـالـ ـكسـرةِ والمـاءِ الفـراتِ
فـهيَ تـكفيـكِ وتغنِـي عنْ جميـعِ الشـهـواتِ

يـا نفـسُ :

إقبالُ الدنيـا كإلمـامةِ[1] ضيف ، أو سحـابةُ صيف ، أو زيـارة طيف .

شعـرٌ :

ومنْ يصحبِ الدنيا يكنْ مثلَ قابضٍ على الماءِ خانتهُ فروجُ الأصابعِ

وفِي الخبـرِ : أنَّ عيسىٰ (ع) أتتهُ الـدنيـا ، فِي صـورةِ عجـوزٍ هتماء[2] . وتبرّجتْ وتجلّتْ ، وبـأحسنِ الحليِّ تحلّتْ . فقالَ لهـا : كيفَ أزواجـكِ إذا فارقـوك ، أماتُـوا عنكِ أمْ طلّقـوك ؟ فقالتْ : بـلْ قتلتهمْ بمضـرّتِي[3] ، وأدخلتهمْ فِي غرّتِي . فقـالَ : تبّـاً لأزواجـكِ الباقين ، كيفَ لا يتعبرونَ بأزواجكِ الماضين .

شعـر :

إنّمـا الـدنيـا فـنـاءٌ لـيسَ للدنيـا ثبـوتْ[4]

---

(١) أي : كنزول . مجمع البحرين ٦ : ١٦٥ لمم .
(٢) الهتماء : التي انكسرت ثنيتها : اللسان ١٢ : ٦٠٠ هتم .
(٣) في (ب) : (بمضربي) .
(٤) في (أ) : (إنما الدنيا بلاء ليس فيها من ثبوت) .

إنّمـا الـدنيـا كبيتٍ نسجتـهُ العنكبـوتْ
إنّمـا يكفيـكَ منهـا أيّهـا العاقـلُ[1] قـوتْ
ولعمـرِي عنْ قـريبٍ[2] كـلُّ منْ فيهـا يمـوتْ

يـا نفـسُ :

أراكِ تفرحينَ كـلَّ يـومٍ[3] بـزيـادةٍ[4] مـالِـك ، ولا تحـزنينَ لنقصـانِ[5] عمركِ وصـالح أعمـالِك . ومـا ينفـعُ مـالٌ يـزيـدُ وعمـرٌ ينقص ، وإثمٌ يدومُ[6] ونعيمٌ يخلص .

شعر :

حيـاتـك أنفـاس تعـدّ فكلمـا مضى نفس منها انقضت به جزء

وما أقبح بكِ أن يأتيـك اليسيرُ منَ الـدنيا فتفـرحين ، ويفوتُـكِ الكثيرُ منْ دينكِ فلا تحزنين .

شعـر :

أترضىٰ بأنْ تَفنىٰ الحياةُ وتنقضِي ودينكَ منقوصٌ ومـالكَ وافـرُ[7]

---

(١) في (أ) : (المغرور) .
(٢) في (أ) : (عن قليل) .
(٣) في (أ) : (أراك كلّ يوم تفرحين) .
(٤) في (ج) و (د) : (لزيادة) .
(٥) في (أ) و (ج) و (د) : (بنقصان) .
(٦) في (د) : (وعمر ينقص ولم يدم) .
(٧) في (ب) : (زاخر) .

يـا نفـسُ :

فِي الحديثِ المشهورِ ، والخبرِ المأثـورِ[1] : إنَّ العبدَ إذا بلغَ أربعين ، منْ مـدّةِ عـمـرهِ منَ السنين . نـاداهُ منـادٍ منْ عنـدِ الجليل[2] : قدْ دنا الرحيـل . فأعـدَّ الزاد ، ليـومِ المعاد . ويؤمـرُ حـافظاهُ بـالتحقيقِ عليهِ والإحصـاء ، والمناقشـةِ والاستقصـاء . وفِي حديثٍ آخر : إنَ للّهِ ملكـاً ينادِي كـلّ ليلةٍ : يا أبنـاءَ الستين ، عدُّوا أنفسكمْ فِي المـوتىٰ ولوْ بعـدَ حين . وقدْ حكمَ سيّـدُ البرايـا ، أنَّ ما بينَ الخمسينِ إلىٰ الستينِ مبدأُ اعتراكُ المنايا .

شعرٌ :

مـا عـذرُ منْ جـرَّ عـاريـاً رسنَـهْ ... مـا عـذرهُ بعـدَ أربعينَ سنَـهْ
أكـلُّ مـا طـالتِ الحيـاةُ بـهِ ... أطـالَ عنْ أخـذِ حـذرهِ وسِنَـهْ

فعـلامَ يا نفسُ الإهمـال ، عنْ صالحِ الأعمال . وقـدْ لهـزكِ القتير ، ووافاكِ النذير ؟!

شعرٌ :

ومـا أقبحَ التفريطُ فِي زمنِ الصبـا ... فكيفَ بهِ والشيبُ للرأسِ شاملُ

يـا نفـسُ :

ومنَ العجبِ أنّـكِ تبذلِي الهـدايا الجـزيلةَ ، والتحفَ النبيلة . منَ الملابسِ والمطاعم ، ممّا تستحسنهُ الأكـابرُ والأعـاظم : منْ بردٍ

---

(١) في (ج) و (د) : (في الحديث المأثور والخبر المشهور) .
(٢) في (أ) : (الخليل) .

يمنيٍ ، أوْ ديباجٍ روميّ ، أوْ خزٍّ سوسيّ ، أوْ حريرٍ صينيّ ، أوْ جوخٍ[1] نبطيٍ ، أوْ صوفٍ قبرصيّ ، أوْ بساطٍ أرمنيّ ، أوْ سكّرٍ أهوازيّ ، أوْ عسلٍ إصفهانيّ ، أوْ شهْدٍ كسروانيّ ، أوْ مسكٍ تبنيّ ، أوْ عنبٍ شجريّ ، أوْ عودٍ صندليّ . لتبتغِي بذلكَ جزاه ، وزيادة الأبهيةِ[2] والجاه ، وليسَ فعلكِ ذلكَ لله . ثمَّ قدْ تذهبُ هديتكِ عليكِ مجّاناً[3] ، ولا ترينَ منَ المُهدَىٰ إليهِ إحساناً . وأنتِ معَ ذلكَ لا تهدينَ إلىٰ المسكينِ والفقيرِ ، ولا تجبرينَ قلبَ الحزينِ الكسيرِ ، ولا تلفينَ إلىٰ اللطيفِ الخبيرِ . بلْ لوْ دعاكِ الفقيرُ إلىٰ مائدتهِ لأبيت ، ولوْ دعاكِ الغنيُّ لبَّيت . وقدْ يحسنُ لكِ هديتكِ فِي إحسانهِ أكثر ، ومنَّتهُ عليكِ عندَ الناسِ أكبر . هذا معَ خلوّكِ منَ الثوابِ الجزيل ، والأجرِ النبيل . وكونهُ سبحانهُ يحاسبكِ علىٰ هديتكِ علىٰ القليلِ والكثير ، ويناقشكِ علىٰ الفتيلِ[4] والنقيرِ . وتحملينَ وزرَ هديتكِ علىٰ قفاكِ ، لأنّكِ لمْ تجعليهِ للّهِ الذِي خلقكِ فسواك . فباللّهِ إلاّ ما اشتريتِ نفسكِ منَ العذابِ المهين ، بالإحسانِ إلىٰ الفقيرِ والمسكين . واذكرِي ﴿**يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الإِنْسانُ ما سَعىٰ ، وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرىٰ . فأَمّا مَنْ طَغَىٰ وَآثَرَ الْحَياةَ الدُّنْيا فإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ المَأْوىٰ ، وأَمّا مَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوىٰ فإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ المَأْوىٰ**﴾[5] . وباللهِ إلاّ ما

---

(١) في (ب) : (أوجوج) .

(٢) أي : العظمة والكبرياء . مجمع البحرين ٦ : ٣٣٩ أبه .

(٣) بالتشديد أي : بلا بدل . مجمع البحرين ٦ : ٣١٤ مجن .

(٤) وهو : قشر يكون في بطن النواة ، وهو مثل للقلة . مجمع البحرين ٥ : ٤٣٩ فتل .

(٥) النازعات ٧٩ : ٣٥ ـ ٤١ .

تتنزّهي عنِ الوقوفِ في خدمةِ الأغنياء ، ومعاشرةِ أهلِ السمعةِ والرياء . فإنَّ في فعلِ ذلكَ ذهابُ ثُلثيْ دينك ، وضعفُ قوة يقينك . وذلك لمدحكِ إيّاهمْ باللسان ، وخدمتكِ إياهمْ بالدركان[1] ، ولو اعتقدتِ فيهمْ بالجنان ، لذهبَ منكِ كلُّ الإيمان . كما ذكرهُ سيّدُ ولدِ عدنانِ ، عليهِ وآلهِ الصلاةُ والسلامُ ما كرَّ الجديدانِ[2] .

يا نفسُ :

إذا سرَّكِ أنْ تذوقي حلاوةَ عبادةِ الحميدِ المجيدِ ، فاجعلي بينكِ وبينَ شهواتِ الدنيا حائطاً منْ حديدٍ ، واعلمي : أنّ الصبر على طاعته أهون من الصبر على عذابه الشديد . فالمداوِي جرحه يصبرُ علىٰ الدواء ، مخافةً منْ طولِ الداء . فاصبري علىٰ عملٍ لا غنا لكِ عنْ ثوابه ، وعنْ عملٍ لا صبرَ لكِ علىٰ عقابه .

يا نفسُ :

لوْ علمتِ قدرَ بأسِ اللّهِ وعذابه ، ونكالهِ وعقابهِ . ما رقىٰ لكِ دمع ، ولا عَمَرَ لكِ ربع .

واعلمي : أنَّ أعقلَ الناسِ محسنٌ وهوَ يعدُّ نفسهُ منَ الخائفين ، وأجهلَهمْ مسيءٌ وهوَ يعدُّها منَ الآمنين . وإيّاكِ أنْ تكونَ الدنيا همُّك ، فيكثرُ فِي الآخرةِ غمّك . وليكنْ تأسّفُكِ علىٰ

---

(١) أي : بالإتباع واللحوق . مجمع البحرين ٥ : ٢٦٤ درك .

(٢) أي : ما رجع الليل والنهار . مجمع البحرين ٣ : ٤٧١ كرر و ٢٣ جدد .

ليلٍ نمته ، ويومٍ أفطرته ، وآنٍ غفلتِ عنْ ذكرِ اللّهِ تعالىٰ فيهِ وسوّفته .

شعرٌ :

المرءُ مرتهنٌ بسوفَ وليتني وهلاكهُ فِي الليتِ والتسويفِ

يا نفسُ :

علامَ وسّعتِ قصرك ، وضيّقتِ قبرك . فرفعتِ الطينَ ، ووضعتِ الدينَ .

شعرٌ :

أمّا بيوتُكِ فِي الدنيا فواسعَةٌ فليتَ قبرَكِ بعدَ الموتِ يتّسعُ

واعلمِي : أنَّ الدنيا والآخرةَ ضرّتان ، وهما ككفَّتَي الميزان . فإنْ رجحتْ إحداهما خفّتِ الأُخرىٰ ، فانظرِي الأولىٰ بكِ والأحرىٰ .

يا نفسُ :

ليسَ الخائفُ الّذِي يبكِي ويمسحُ عينيه ، إنّما الخائفُ الّذِي يتركُ ما يخافُ أنْ يُعذّبَ عليه . واعلمِي أنَّ الدنيا دارُ ممرّ ، لا دارُ مقرّ .

شعرٌ :

أحلامُ يومٍ أو كظلّ زائلِ إنَّ اللبيبَ بمثلها لا يخدعِ

والناسُ فيها رجلانِ : رجلٌ باعَ نفسَهُ فأوبقها[1] ، ورجلٌ

(١) أي : فأهلكها . مجمع البحرين ٥ : ٢٤٣ وبق .

ابتاعَ نفسهُ فأعتقها .

يـا نفـسُ :

فِي الحديثِ : منِ استوىٰ يـوماهُ فهـوَ مغبونٌ ، ومنْ كـانَ غدهُ شـراً منْ يـومـهِ[1] فهـوَ ملعـون . ومنْ أحبَّ المكـارم ، اجتنب المحارم . ومنْ غمسَ يدَهُ فِي المكـاره ، سيقَ إلىٰ النارِ وهـوَ كاره . والجنّةُ مضمونةٌ لمنْ أمسكَ ما بينَ فكّيه ، وأطلقَ ما بينَ كفّيه .

يـا نفـسُ :

لـوْ نظرَ إليـكِ وجوهُ أهـلِ الأرض ، ذاتِ الطولِ والعـرض . لأبـيتِ إلاّ أنْ يـروكِ[2] عـلىٰ مـا تحبيـن ، ولاْ يـروكِ عـلىٰ مـا تكـرهين ، فكيفَ بـربِّ العـالمين . فـلاْ تغـرّنّـكِ دنيـا كـالحيـةِ ليّنٌ مسّها ، شديدٌ نهشها . يحذرها العاقل ، ويهوىٰ إليها الجاهل .

شعـرٌ :

إذا امتحنَ الـدنيا لبيبٌ تكشّفتْ لـهُ عنْ عـدوٍّ فِي ثيـابِ صـديقِ

يـا نفـسُ :

هـولٌ لا تـدرينَ متىٰ يغشـاك ، لمَ لا تستعـدّينَ لـهُ قبـلَ أنْ يفجاك .

شعـرٌ :

---

(١) في (ب) : (من أمسه) .
(٢) في (أ) و (ج) و (د) : (لأحببت أن يروك) .

وما الموتُ إلاّ سارقٌ دقَّ شخصهُ يصولُ بلا كفٍّ ويسعىٰ بلا رجلِ

واعلمِي : أنَّ غايةَ كلِّ متحرّكٍ سكون ، ونهايةَ كلِّ متكوّنٍ تكون . وإذا الدهرُ أعارَ ، فاحسبيهِ قدْ أغار .

شعرٌ :

إذا حيوانٌ كانَ طعمةَ ضدّهِ توقاه كالفأرِ الذِي يتّقِي الهرّا
ولا شكَّ أنَّ المرءَ طعمهُ دهرهِ فمَا بالُهُ يا ويحهُ يأمنُ الدّهرا

يا نفسُ :

منْ شاركَ السلطانَ فِي عزِّ الدنيا شاركهُ فِي ذلِّ الآخرة ، وطلاقُ الدنيا مهرُ الآخرة . والزاهدُ فِي الدنيا كلّمَا ازدادتْ لهُ تجلّياً ، ازدادَ عنها تولّياً . واعلمي : أنّكِ لنْ تكسبِي فِي الدنيا شيئاً فوقَ معيشتكِ إلاّ كنتِ فيهِ خازنةً[1] لورثتك ، يكثرُ بهِ فِي الدنيا نصيبكِ ويقلُّ ثوابكِ ويحظىٰ بهِ وارثكِ ويطولُ حسابكِ . فخذِي منْ ممرّكِ لمقرّك ، ولا تهتكِي أستاركِ عندَ منْ لاَ تخفىٰ عليهِ أسرارك .

يا نفسُ :

أوحىٰ اللّهُ إلىٰ الدنيا : منْ خدمكِ فاستخدميه ، ومنْ خدمنِي فاخدميه . واعلمِي : أنّهُ ليسَ لكِ منْ مالكِ إلاّ ما أكلتِ فأفنيت ، أو لبستِ فأبليت ، أو تصدّقتِ فأبقيت . ولا جرمَ أنَّ

---

(١) في (ب) : (حارسة) .

المـالَ يفنىٰ ، والبـدنَ يبلىٰ ، والأعمـالَ تُحصىٰ ، والـذنـوبَ لا تُنسىٰ .

شعرٌ :

ومنْ ينفقُ الساعاتِ فِي جمعِ مالهِ مخـافةَ فقرٍ فالّـذِي فعـلَ الفقـر

يـا نفـسُ :

اتخذِي تقوىٰ اللّهَ صناعة ، تـأتكِ الأربـاحُ منْ غيرِ بضـاعَة . فـإنَّ التقوىٰ حـرزٌ منَ المهلكـاتِ واق ، وكنـزٌ منَ المحيـا والممـاتِ بـاق . منِ اتخذَهـا صاحبـاً كانتْ لـهُ فِي ظُلمِ القيـامـةِ نـوراً ، ومن نبذهـا جانباً ركبَ منَ الندامةِ مركباً عثوراً .

شعـرٌ :

تـزوّدْ منَ التقوىٰ فـإنّـكَ راحـلُ وبادرْ فإنَّ المـوتَ لا شكَّ نـازلُ
وإنَّ امرأً قدْ عاشَ خمسينَ حجةً ولمْ يتـزوَّدْ للمعـادِ فجـاهـلُ

يـا نفـسُ :

كفىٰ بجهنَّمَ عذاباً ، وبالموتِ نائباً واغتراباً .

وكـل ذي غـيـبـة يـؤوب[1] وغـائـب المـوت لا يـؤوب

واحـذرِي مصـارعَ الجهّـالِ ، واجتـراحِ معصيـةٍ لا تقـال . وأقيمِي الصـلاةَ وآتِي الزكـاةَ تأمنِي منَ العـذابِ الشـديـدِ ، فـإنَّ للّهِ سطواتٍ ونقماتٍ وما هيَ منَ الظالمينَ ببعيد .

---

(١) أي : يرجع . اللسان ١ : ٢١٧ أوب .

شعرٌ :

الخيرُ يبقىٰ وإنْ طالَ الزمانُ بهِ والشرُّ أخيبُ ما أوعيتَ منْ زادِ

يا نفسُ :

وطّنِي نفسَكِ علىٰ ألمِ العبادَة ، ليصيرَ ذلكَ خلقاً لكِ وعادة . فإنَّ المقامرَ يلتذُّ بالقمارِ وإنْ سلبهُ جميعَ مالِه ، وكذلكَ اللّاعبُ بالحمامِ وإنْ طالَ وقوفهُ وتعبهُ فِي إرسالِه . فإذا كانتِ النفسُ بالعادةِ تستلذّ بالقبائحِ ، وتميلُ بالألفِ إلىٰ غيرِ الصالحِ [1] . فكيفَ لا تستلذُّ بالحقِّ لو رُدَّتْ [2] مدةً إليه ، وألزمتِ المواظبةَ عليه .

يا نفسُ :

فالأخلاق السعيدةُ والأفعالُ الحميدَة . تُكتسبُ بالعادَةِ ، والرياضةِ والإفادَة . ومثالهُ : أنّهُ منْ أرادَ أنْ يصيرَ [3] فِي النَّسْخِ حاذقاً ، وفِي الكتابةِ فائقاً . فلا طريقَ لهُ إلّا أنْ يتعاطىٰ بجارحةِ اليدِ هذهِ الخصلةِ الجميلَة ، ويواظبَ عليها مدةً طويلَة . فإذا طالَ عليهِ النسخُ وضعاً ، صدرَ منهُ حسنُ الخطِّ طبعاً .

يا نفسُ :

وكذلكَ منْ أرادَ أنْ يكونَ فقيهاً ، وكرهَ أنْ يكونَ سفيهاً . فلا

---

(١) في (أ) و (ب) و (ج) : (المصالح) .
(٢) في (ب) : (لو روّدت) .
(٣) في (ج) : (أن يكون) .

طـريقَ إلاّ بتعـاطِي أفعـالِ[1] الفقهـاء ، وتكـرارِ أقـوالِ العلمـاء . وكذلكَ منْ أرادَ أنْ يصيرَ عفيفاً حليماً ، ومتواضعاً كريمـاً . لزمـهُ أنْ يدأبَ[2] نفسهُ فِي التخلّقِ بآدابهم ، والتعلّقِ بأسبابهم .

يـا نفـسُ :

إذا أردتِ أنْ تقفينَ علىٰ عيـوبِ نفسك ، فخـذيهـا منْ ألسنـةِ أعـدائكِ لا منْ ألسنـةِ أحبّائـكِ وأوليائـك . ولوْ سمعتِ صفتـكِ عنْ غيـركِ لمقتيه ، إذا كنتِ لا تـدرينَ مَنْ الموصـوفُ وبغضتيه . ولعـلّ انتفاعَ الإنسانِ بعـدوٍّ يذكـرُ معائبـه ، أكثرُ منِ انتفـاعهِ بصـديقٍ يشهرُ مناقبه . فعنْ عليٍ (عليهِ السلامُ) : جهـلُ المرءِ بعيـوبه ، منْ أكبـرِ ذنوبه . فمنْ داهنكِ[3] يا نفسُ فِي عيبكِ ، عابكِ في غيبك .

يـا نفـسُ :

إنَّ محبّتـكِ لنفسـكِ ، ونسيـانـكِ لـرمسـك[4] قـد أصمّـكِ وأعـمـاكِ ، وأضـلّكِ وأرداك . لأنَّ الإنـسـانَ إذا أحـبَّ الـشـيءَ أغمضَ[5] عنْ مـواضـعِ عيـوبـهِ كـأنّـهُ لا ينـظرهـا ، وأعـرضَ عنِ المقابحِ منْ ذنوبِهِ كأنّهُ لا يسمعهـا . فصارَ منْ هـذا الوجـهِ كالأعمىٰ لتغاضيهِ ، والأصمِّ لتغابيه .

---

(١) في (د) : (أقوال) .
(٢) أي : يعوّد . مجمع البحرين ٢ : ٥٤ دأب . وفي (ب) : (يؤدّب) .
(٣) المداهنة : المصانعة واللين . اللسان ١٣ : ١٦٢ دهن .
(٤) أي : قبرك . مجمع البحرين ٤ : ٧٦ .
(٥) في (أ) و (ب) و (ج) : (أغضى) .

شعرٌ :

فعينُ الرضا عنْ كلِّ عيبٍ كليلةٌ كما أنّ عينَ السخطِ تبدِي المساويا

يا نفسُ :

جاهدِي نفسكِ علىٰ أربعةِ أقسامٍ : قلّةُ القوتِ منَ الطعامِ ، والغمضُ منَ المنامِ ، وتركُ إكثارِ الكلامِ ، واحتمالُ الأذىٰ منَ الأنامِ . فإنّهُ يتولدُ منْ قلّةِ الطعامِ موتُ الشهوات ، ومنْ قلّةِ المنامِ صفوُ الإرادات ، ومنْ قلّةِ الكلامِ السلامةُ منَ الآفات ، ومنِ احتمالِ الأذىٰ البلوغُ إلىٰ الغايات .

يا نفسُ :

الدنيا يجمعُ لها منْ لا عقلَ له ، وعليها يعادِي منْ لا علمَ له ، وعليها يحسدُ منْ لا فقهَ له ، ولها يسعىٰ منْ لا يقينَ له .

شعرٌ :

نرقّعُ دنيانا بتمزيق ديننا فلا ديننا يبقىٰ ولا ما نرقّعُ
فطوبىٰ لعبدٍ آثرَ اللّهَ ربَّهُ وجادَ بدنياهُ لما يتوقعُ

يا نفسُ :

دعِي المساخرة والمشاجرَة ، وصومِي عنِ الدنيا تفطرِي بالآخرَة[1] . فإنَّ رأسَ مالِ الدنيا الهوىٰ ، وربحَها لظىٰ[2] .

---

(١) في (ج) و (د) : (والتذّي بالآخرة) .

(٢) اللّظىٰ : اللهب الخالص ، ولظىٰ غير مصروفة : اسم لجهنّم . المفردات ٤٥٠ لظى .

تقرّبُ المنية ، وتبعّدُ الأُمنية .

شعرٌ :

ومنْ يحمدِ الدنيا لعيشٍ يسرّهُ فسوفَ لعمري عنْ قليلٍ يلومُها[1]
إذا أدبرتْ كانتْ علىٰ المرءِ حسرةً وإنْ أقبلتْ كانتْ كبيراً همومُها[2]

يا نفسُ :

لوْ أنَّ الدنيا منْ ذهبٍ يفنىٰ ، والآخرةَ منْ خزفٍ يبقىٰ ، لكانَ ينبغِي لكِ أنْ تختارِي ما يبقىٰ ما يفنىٰ ، فكيفَ وقدْ اخترتِ خزفاً يفنىٰ على ذهبٍ يبقىٰ ؟!

شعرٌ :

هبِ الدنيا تساقُ إليكَ عفواً أليسَ مصيرُ ذاكَ إلىٰ انتقالِ
وما دنياكَ إلاّ مثلُ فيءٍ أظلّكَ ثمَّ آذنَ بالزوالِ

يا نفسُ :

الدنيا دارُ خرابٍ وأخربُ منها قلبُ منْ يشيّدها ويخطبها ، والجنّةُ دارُ عمرانٍ وأعمرُ منها قلبُ منْ يريدها ويطلبها . فبيعِي دنياكِ بآخرتكِ تربحيهما ، ولا تبيعِي آخرَتكِ بدنياكِ تخسريهما .

شعرٌ :

يا خاطبَ الدنيا إلىٰ نفسها تنحَّ عنْ خطبتها تسلمِ
إنَّ التِي تخطبُ غدّارةٌ قريبةُ العرسِ منَ المأتمِ

---

(١) في (ج) و (د) : (غمومها) .
(٢) في (د) : (سمومها) .

يـا نفـسُ :

إذا سألتِ اللّهَ الدنيٰا فإنّمٰا تسأليـهِ طولَ الـوقوفِ ، يـومَ الحشرِ الموصوفِ . هـذا سوىٰ مـا يقاسيـهِ أصحابُ[1] الأمـوالِ فِي الدنيٰـا منَ الخـوفِ والحـزنِ ، وتجشّمِ المصـاعبِ فِي الحفظِ والخـزن . ودرياقُ الدنيٰا[2] ما قُصـدَ بِهِ المـراضِي والمثوبـاتِ ، وما صُـرفَ إلىٰ الجيرانِ والقراباتِ . وما أُعطيَ فِي الزكـواتِ والصدقـاتْ ، ومٰا عـدا ذلكَ سمومٌ وآفاتِ .

شعـرٌ :

يـا أهل لـذّاتِ دنيا لا بقـاء لهـا إنَّ اغتـراراً بـظلٍ زائـلٍ حمقُ

يـا نفـسُ :

لا تفـرحي بما أتـاكِ ، ولا تأسي على مـا فـاتـكِ من دنيـاك . ففرحكِ إنّمـا هو بمـوجودٍ لا يتـركه في يـدكِ الموت ، وأسفـكِ إنّمٰا هوَ علىٰ مفقودٍ لا يـردُّهُ عليكِ الفـوت . وإذا قدْ علمتِ أنَّ رزقَـكِ لا يـأكلهُ غيـركِ فلمَ بـهِ تهتمين ؟! وأنَّ عملكِ[3] لاٰ يعملهُ غيـركِ فلمَ بغيـرهِ تشتغلين ؟! وأنَّ الموتَ يـأتيكِ علىٰ بغتـةٍ فلمَ لاٰ إلىٰ الـطاعـةِ تبادرين ؟! وأنّكِ بعينِ اللّهِ علىٰ كـلِّ حالٍ فعـلامَ منهُ لا تستحين ؟! وإيّاكِ أنْ يراكِ اللّهُ حيثَ زجرك ، أو يفقدكِ حيثُ أمرك .

---

(١) في (ج) و (د) : (أرباب) .
(٢) أي : دواء الدنيا . اللسان ١٠ : ٣٢ ترق .
(٣) في (ب) : (وإن عملاً) .

يـا نفـسُ :

إنْ لمْ تقنعِي بـالقليلِ ، وطلبتِ المـالَ الجـزيـلِ . سـاهمتِ النصـارىٰ واليهـودَ الأرجـاس[1] ، ومنْ لاٰ دينَ لـهُ ولاٰ عقـلَ منَ النـاس . وإنْ قنعتِ بالحقيـر ، ورضيتِ باليسيـر . ساهمتِ الأوليـاءَ فِي رتبتهم ، والأنبياءَ فِي منزلتهم .

يـا نفـسُ :

إنْ كـانَ لا يغنيـكِ مـا يكفيـك ، فكـلُّ مـا فِي الأرضِ مـا يغنيـك[2] . وأقلُّ مـا فِي الخطرِ فِي جمـعِ المالِ يـومَ المقـام ، أنْ يدخلَ الفقراءُ الجنَّة قبلَ الأغنياءِ بخمسِ مائةِ عام .

شعـرٌ :

سَـرَّ منْ عـاشَ مـالـهُ فـإذا حـا سـبـهُ الـلّهُ سـرّهُ الإعـدامُ

يـا نفـسُ :

إذا أُثنيَ عليكِ بالصـلاحِ والورع ، وعـدمِ الريـاءِ والطمـع . وأنتِ تعلمينَ خبثَ سريرتك ، وعظمَ جريرتك . كانَ ذلكَ منْ غايةِ جهالتك ، ونهايةِ سفاهتك . وكنتِ كمنْ يهزءُ بإنسانٍ ويقولُ لهُ : يا فلانَ ما أكثرَ العطرَ الّذِي فِي أحشائـك ، ومٰا أطيبَ الـروائحَ الأرجـةَ

---

(١) في (ب) : (والأرجاس) .

(٢) في (أ) و (ج) و (د) :

شعر :

إن كـان لا يغنيـك مـا يكفيـك فكـلّ مـا في الأرض مـا يغنيـك

التِي تفوحُ منْ أمعائك . وذلكَ إذا قضىٰ منَ الغائطِ حاجته ، ومنَ البولِ أمنيّته . وهوَ يعلمُ ما اشتملَ عليهِ قلبهُ منَ الشرِّ والفتنة ، واحتوتْ عليهِ أمعاؤهُ منَ الأقذارِ والنتنة .

يا نفسُ :

إيّاكِ والعجبُ وهوَ : استعظامُ العملِ الصالحِ والنظرُ إلىٰ استكثاره ، والابتهاجُ بهِ والميلُ إلىٰ استكباره . فهوَ يوقعُ فِي مهاوِي الهلكات ، ناقلٌ للعملِ الصالِح منْ كفّةِ الحسناتِ إلىٰ كفّةِ السيئات ، ومنْ رفيعِ الدرجاتِ إلىٰ أسفلِ الدركات . فكمْ منْ عبادةٍ أفسدها العجب ، وإذا أفسدها العجبُ لمْ يقبلْها الرب . فعنْ عليّ (عليهِ السلامُ) : سيئةٌ تسوءُ عاملَها ، خيرٌ منْ حسنةٍ تعجبُ فاعلَها . وفي الحديثِ : ثلاثٌ مهلكاتٌ : شحٌّ مطاع ، وهوىً متّبع ، وإعجابُ المرءِ بعملٍ صالحٍ صنع .

يا نفسُ :

وكيفَ تعجبينَ بقيامِ بعضِ ليلَة ، ولا تنظرينَ إلىٰ نعمَ اللّهِ الجزيلةِ وأياديهِ الجميلَة . ولو قِستِ أكثرَ عملكِ علىٰ التقدير ، بأقلِّ نعمةٍ منْ نعمِ اللطيفِ الخبير ، لمْ تجديهِ وافياً باليسير ، ولا ناهضاً بعشرِ العشير . ألا تنظرينَ إلىٰ صاحبِ العبادةِ الطويلَة ، كيفَ باعها بشربةٍ وبولة .

يا نفسُ :

وأنتِ ترينَ الأجيرَ يعملُ طولَ النهارِ بدرهمين ، والحارسَ

يسهرُ جملةَ الليلِ بدانقين . وإذا صَرفتِ الفعلَ إلىٰ الملكِ العلّام ، وصُمتِ يوماً منَ الأيام ، أوْ تهجدتِ ليلةً فِي جنحِ الظّلام ، لا عدَّ لكِ ما لا تحصرهُ الأقلام ، ولا تبلغه خطراتُ الأنام . بلْ لوْ سجدتِ للّهِ سجدةً حتّىٰ يغشاكِ فيها النعاس ، باهىٰ اللّهُ بكِ الملائكةَ فأينَ القياس ؟ فهلّا تنظرينَ إلىٰ يومكِ الذِي قيمتهُ درهمانِ معَ احتمالِ التعبِ العظيم ، كيفَ صارَ لهُ هذهِ القيمةُ بالنسبةِ إلىٰ طاعةِ الربِّ الكريم ؟! وكمْ زمانُ السجدة ، معَ ما حصلَ فيها منَ الغفلةِ والرقدة . لكنْ لمّا نُسبتِ السجدةُ إلىٰ الملكِ الجبّار ، بلغتْ قيمتها منَ النفاسةِ والجلالةِ هذا المقدار .

يا نفسُ :

فحقيقٌ عليكِ أنْ تقصّرِي منْ أملك ، وترينَ حقارةَ عملك . ففِي الحديثِ : منْ مقتَ نفسهُ وألزمها الندامة ، آمنهُ اللّهُ تعالىٰ منْ فزعِ يومِ القيامَة . وروِيَ : أنّهُ إنْ يبيتُ أحدُكمْ نادماً علىٰ ذنوبهِ وأفعاله ، خيرٌ لهُ منْ أنْ يصبحَ مبتهجاً بصالحِ أعماله . ونائمٌ مقرٌّ بذنبه ، خيرٌ منْ مصلٍّ مدلٍّ علىٰ ربّه .

يا نفسُ :

فعليكِ بتحصينِ عملكِ منَ العجبِ والرياء ، والغيبةِ والكبرياء . فالعجبُ هلاك ، والرياءُ إشراك . والغيبة قوتُ كلابِ الجحيم ، والكبرُ مصيدةُ إبليسِ الرجيم . والعَجبُ ممّنْ يدخلهُ العُجبُ والكبر ، والتبخترُ والفخر . وأولهُ نطفة ، وآخره جيفة .

شعرٌ :

مـا بـالُ مـنْ أوّلـهُ نـطفـةٌ وجـيـفـةٌ آخـرهُ يـفـخـرُ

وفِي الحديثِ : منْ رفعَ نفسهُ قالَ ملكاهُ : اللهمَّ ضَعهُ ، ومنْ وضعها قالا : اللّهم ارفعهُ .

يـا نفـسُ :

وعليكِ بالذكر ، والحمدِ والشكر . فإنهُ يرفعُ البلاءَ الحاصل ، ويدفعُ السوءَ النازل . وفِي الحديثِ : ما اجتمعَ قومٌ فِي مجلسٍ لمْ يذكرُوا اللّهَ فيهِ إلّا كانَ عليهمْ حسرةً وندامَة ، ووبالاً يومَ القيامة . وأنّهُ منْ شغلهُ ذكر اللّهِ عنْ مسألته، أعطاهُ اللّهُ أفضلَ ما يعطِي السائلينَ منْ أُمنيّته . وأنَّهُ فِي كلِّ حالَة ، لا تصيبهُ منيّاتُ السوءِ ولا تنالَه . وأنَّهُ ينيرُ البصائر ، ويؤنسُ الضمائر . وأنَّهُ شيمةُ كلِّ مؤمن ، ولذّةُ كلِّ موقن . وأنَّهُ دعامةُ الإيمان ، وعصمةٌ منَ الشيطان .

يـا نفـسُ :

وعليكِ بالاستغفارِخصوصاً فِي الأسحار ، فقدْ رويَ : أنّهُ منْ أكثرَ الاستغفارَ رفعتْ صحيفتهُ وهيَ تتلألأُ بالأنوار . وجعلَ اللّهُ لهُ منْ كلِّ همٍّ فرجاً ، ومنْ كلِّ ضيقٍ مخرجاً . فعوِّدي نفسكِ الاستتار ، فِي الذكرِ[1] والاستغفار . تُمحىٰ عنكِ الحوبة ، وتعظمُ لكِ المثوبة . فمنْ تعطّرَ بأرياحِ استغفاره ، لمْ ينفضحْ منْ نتنةِ إصرارهِ علىٰ أوزاره . ومنْ قبّلَ فمَ الشهواتِ عضّتهُ أسنانُ الندامة ،

(١) في (ب) : (فعوّدي نفسك الاستتار والذكر) .

ومنْ تلفّعَ بأرديةِ التقوىٰ اعتنقتهُ[1] أكنافُ السلامة . فانتهِي زمانكِ قبلَ الزمنِ ، ولا تغترِّي بالدنيٰا فإنّها خضراءُ الدّمن ، واقعدِي[2] مقعدَ صدقٍ وانظرِي عندَ من . إنَّ الدنيٰا تعطِي تفاريقَ وتسترجعُ جملاً ، وترضِي أفاويقَ وتعظمُ عجلاً .

شعرٌ :

خطبتَ يا خاطبَ الدنيٰا مشمّرةً ... فِي ذبحِ أولادِهٰا الغيدِ الغرانيقِ[3]
كمْ منْ ذبيحٍ لهٰا منْ تحتِ ليلتهٰا ... زُفَّتْ إليهِ بمعزافٍ وتصفيقِ

يا نفسُ :

[أترين] منِ استُؤجرَ علىٰ إصلاحِ آنيةٍ منَ الدرّ ، وشرطَ لهُ علىٰ ذلكَ شيئاً منَ الأجر . وكانَ الشارطُ إذا وعدَ وفىٰ ، وإذا توعّدَ عفا . فجاءَ الأجيرُ إلىٰ الآنيةِ وكسرهٰا بعهده[4] ، وأفسدَ مصالحهٰا بجهده[5] . ثمَّ جلسَ علىٰ الباب ، ينتظرُ الأجرَ والثواب ، يزعمِ أنَّ المستأجرَ كريمٌ وهّاب . أفتراهُ العقلاءُ فِي انتظارهِ متمنّياً مغروراً ، أمْ راجياً مأجوراً ؟ هيهاتَ أنّهُ ﴿**لَيْسَ لِلإِنْسانِ إلاّ ما سَعىٰ ، وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرىٰ**﴾[6] . وما أجهلَ منْ يتوقّعِ المغفرةَ معَ الإصرار ، وما أسفهَ منْ يتمنّىٰ العفوَ معَ ملازمةِ الأوزار .

---

(١) في (ب) : (كشفته) .
(٢) في (أ) : (واطلبي) .
(٣) الغيد : النعومة ، والغرانيق جمع غرنوق وهو : الأبيض الشاب الناعم الجميل . اللسان ٣ : ٣٢٨ غيد و ١٠ : ٨٦ غرنق .
(٤) في (أ) : (بعمده) .
(٥) في (ج) و (د) : (وكسرها إذ باشرها ، وأفسد باطنها وظاهرها) .
(٦) النجم ٥٣ : ٣٩ ـ ٤٠ .

يـا نفـسُ :

لا تكـونِي كـالّـذِي يسبّـحُ اللّهَ ويهلّلُهُ مـائـة مـرةٍ فِي أوّلِ تذكارِه ، ثـمَّ يغتابُ المسلمينَ ويمزّقُ أعراضهُمْ سائـرَ نهارِه . فهـوَ أبـداً يتأمّـلُ[1] فِي فضائـلِ تسبيحاتـهِ وتهليلاتـه ، ولا يلتفتُ إلىٰ ما وردَ منْ عقوبةِ نميمـاتهِ وغيبـاته . ولعمـرِي لوْ كـانَ الكرامُ الكـاتبونَ يطلبونَ منهُ أجرَ التسبيح ، ومٰا يكتبونهُ منْ هذيانـهِ القبيح . لـزادَ أجرُ هذيانهِ علىٰ ثوابه ، ونقصتْ مدةُ حسناتهِ[2] عنْ مدةِ عقابه .

شعـرٌ :

متىٰ يبلغُ البنيـانُ يـومـاً تمـامَـهُ إذا كنتَ تبنيـهِ وغيـرُكَ يهـدمُ

يـا نفـسُ :

وأيُّ عـاقـلٍ يبـدّلُ البـرَّ بـالجفـا ، أوْ يستكفُّ[3] النـارَ بالحلفٰاء[4] .

شعرٌ :

والـلوزةُ المـرّةُ إنْ تـبـصـرُ يفسدُ بـالطعمِ[5] بهٰا السكـرُ

فالغيبة تحرقُ الحسنات ، وتبطلُ الطاعات .

---

(١) في (ب) : (لا يتأمل) .

(٢) في (ج) و (د) : (حسابه) .

(٣) في (أ) : (أو يكشف) .

(٤) الحلفاء : نبات حمله قصب النشاب . اللسان ٩ : ٥٦ حلف .

(٥) في (ب) : (في الطعم) .

شعرٌ :

احذرِي الغيبةَ فهيَ الفسقُ لا رخصةَ فيهِ إنَّما المغتابُ كالآكلِ مِنْ لحمِ أخيه

وهيَ تأكلُ الأجرَ والثواب ، كما تأكلُ النارُ يابسَ الأحطاب . بلْ هيَ أحرقُ منَ النارِ فِي الحليج[1] ، وأضرُّ منَ الثلجِ بالمفاليج .

يا نفسُ :

الطاعةُ معَ عدمِ الإيمانِ لا ترفع ، والعلمُ بغيرِ العملِ لا ينفع . ومثالهُ : مريضٌ عظمَ داؤه ، وعزَّ شفاؤه . فأعلمهُ طبيبٌ حاذق ، بدواءٍ موافق . وفضَّلَ لهُ أخلاطَه ، ومقاديرَهُ[2] وأشراطَه ، فكتبهُ المريضُ بنسخةٍ مليحَة ، وقرأهُ قراءةً صحيحَة . غيرَ أنَّهُ مالَ إلىٰ إهماله ، ولمْ يشتغلْ بشربهِ واستعماله . [أفترين] علمهُ بهِ منْ غيرِ عملٍ يداويه ، ومنْ شدّةِ مرضهِ يشفيه ؟ هيهاتَ لو كتبَ منهُ ألفَ نسخةٍ فِي ألفِ قرطاس ، وعلّمهُ كافةَ الناس . لمْ يَشفُ منْ مرضه ، ولم ينلْ شيئاً منْ غرضه . دونَ أنْ يشترِي الدواءَ ، ويقدّمَ الاحتماء . ثمَّ يشربهُ فِي وقتهِ وأوانه ، بعدَ خلطِ أخلاطهِ وصحةِ أوزانه .

يا نفسُ :

وهكذا الفقيهُ الّذِي أحكمَ علمَ الطاعاتِ ولمْ يعملْها ، وأتقنَ

---

(١) وهو : القطن المندوف . اللسان ٢ : ٢٣٩ حلج .

(٢) في (أ) و (ب) : (وتقاديره) .

معرفةَ[1] الأخلاقِ المحمودةِ وأهملَها . قالَ اللّهُ تعالىٰ : ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾[2] ولمْ يقلْ : قدْ أفلحَ منْ يعلمُ كيفيّةَ تزكيتِها ومعناها . فعلمٌ بلا عمل ، كحملٍ علىٰ جمل . فكوني يا نفسُ عاملة ، ولا تكوني حاملة . ولا تكوني كمنْ ينقلُ الوسوق[3] منَ السوقِ ، ويحملُ الشهدَ ولا يذوق . وعلمٌ بلا عملٍ كشجرٍ بلا ثمر ، وقوسٍ بلا وتر .

شعرٌ :

ترجُو النجاةَ ولا تسلكْ مسالكَها إنَّ السفينةَ لا تجرِي علىٰ اليبسِ

يا نفسُ :

العلمُ فِي صدورِ الكسالىٰ كشموعٍ تلمعُ منْ بينِ يدَي الضريرِ المحجوب ، أو كعروسٍ[4] تزفُّ إلىٰ الخصيِّ المجبوب . فمنَ الغبنِ يا نفسُ أنْ ترِي المياهَ جارية ، ثمَّ [تموتين] صادية[5] .

شعرٌ :

كالعيرِ فِي البيداءِ تشتكِي الظمٰا والماءُ فوقَ ظهورِها محمولُ

ومنَ الخسرانِ يا نفسُ جزّارٌ يأكلُ الميت ، ومكيٌّ لا يزورُ البيت .

---

(١) في (ب) : (وأيقن بمعرفة) .
(٢) الشمس ٩١ : ٩ .
(٣) أي : الحِمل . اللسان ١٠ : ٣٧٩ وسق .
(٤) في (أ) و (ب) : (أو كشموع) وما أثبتناه من (ج) و (د) وهو الأنسب .
(٥) أي : عطشانة . مجمع البحرين ١ : ٢٦٢ صدى .

يـا نفـسُ :

إنَّ تـأخيـرَ العمـلِ عنِ العلمِ حبسُ المـاءِ عـنِ النبت ، والترخّصُ فِي العملِ حيلةُ أصحابِ السبت . فلا تكـونِي كالجمـلِ الـطليـحِ [1] يتجشّمُ [2] لغيـرهِ أسفـاراً ، أوْ كمثـلِ الحمـارِ يحمـلُ أسفاراً . وفِي الحديثِ : أعـظمُ الناسِ عـذاباً يـومَ القيامـةِ ظالمٌ لمْ يقلعْ عنْ ظلمـه ، وعـالمٌ لمْ ينتفـعْ بشيءٍ منْ علمـه . والعلمُ يهتفُ بالعملِ ، فإنْ أجابهُ وإلّا ارتحل .

واعلمِي : أنَّ العلمَ والـعبـادةَ لأجـلهِمـا خُـلقتِ الأرضـونَ والسماواتِ ، وأُرسلتِ الرسـلُ بالبينـاتِ . فالعلمُ بمنـزلةِ الشجـرة ، والعبـادةُ بمنـزلـةِ الثمـرة . فلوْ لمْ تكنْ لهـذهِ الشجـرةِ ثمـرةٌ فِي الـوجود ، لمْ تصلحْ إلّا للوقـود . للكفعمِي مؤلّفُ الكتـابِ عفا اللّهُ تعالىٰ عنهُ .

شعـرٌ :

إذا المرءُ مَعَ إيمـانهِ ليسَ عـاملاً بشيءٍ منَ الخيـراتِ تلفاهُ خـائناً
وذلكَ مثلَ السفنِ فِي البحرِ تَلْقَها جـوارٍ وفِي غيرِ البحـارِ سـواكنـا

يـا نفـسُ :

ليسَ الفقيهُ منِ استفادَ وأفـاد ، بلِ الفقيـهُ منْ أصلحَ المعاد . ولا العالمُ منْ أفتىٰ ودرّس ، بلِ العـالمُ منْ تستّرَ بـالورعِ وتتـرّس .

---

(١) من الطلاحة التي هي : الإعياء . العين ٣ : ١٧٠ طلح .
(٢) أي : يتكلّف . مجمع البحرين ٦ : ٢٩ جشم .

ولا المجتهـدُ منْ بنى[1] أساسَ الملّة ، علىٰ قيـاسِ العـلّة . بـلِ المجتهـدُ منْ شغله الحقُّ عنِ المنـعِ والتسـليم ، واكـتفىٰ بعـلمِ الخضـرِ عنْ علمِ الكليم . وارعـوىٰ بمـسؤولاتِ الـحشـر ، عـنِ المَقـولاتِ العشر . فـلا تحسبِي المتشبّـهَ بـالفقيـهِ فقيهـاً ، فليسَ ذُو الوجهيْنِ عندَ اللّهِ وجيهاً .

يـا نفـسُ :

مثلُ العالمِ بـاللّهِ وأسمائـه ، وصفاتـهِ وآلائه . وهـوَ يقصّرُ فِي طاعتهِ ، ويضجـع ، ويهملُ أوامـره ويضيّع . كمثـلِ منْ أرادَ خدمـةَ رئيس ، أو ملكٍ نفيس . فعرفَ الملكَ وأخلاقَـه ، وطبعَهُ وأعـرافَه . فقصدَ خدمـةَ جنابِـه ، والتعلّقِ بأسبـابِه . إلاّ أنّـهُ ملابسٌ لجميـعِ مٰا يبغضهُ ويشناه[2] ، وعاطلٌ منْ جميعِ ما يحبّهُ ويهواه . أمٰا كانَ كـلُّ عـاقلٍ يحكمُ بجهـالتـه ، وعـظمِ سفـاهتِـه . ولا يُتصـوَّرُ أنْ يعـرفَ الأسدَ عاقـلٌ ويعرفَ أوصـافه ، إلاّ وهـوَ يتقيهِ ويخـافه . فعنـهُ (عليهِ السـلامُ) : منِ ازدادَ علمـاً ولمْ يـزددْ هـدى ، لمْ يـزددْ منَ اللّهِ إلاّ بعدا .

يـا نفـسُ :

كيفَ تحبِّي لقـاءَ اللّهِ وأنتِ تعصينـه ، فلو عصيْتِ آدميّـاً مـا اشتهيتِ أنْ تلقينه .

---

(١) في (ب) : (بيّن) .

(٢) في (ج) و (د) : (ويشاه) .

شعرٌ :

تعصِي الإلـهَ وأنتَ تـظهـرُ حبَّـهُ هـذا محالٌ فِي القيـاسِ بـديـعُ
لـوْ كـانَ حبُّـكَ صـادقـاً لأطعتَـهُ إنَّ المحبَّ لمنْ يحبُّ مـطيـعُ

فإيّاكِ وملازمَةِ هوىٰ الشيطان ، ومجانبةَ رضىٰ الـرحمن . فإنّـهُ يصرعُ الرجال ، ويقطعُ الآجال[1] . ويزيلُ النعم ، ويطيلُ الندم .

يـا نفـسُ :

كلُّ إثمٍ اقترفتيـهِ فِي سرٍّ أوْ عـلانيةٍ فهـوَ عليكِ مـرقوم ، وكـلُّ شيءٍ يشغلُكِ عنْ مـراضِي ربّـكِ فهـوَ عليـكِ مشؤوم . فعنـهُ (عليـهِ الســلامُ) : إنَّ العبـدَ[2] إذا خــلا فـاستحيى منَ اللّهِ أنْ يعصيَــه ، ورضيَ بـاليسيـرِ ممّــا قَسَّمَ لـهُ فيــه . رزقـهُ اللّهُ في الآخــرةِ حسنَ المآب ، وأنبتَ لهُ جناحينِ يطيرُ بهمٰا إلىٰ الجنّةِ بغيرِ حساب .

يـا نفـسُ :

إنَّ اللّهَ خلقَ الآفـةَ وجعلَ النـطقَ مثارَهـا[3] ، وقدّرَ السـلامـةَ وجعـلَ الصمتَ مـدارَهــا . الصمتُ يلزمُـكِ الســلامـة ، ويؤمنُــكِ الندامة . واللسانُ قليلُ الخير ، وغيرُ مأمونِ الضير . والصمتُ سلّمُ الخـلاص ، والنطقُ يحبسُ الهَـزارَ[4] فِي الأقفاص . واللفظُ شينٌ[5]

---

(١) في (ب) : (الآمال) .

(٢) لفظ : (ان العبـد)لم يرد في(أ) و (ب)وأثبتنـاهمن(ج) و (د)لعدم استقامـة المعنىبدونه .

(٣) في (ب) : (منارها) .

(٤) بفتح الهاء :العندليب والجمع العنادل ، والبلبـل يعندل : إذا صـوّت . حياة الحيـوان ٢ : ٨٢ و ٥٠٤ .

(٥) وهو خلاف الزين ، أو العيب . اللسان ١٣ : ٢٤٤ شين .

المحافل ، والجرسُ آفةُ القوافل . خيرُ القوسِ المكتوم ، وخيرُ الشرابِ المختوم . رنينُ القسيِّ يطردُ الظِبا ، ووسواسُ الحليِّ يوقظُ الرقَبا . وفرسانُ الكلامِ يومَ القيامةِ مشاة ، والمتجمِّلونَ بزخارفِ العباراتِ عراة .

يا نفسُ :

فما اللسانُ إلاّ سبعٌ صوّالٌ فقيّديه ، أو صارمٌ مسلولٌ فاغمديه . وسيأتي يومٌ يندمُ فيهِ الفصيح ، والطيرُ الّذِي يصيح . ولو كانَ سحبانُ[1] عاقلاً ، لتمنّىٰ أنْ يكونَ باقلاً[2] . وأجبنُ الفرسان ، منْ حاربَ باللسانِ . . وأحمسُ[3] الكماة ، منْ استعانَ علىٰ قرنهِ بالصمات . ولوْ صمتَ الكليمُ لعلمَ العجائب ، ولوْ سكتَ يوسفُ لعصمَ منَ النوائب . وحصائدُ الألسنةِ قدْ تزرعُ العداوة ، وطيّاراتُ الكلمِ قدْ تطيّرُ العلاوة . فخدشُ اللسانِ ثلمةٌ لا تنسدّ ، والكلامُ كالنبلِ إذا طارَ لا يرتدّ .

شعرٌ :

---

(١) هو : سحبان بن زفر بن أياس الوائلي من باهلة ، خطيب وفصيح يضرب به المثل في البيان ، اشتهر في الجاهلية وعاش زمناً في الإسلام ، وكان إذا خطب يسيل عرقاً ولا يعيد كلمة ولا يتوقف ولا يقعد حتى يفرغ ، تكلم ساعات أمام معاوية فقال له : أنت أخطب العرب فقال سحبان : والعجم والجن والانس . الاعلام للزركلي ٣ : ٧٩ ، والمنجد في الاعلام : ٣٥١ .

(٢) هو : باقل الأيادي ، جاهليّ يضرب بعيّه المثل ، قيل اشترى ظبياً بأحد عشر دزهماً فمر بقوم فسألوه بكم اشتريته ؟ فمد لسانه ومد يديه يريد أحد عشر فشرد الظبي وكان تحت إبطه ، والمثل ـ أعيىٰ من باقل ـ مشهور . الاعلام للزركلي ٢ : ٤٢ ، والمنجد في الاعلام : ١١٣ .

(٣) في (ب) : (وأحسن) .

رأيتُ اللسانَ علىٰ أهلِهِ إذا ساسهُ الجهلُ ليثاً[1] مغيراً

يا نفسُ :

وعليكِ بالعزلةِ والانفراد ، فِي طاعةِ المهيمن الجواد . فإنَّ العزلةَ توقّرُ الغرضَ وتسترُ الفاقَه ، وترفعُ عنكِ ما ليسَ لكِ بهِ طاقَة . والتخلّي[2] للعبادةِ دليلٌ علىٰ الفضل ، والصبرَ علىٰ الوحدةِ علامةُ قوّةِ العقل .

شعرٌ :

فِي عزلةِ المرءِ عنْ كلِّ الورىٰ نعمٌ أقلُّهـا أنّـهُ خـالٍ منَ الكلفِ
يرضىٰ القناعةَ مسروراً بوحدتهِ إذا تنازعَ أقوامٌ علىٰ الجيفِ

يا نفسُ :

لازمِي الوحدةَ فإنّهٰا أسلمُ جانباً ، ونادمِي الكتبَ فإنّها أكرمُ صاحباً .

شعرٌ :

فطوبىٰ لمستجلسٍ[3] بيتهُ قنوعٌ لهُ بلغةٌ كافيَهْ
ندامـاهُ دونَ الورىٰ كتبه[4] لا إثمَ فيهٰا ولا لاغيَهْ
فمنْ شرِّهِ الناسُ فِي راحةٍ ومنْ شرِّهمْ نفسُهُ ناجيَهْ

---

(١) في (ج) و (د) : (لبناً) .
(٢) في (أ) : (والتحلي) وفي (ب) : (والتجلي) وما أثبتناه من (ج) و (د) وهو الأنسب .
(٣) في (أ) : (لمستخلس) وفي (ج) و (د) : (لمستخلص نيته) .
(٤) في (ب) : (كتب) .

يـا نفـسُ :

متىٰ فتّشتِ أحـوالَ العالمِ وجـدتِ الصالـحَ منهـا ذا لـونين ، فإنْ ذقتِهِ وجـدتِهِ ذا طعمين ، فـإنْ قلّبتِهِ وجـدتِهِ ذا وجهين ، فـإذا استنـطقتِهِ وجـدتيـهِ ذا لسـانين ، فـإنْ كشفتيـهِ وجـدتيـهِ ذا طبعين . وتجـدينَ الأنامْ ، كـالأنعام : قلوبُهمْ لاهيَـه ، ومجـالستُهمْ لاغيَـة ، والفـاحشـةُ فيهمْ فـاشيَـة ، فتنحّي عنهمْ نـاحيَـهْ ، [تجـدِين] الأمنَ والعافية .

شعرٌ :

إن أردتِـي سـلامـةً وفـلاحـاً ... الزمِي الصمتَ ثمَّ كونِي وحيـدَهْ
إنّمـا الإثمُ فِي مخـالـطةِ الخلقِ ... فـدعيهـا لكيْ تصيـرِي سعيـدَهْ
كـلُّ نفسٍ تعاشـرُ النـاسَ تلفىٰ ... عنـدَ أهلِ التحقيقِ غيـرُ رشيـدَهْ
وانبـذِي جيفـةً عليهـا كـلابٌ ... تـرقـنهـا[1] وكـونِي بعيـدَهْ

وعن عليٍّ (عليهِ السلامُ) : تبـذّلْ ولا تشتهر ، ووارِ شخصـكَ ولا تذكر . واسكتْ تسلمْ ، وتعلّمْ واعملْ تغنم .

شعـرٌ :

كنْ وحيـداً فكـلُّ أهـلٍ ومـالِ ... تـعبٌ لـلنفـوسِ والأجسـامِ
إنّمـا اللّهُ وحـدهُ فتـشبّـهْ ... بـصفـاتِ الـمهيمـنِ العـلّامِ

يـا نفـسُ :

المـوتُ يطلبـكِ وأنتِ للدنيا تـأملين ، واللّهُ يمقتكِ وأنتِ مِـلأ

(١) كذا في (ب) ولم يرد البيت الأخير بأكمله في (أ) .

فيكِ تضحكين . أفبالصحة تغترين ، أمْ بطولِ العافيةِ تفرحين ، أمْ منَ الموتِ تأمنين ؟! فكأنِّي بكِ وقدْ أمرَّ منكِ ما كانَ حلواً ، وكدَّرَ منكِ ما كانَ صفواً .

شعرٌ :

وسالمتكَ الليالِي فاغتررتَ بها وعندَ صفوِ الليالِي يحدثُ الكدرُ

فعلامَ لنفسكِ فتنت ، وتربّصتِ وارتبت . حتّىٰ جاءَ يومُ النشور ، وغرّكِ باللّهِ الغرور .

يا نفسُ :

كمْ منْ عامرٍ مونقٍ يخرب ، وكمْ منْ سالمٍ صحيحٍ يعطب . فبادرِي بفعلِ الجميلِ ، قبلَ أنْ ينادىٰ بالرحيل .

واعلمِي : أنَّهُ منْ كانَ مطيّتهُ الليلُ والنهارُ فإنَّهُ يسارُ بهِ وإنْ كانَ مقيماً قاطناً ، ويقطعُ المسافةَ وإنْ كانَ واقفاً ساكناً .

شعرٌ :

إنَّ الليالِي للأنامِ[1] مناهلٌ تُطوىٰ وتُنشرُ دونها الأعمارُ[2]

أفبعدَ المشيبِ ، تخدعينَ بالزبيب ، وقدْ علمتِ أنَّ الموتَ قريب ، وللنقصِ فِي كلِّ يومٍ منكِ نصيب .

يا نفسُ :

لوْ رأيتِ قربَ ما بقى منْ أجلك ، لزهدتِ فِي طولِ

---

(١) في (ج) و (د) : (والأيام) .

(٢) في (ب) : (الأعمال) .

أملك ، ولرغبتِ فِي الزيادةِ منْ صالحِ عملك ، ولقصّرتِ منْ حرصكِ وحيلك . وإنّما يلقاكِ غداً ندمُك ، لوْ زلّتْ بكِ قدمُك ، وأسلمكِ أهلُكِ وحشمُكِ . وفارقَكِ الولدُ القريب ، ورفضكِ الوالدُ والنسيب . فلا أنتِ إلىٰ دنياكِ عائدة ، ولا فِي حسناتكِ زائدة . فاعملِي ليومِ القيامة ، قبلَ الحسرةِ والندامة .

يا نفسُ :

ألا تستحينَ منَ التوبيخِ والتعنيف ، علىٰ طولِ التسويف . والّذِي يدعوكِ إلىٰ التسويفِ اليومَ هوَ معكِ غداً ، وإنّما تزدادينَ بطولِ المدةِ ردىً . وكلّما فعلتِ حوبَة ، وعدتِ نفسكِ التوبَة . وتقولينَ : إنْ شِبتُ[1] تبتُ ، أوْ عُمّرتُ أنبت . ويُرىٰ جهلُكِ أنَّ الإنسان ، يستبعدُ الموتَ معَ الشبّان . وهذا جهلٌ منكِ أيّها النفسُ القرونَة[2] ، والأمرُ بالعكسِ يا مسكينَة . لأنَّ الموتَ فِي الشبابِ أكثر ، وفِي الشيوخِ أنزر .

يا نفسُ :

ومثالهُ : لوْ عددتِ مشايخَ بلدتكِ ، وشيبَ قريتك . لكانُوا أقلَّ منْ عشرةِ رجال ، وتجدين الشبّانَ والأطفال[3] أكثرَ منهمْ علىٰ كلِّ حال . فإلىٰ أنْ يموتَ شيخٌ يموتُ ألفٌ منَ الأطفالِ والشبان ، والغلمانِ والصبيان . علىٰ أنَّ الموتَ ليسَ لهُ وقتٌ مخصوص ، ولا

---

(١) في (ب) : (شئت) .

(٢) في (ج) و (د) : (البقرية) .

(٣) في (ب) : (وتجدين الشبان والغلمان والصبيان) .

عليهِ آنٌ منصوص . بعيدٌ أو قريب ، فِي شبابٍ أو شيب فِي شتاءٍ أو صيف ، أو ربيعٍ أو خريف . فإذاً جهلُكِ بموتكِ وحبُّ الدنيا ، دعياكِ إلىٰ طولِ الأملِ واتباعِ الهوىٰ .

يا نفسُ :

مثلُ أهلِ الدنيا واشتغالِهمُ بأشغالِها ، ونسيانِهمْ للآخرةِ وإهمالِها . كمثلِ قومٍ ركبُوا السفينةَ فِي البحرِ للتجارة ، فعدلُوا إلىٰ جزيرةٍ لأجلِ الطهارة . والملّاحُ يناديهمْ : إيّاكمْ وطولِ المكث ، ودوامِ اللبث . فمنْ اشتغلَ منكمْ بغيرِ الوضوءِ والصلاة ، فاتتهُ سفينةُ النجاة . فالعقلاءُ منهمْ لمْ يمكثُوا ، وشرعُوا فِي الوضوءِ والصلاةِ ولمْ يلبثُوا . فوجدُوا الأمنَ والعافيَة ، وأماكنَ السفينةِ خاليَة . فجلسُوا فِي أطهرِ الأماكنِ وأوفقِهَا ، وأطيبِ المواضعِ وأرفقِهَا .

يا نفسُ :

ومنهمْ منْ وقفَ ينظرُ إلىٰ شجرةِ تلكَ الجزيرةِ وأثمارهَا ، ويستمعُ إلىٰ طيبِ ترنُّمِ أطيارِهَا . فغفلُوا لذلكَ غفلةً قليلة ، أعقبتهمْ حسرةً طويلة . فلمَّا عادُوا إلىٰ المركبِ لم يجدُوا مفرجاً ، بلْ مكاناً حرجاً . فقعدُوا فِي أضيقِ المواطنِ وأظلمِهَا ، وأحرجِ الأماكنِ وأشأمِهَا .

يا نفسُ :

ومنهمْ منْ لمْ يقتنعْ بالنّزهةِ والتفرّج ، وأطالَ مدةَ المكثِ

والتبرّج . واشتغلُوا بجمعِ ما فِي الجزيرة منَ اللآلِي الثمينة ، ولمْ يلتفتُوا إلىٰ مناداةِ الملاّحِ فِي السفينة . فتحيّروا إذْ ذهبتِ السفينةُ فِي الرجوع ، وغارَ[1] منَ الجزيرةِ الينبوع[2] . ثمَّ جدّتْ منْ شروشهٰا ، وخرّتْ علىٰ عروشهٰا . فمنهمْ منْ هوىٰ فيهٰا صريعاً ، أوْ ماتَ بهٰا جوعاً . ومنهمْ منْ أهلكتهُ السباع ، وأكلتهُ الضباع . فالقومُ المتقدّمونَ همُ المؤمنون ، والقومُ المتوسطونَ همُ الّذينَ للطاعةِ والمعصيةِ يخلطونَ ، والقومُ المتأخّرونَ همُ المجرمون .

يا نفسُ :

ومثلُ أهلِ الدنيٰا كضيفٍ دعِي إلىٰ دارٍ فيهٰا فائدَه ، وطعامٍ تأنّقَ[3] فيهِ علىٰ مائدَة . وعادةُ المضيّفُ أنْ يزيّنَ للأضيافِ داره ، ويدعُوا إليهٰا زوّاره . ويضعُ بينَ أيديهمْ طبقاً منَ الذهب ، مملوّاً من الرطب . ومجمرةً منْ فضةٍ فيهٰا منَ العودِ والبخورِ ، ما يتطيّبُ بهِ أُولئكَ الحضور .

يا نفسُ :

فالعاقلُ [ترينه] قدْ تطيّبَ وانطلق ، ولمْ يطمعْ فِي تناولِ المجمرةِ والطبق . والجاهلُ لعظمِ الجهالةِ يتوهمُ أنَّ المجمرةَ والطبقَ قدْ وهبٰا له ، فأخذَ عندَ خروجهِ الطبقَ والمجمرةَ فأُخذا منهُ قهراً فمٰا أخسرهُ . فضاقَ صدرُهُ وأتعب قلبَه ، وطلبَ الإقالةَ إذ

---

(١) في (ب) : (وعاد) .

(٢) أي : العين . اللسان ٨ : ٣٤٥ نبع .

(٣) أي : تجوّد . اللسان ١٠ : ٣٦٣ نوق .

أظهرَ ذنبَه . وجلّلهُ عارُ ذلكَ وغشّاه ، ودرّعهُ وردّاه . فالدنيا كمثلِ دارِ الضيافَة ، يتزوّدُ منها منْ يريدُ قطعَ المسافَة . ولا يطمعُ فيما فِي الدارِ منَ المتاع ، لما وصفناهُ منْ عاقبةِ الارتجاع .

يا نفسُ :

مثلُ منْ تركَ الدنيا وطلّقها ، وأبغضها وفارقها . كمثلِ قومٍ نبا بهمْ منزلٌ جديب[1] ، فأمّوا بمنزلٍ[2] خصيب[3] . فاحتملُوا وعثاءَ[4] الطريق ، وفراقَ الصديق .

ليأتوا سعةَ دارهم ، ومنزلَ قرارهم . فليسَ يجدُونَ لشيءٍ منْ ذلكَ ألماً ، ولا يَروْنَ النفقةَ فيهِ مغرماً . ولا شيءٌ أحبَّ إليهمْ ممّا قرّبهمْ إلىٰ منزلهم ، وأدناهمْ إلىٰ محلّهمْ .

يا نفسُ :

ومثلُ منِ اغترَّ بها ، وحواها وصحبها . كمثل قومٍ كانُوا بمنزلٍ خصيب ، فنبا بهمْ منزلٌ جديب . فلا شيء أكره إليهمْ ولا أفظع[5] لديهمْ إلىٰ ما كانُوا فيه ، إلىٰ ما يهجمونَ[6] عليهِ ويصيرونَ إليه .

---

(١) أي : انقاد بهم منزل جديب فلم يوافقهم ولم يجدوا به قراراً . اللسان ١٥ : ٣٠٢ نبا .

(٢) في (أ) و (ج) و (د) : (المنزل) .

(٣) من الخصب وهو نقيض الجدب ، وهو كثرة العشب ورفاغة العيش . اللسان ١ : ٣٥٥ جدب .

(٤) أي : شدة ومشقة . اللسان ٢ : ٢٠٢ وعث .

(٥) في (أ) و (د) : (ولا أقطع) .

(٦) في (د) : (ما يهجعون) .

يـا نفـسُ :

لـوْ أُعطيتِ في دنيـاكِ دينـاراً فِي سهـرِ ليلة ، لملتِ إلىٰ ذلـكَ ميلةً وأيّةُ ميلة . خصوصاً إذا كانَ فِي مـزاحٍ ولغو ، وسمـاعٍ ولهو . ولـو أُعطيتِ علىٰ شهـرها لأداءِ نفـلٍ أو فـرض ، قصـراً منَ الـذهبِ يومَ النشورِ والعرض . لكنتِ عنْ ذلكَ نـائمة ، ولـهُ غيرَ رائمـة[1] . فيا عجباهُ منـكِ إذْ تبتغِي قصراً منْ قصـارٍ بدينـار ، وتستبدلي الجنّـةَ بالنار .

يـا نفـسُ :

ولـوْ قِيلَ لـكِ خـذِي هـذا الـدينـار ، علىٰ عـدمِ إفـطارِ هـذا النهار . لجعلتِ الصومَ أمراً واجباً ، وفـرضاً لازمـاً . ولوْ قيـلَ لكِ : يُفتـحُ لكِ بصـومِـهِ أبـوابُ الجنـان ، وتُغلقُ عنـكِ أبـوابُ النيـران . لكنتِ فِي ذلكَ غير راغبـة ، ولهُ غيـر طالبـة . فيا عجبـاهُ منكِ تبيعِي غرفاتِ الجنانِ الباقية ، بشيءٍ يسيرٍ منَ الذهباتِ الفانية .

يـا نفـسُ :

إنّمَا كرهتِ المـوتَ لأنّكِ عمّـرتِ دنياك ، وأخـربتِ أُخراك . فـأنتِ لا تـريـدينَ إلىٰ الخـرابِ الـرحلة ، وتكـرهينَ منَ العمـرانِ النقلة . إنْ قلتِ : كيفَ تـرىٰ حـالِي ، عنـدَ اللّهِ ومـآلي ؟ قلتُ : اعرضِي نفسكِ علىٰ القرآنِ الكريم ، فِي قـولهِ تعـالىٰ : ﴿**إنَّ الأبْرارَ لَفِي نَعِيْم ، وإنَّ الفُجّـارَ لَفِي جَحِيمْ**﴾[2] فـإنْ كـنتِ مـنَ الأبـرارِ

---

(١) أي : غير طالبة . مجمع البحرين ٦ : ٧٦ روم .

(٢) الانفطار ٨٢ : ١٣ ـ ١٤ .

فالجنّةُ مأواك ، وإنْ كنتِ منَ الفجّارِ فالنارُ مثواك . فإنْ قلتِ : أينَ حجّي وزكاتِي ، وصومِي وصلاتِي ؟ قلتُ : اعرضيهِ علىٰ الكتابِ المبين ، فِي قولهِ تعالىٰ : ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾[1] فإنْ كنتِ منَ المتقينَ صلحتْ أحوالكِ وتُقُبّلتْ أعمالك ، وإنْ كنتِ منَ العاصينَ اقمطرَّ نكالُكِ[2] وعظمَ وبالك . فإنْ قلتِ : فأينَ شفاعةُ الرسولِ ، يومَ العرضِ المهول ؟ قلتُ : اعرضيهِ علىٰ الكتابِ المكنون ، فِي قولهِ تعالىٰ : ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾[3] فإن كنتِ للّهِ طائعَةً ومنْ خشيتهِ فازعَة شفعَ فيكِ أهلُ الشفاعَة ، وإنْ كنتِ مزجاةَ البضاعةِ فِي الطاعةِ ، فأنتِ منْ أهلِ الإضاعَةِ . فإنْ قلتِ : فأينَ رحمةُ اللّهِ الواسعةُ ، ومنّتُهُ المتتابعة ؟ قلتُ اعرضيهِ علىٰ الكتابِ المبين ، فِي قولهِ تعالىٰ : ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾[4] إنْ كنتِ منَ المحسنينَ رحمت ، وإنْ كنتِ منَ المسيئينَ نقمت .

يا نفسُ :

لستِ مستعدةً للموتِ إذْ أتاك ، ولا أنتِ مجمعةً عنِ التحوّلِ عنْ هواك . أترينَ بعدَ الموتِ داراً لكِ فيها كرّة[5] ، وهلْ تأمنينَ الموتَ أنْ يأتيكِ علىٰ غمرة[6] .

---

(١) المائدة ٥ : ٢٧ .

(٢) أي : انتشر ضعفك . اللسان ٥ : ١١٧ قمطر ، المفردات : ٥٠٦ نكل .

(٣) الأنبياء ٢١ : ٢٨ .

(٤) الأعراف ٧ : ٥٦ .

(٥) أي : رجعة . مجمع البحرين ٣ : ٤٧١ كرر .

(٦) قال الخليل في العين ٤ : ٤١٧ غمر : (وغَمَرةُ الموت : شدّته) .

واعلمِي : أنَّ يومكِ هذا يومٌ موجود ، وهـوَ ماضٍ ولاْ يعـود . واللّهُ تعالىٰ سائلكِ عنهُ فيمٰا أفنيتِهِ ؟ فهلْ شكرتِ اللّهَ فيهِ أو حمدتِهِ أو قضيتِ حـاجـةَ مؤمنٍ فيـهِ ؟ وهـلْ بـظهـرِ الغيبِ فِي أهلهِ وولـدهِ حفظته أو نفّستِ عنهُ كربةً وأعنته[1] ؟ .

يـا نفـسُ :

إنَّ فِي صحفِ إبـراهيم ، عليـهِ وعلىٰ نبينٰـا أفضـلُ الصـلاةِ والسلام : أنَّ للعاقلِ أربعُ ساعات : فسـاعةٌ يخلُو فيهٰـا للطاعات ، وسـاعةٌ للفكـرِ فِي المصنوعـات ، وساعـةٌ يحاسبُ فيهٰـا نفسـهِ علىٰ الزلّات ، وساعـةٌ يقضِي فيهٰا وطـرهُ فيمٰا يحـلُّ منَ اللذات . فطوبىٰ لمنْ صلحتْ سريرتُه ، وحسنتْ علانيتُـهُ . وأنفقَ الفضلَ منْ مـاله ، وأمسكَ الفضلَ منْ مقاله .

يـا نفـسُ :

فِي الحـديثِ : خصلتانِ تـدخلانِ النعيم ، وتقيـانِ الجحيم . وهمٰـا : احتمالُ مـا يكرهُ إذا أحبَّـهُ اللّه ، وتركُ مـا يحبُّ إذا أبغضَـهُ الله .

واعلمِي : أنَّ أكثـرَ يـومِ القيـامـةِ حسـرةً منْ قتـلَ[2] فـائـدةَ خيـره ، ورأىٰ حسنـاتـهُ فِي ميـزانِ غيـره . أدخـلَ اللّهُ هـذا بمـالـهِ الجحيم ، وأدخلَ اللّهُ وارثَهُ بمالهِ النعيم .

---

(١) في (أ) و (ج) : (وأغنيته) .

(٢) في (ج) و (د) : (قرا) .

يـا نفـسُ :

لا تعمّرينَ الدنيا فلا بـدَّ منْ فراقِ حملهـا[1] ، وصانعِي وجهـاً واحداً يكفيكِ الوجوهَ كلَّها .

واعلمِي : الويلُ كلَّ الويلِ لمنْ باعَ نعيمـاً دائمَ البقاءِ بكسـرةٍ تفنىٰ ، وخرقةٍ تُبلىٰ .

شعـرٌ :

كفىٰ حـزنـاً إلاّ حيـاةَ لـذيـذة ولا عملٌ يرضىٰ بـهِ اللّهُ صالـحُ

يـا نفـسُ :

فِي الحـديثِ : أنَّ اللّهَ لا ينـظرُ إلىٰ صـوركمْ وأمـوالكم ، ولكنْ ينـظرُ إلىٰ قلوبكمْ وأعمـالكم . فـاتّقِي فِي الخلواتِ المـآثم ، فإنَّ الشاهدَ هوَ الحاكم .

واعلمِي : أنَّ فِي طلبِ الـدنيـا ذلُّ النـفـوس ، وفِي طـلبِ الآخـرة عزُّ النفـوس . فيـا عجبـاهُ لمنْ يختـارُ المـذلّـةَ فِي طلبِ مـا يفنىٰ ، ويتركُ العزَّ فِي طلبِ ما يبقىٰ .

شعرٌ :

. . . . . [2] فـمـرتجـعٌ بـمـوتٍ أو زوالِ

---

(١) في (ج) و (د) : (محلّها) .

(٢) في (أ) و (ب) وردت كلمات لم نستطع قراءتها .

يـا نفـسُ :

ما يضرُّكِ إذا رزقتِ خيرَ الآخرةِ مـا فاتـكِ منَ الدنيـا وأصابـكِ منْ شـدائدِهـا ، وما ينفعُـكِ إذا حرمتِ خيـرَ الآخرةِ مـا أصابـكِ منَ الدنيا وفوائدِها .

شعـرٌ :

مـا عـذر[1] منْ يعمـرُ أوطـانَـهُ وجسمـهُ مستهـدمٌ يخـربُ
يبكِي علىٰ الـذاهبِ منْ مـالـهِ وإنّـمـا يبـقىٰ الّـذِي يـذهـبُ

يـا نفـسُ :

لا تنـظرِي إلىٰ صغيـرِ الـخـطيئـةِ ولكـنِ انـظرِي إلىٰ مـنْ عصيت ، ولا ترثِي لمنْ ظلمتِ ولكنِ ارثِي لسوءِ ما جنيت .

واعلمِي : أنَّ مـا قـلَّ وكفىٰ ، خيـرٌ ممّـا كثـر وألهىٰ . وأنَّ صاحبَ الدينارين ، أطولُ حساباً منْ صاحبِ الدرهمين . وأنَّ النومَ علىٰ المـزابـلِ وأكـلَ خبـزِ الشعيـر ، فِي طلبِ الجنّـةِ[2] ولـذّاتهـا يسير .

شعـرٌ :

خـبـزُ شـعـيـرٍ ومـاءُ بئـرٍ وثـوبُ قـطنٍ مـعَ السـلامَـهْ
أفـضـلُ مـنْ نـعـمـةٍ جـزيـلة تـكـونُ عقـبـاهـا الـنـدامَـهْ

---

(١) في (أ) : (ما عزّ) .
(٢) في (ج) و (د) : (الفردوس) .

يـا نفـسُ :

عجبـاً لمنْ عـرفَ اللّهَ كيفَ يقتـرفُ السيئـات ، ولمنْ أيقنَ بـالمـوتِ كيفَ تهنّؤهُ اللذات ، ولمنْ تحقّقَ البعثَ والحسـابَ كيفَ يتركُ الطاعات ! .

واعلمِي : أنَّ تقـوىٰ اللّهِ زادٌ لا يفنىٰ ، والعملَ الصـالـحَ كفنٌ لا يبلىٰ ، فـإيّـاكِ أنْ يـراكِ اللّهُ حيثُ زجـرك ، أوْ يفقـدكِ حيثُ أمرك .

يـا نفـسُ :

الكيّسُ العـاقلُ[1] منْ يهـدمُ دنياهُ فيبنِي بهـا أُخراه ، والأحمقُ الجاهلُ منْ يهدمُ أُخراهُ فيبني بهٰا دنياه .

واعلمِي : أنّـكِ لا تـدركينَ مـا تـأملينَ إلّا بـالصبرِ علىٰ مـا تكرهين ، ولا تبلغينَ ما تريدينَ إلّا بتركِ ما تشتهين .

وإيّـاكِ والبطنـةُ فـإنّهـا ثقـلٌ فِي الحيـاة ، ونتنٌ في الممـات . فمنْ لـزمَهٰا كثـرتْ أسقامـه ، وفسـدتْ أحـلامـه . لأنّـهُ إذا امتـلأتِ المعدةُ قلّتِ الإفادَة ، وقعدتِ الأعضاءُ عنِ العبادَة .

والعجبُ أنّـكِ تعلمينَ أنَّ البـطنـةَ خـزانتُهٰـا الكنيف[2] ، وأنَّ الصدقةَ خزانتُهٰا اللطيف ، وأنَّ الصدقةَ بالدرهمِ السخيف ، يُحـذِي الخـطوةَ بالقصـرِ المنيف . ثمَّ تكـونِي عنـدَ الصـدقـةِ راقـدة ، وفِي

---

(١) في (ج) و (د) : (الكيس الفطن الحذر) .

(٢) وهو : الموضع المعدّ للخلاء . مجمع البحرين ٥ : ١١٦ كنف .

ثوابِها العظيمِ زاهدة .

يـا نفـسُ :

فِي الحـديثِ : إنَّ صلاةَ اللّيـلِ منَ السنّة ، ومفتـاحُ الجنّـة . بهـا تقبلُ الأعمـال ، وتنمُـو الأمـوال . وتكـونُ لمصلّيهـا مؤنسـاً فِي القبـر . وسراجـاً وظلاً فـوقَ رأسهِ فِي المـوقف . وتاجـاً وستـراً بينـهُ وبينَ النـار . وحجّـةً وجـوازاً علىٰ الصـراطِ . ومحجّـةً ونـوراً يسعىٰ أمـامـه . وثقـلاً فِي ميـزانـهِ يـومَ القيـامـة . وهيَ مـطردةٌ لـلأدواءِ والبليات ، ومرضـاةٌ لربِّ الأرضينَ والسمـاوات ، وهيَ المشارُ إليهـا بقولهِ : ﴿إِنَّ الْحَسناتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ﴾[1] .

وفِي الحـديثِ عنِ النبيِّ المختار : ركعتـانِ باللّيـلِ أفضلُ منْ ألفِ ركعةٍ بالنهار .

يـا نفـسُ :

عليكِ بالدعاءِ فـإنّهُ مفـاتيحُ الـرحمةِ ، ومجـاديحُ[2] النعمـة . ومقـاليدُ الفـلاح ، ومصابيـحُ النجاح . وخيـرُ الدعـاءِ مـا صـدرَ عنْ صـدرٍ نقيٍّ ، وقلبٍ تقيّ . وفِي المنـاجـاةِ ، سببُ النجـاة . وفِي

---

(١) هود ١١ : ١١٤ .

(٢) المجاديح : الأنواء ، والأنواء عند الجاهلية : ثمانية وعشرون نجماً معروفة المطالع في أزمنة السنة كلها من الصيف والشتاء والربيع والخريف يسقط منها في كـل ثلاث عشـرة ليلة نجم في المغرب مع طلوع الفجر . . . وكانت العـرب في الجاهليـة إذا سقط منها نجم وطلع آخر قالوا : لا بدّ من أن يكون عند ذلـك مطر أو ريـاح . اللسان ٢ : ٤٢١ جدح و ١ : ١٧٦ نوأ .

الإخـلاص ، يكـونُ الـخلاصِ . وإذا اشتـدَّ الفـزع ، فـإلىٰ اللّهِ المفزع .

شعـرٌ :

يا منْ يرىٰ ما فِي الضميرِ ويسمعُ ... أنتَ المعـدُّ لكـلِّ مـا يتـوقّـعُ
يـا منْ يـرجّى للشـدائـدِ كلّهـا ... يـا منْ إليـهِ المشتكىٰ والمفـزعُ
يا منْ خزائنُ ملكهِ فِي قولِ : كنْ ... امنْ فـإنَّ الخيـرَ عنـدكَ أجمـعُ
مـا لِي سوىٰ فقـرِي إليكَ وسيلةٌ ... بـالافتقارِ إليـكَ فقـرِي أدفـعُ[1]
ما لِي سوىٰ فـزعِي لبابـكَ حيلةٌ ... فلئنْ رددتَ فـأيُّ بـابٍ أقـرعُ
ومنِ الّـذِي أدعُو وأهتفُ بـاسمهِ ... إنْ كانَ فضلكَ عنْ فقيركَ يمنـعُ
حاشا لمجدكَ[2] أنْ يقنّطَ عاصياً ... الفضلُ أجزلَ[3] والمواهبُ أوسعُ

يـا نفـسُ :

إنْ تخاذلتِ عن الاستعانـةِ بمولاك ، وتقـاعدتِ عنِ الاستقـامةِ فِي طلبِ هـداك . يوشـكُ أنْ ينتهزَ بـكِ الملعونُ الفـرصَـة ، فتعلقُ بـكِ مخاليبـهُ[4] فتكونُ عليـكِ غصَّة . ثمَّ لا تقـدرينَ منْ حبـائلهِ[5] علىٰ الخـلاص ، وليسَ لكِ منْ مصـائدهِ منـاص[6] . ثمَّ بعـدَ ذلـكَ تلحقين ، بالأشقياءِ والمعذّبين .

---

(١) في (ب) : (أرفع) .
(٢) في (ج) : (لجودك) .
(٣) في (أ) : (أجزك) .
(٤) أي : أظافيره . العين ٤ : ٢٧٠ خلب .
(٥) وهي : مصائده . مجمع البحرين ٥ : ٣٤٨ حبل .
(٦) أي : ملجأ . المفردات : ٥٠٩ نوص .

فعليكِ بكثرةِ الاستغاثةِ والصراخ ، قبلَ أنْ يعلقَ بكِ الفخاخ[1] . ولازمِي قرعَ الباب ، عسىٰ أنْ يرفعَ لكِ الحجاب . وقولِي بلسانِ الخجلِ والانكسار ، فِي مناجاة الملكِ الجبّار . ما كانَ يقولهُ سيّدُ العبّاد ، فِي بسطِ الرجاءِ إلىٰ الملكِ الجواد :

إلهِي وعزّتكَ ، وجلالكَ . لوْ قرنتنِي بالأصفادِ ، ومنعتنِي سيبكَ[2] منْ بينِ الأشهادِ ، ودللتَ علىٰ فضائحِي عيونَ العبادِ ، وأمرتَ بِي إلىٰ النارِ ، وحُلتَ بينِي وبينَ الأبرار .

ما قطعتُ رجائِي منكَ ، ولا صرفتُ تأميلِي للعفوِ عنكَ .

ولئنْ صيّرتنِي للعقوباتِ معَ أعدائك ، وجمعتَ فِي النارِ بينِي وبينَ أهلِ بلائك . فبعزّتكَ يا سيّدِي ومولايَ أُقسمُ صادقاً ، لئنْ تركتنِي ناطقاً . لأضجنَّ إليكَ بينَ أهلهَا ضجيجَ الآملين ، ولأُنادينكَ أينَ كنتَ يا وليَّ المؤمنين ، يا غايةَ آمالِ العارفين ، يا غياثَ المستغيثين ، يا حبيبَ قلوبِ الصادقين ، ويا إله العالمين .

أفتراكَ سبحانكَ ، يا إلهِي وبحمدك . تسمعُ فيهَا صوتَ عبدٍ مسلمٍ سجنَ فيهَا بمخالفته ، وذاقَ طعمَ عذابِهَا بمعصيته ، وحبسَ بينَ أطباقِهَا بجرمهِ وجريرته . وهوَ يضجُّ إليكَ ضجيجَ مؤمّلٍ لرحمتك ، ويناديكَ بلسانِ أهلِ توحيدكَ ومعرفتك ، ويتوسّلُ إليكَ بربوبيتك ، وبمحمّدٍ وآلهِ صفوتكَ منْ برّيتك .

فكيفَ يا مولايَ يبقىٰ فِي العذابِ وهوَ يرجُو ما سلفَ منْ

---

(١) الفخاخ جمع فخ وهو : آلة يصاد بها . مجمع البحرين ٢ : ٤٣٩ فخخ .
(٢) أي معروفك وعطاءك . العين ٧ : ٣١٣ سيب .

حلمكَ وأرفتك ؟ أمْ كيفَ تؤلمهُ النارُ وهوَ يأملُ عواطفَ فضلكَ ورحمتك ؟ أمْ كيفَ يحرقهُ لهبها وأنتَ تسمعُ صوتهُ وترىٰ شديدَ نكالهُ ؟ أمْ كيفَ يشتملُ عليهِ زفيرها وأنتَ ترىٰ ضعفهُ وسوءَ حاله ؟

هيهاتَ ما ذلكَ الظنُّ بك ، ولا المعروفُ منْ فضلكَ وامتنانك ، ولا مشبهٌ لما عاملتَ بهِ الموحّدينَ منْ برِّكَ وإحسانك .

فباليقينِ أقطعُ لولا ما حكمتَ بهِ منْ تعذيبِ جاحديك ، وقضيتَ بهِ منْ إخلادِ معانديك . لجعلتَ النارَ كلّها برداً وسلاماً ، وما كانتْ لأحدٍ فيها مقرّاً ولا مقاماً ، لكنّكَ تقدّستْ أسماؤكَ ، وجلَّ ثناؤك . أقسمتَ أنْ تملأها منَ الكافرين ، منَ الجنّةِ والناسِ أجمعين .

يا نفسُ :

فكوني بهذهِ المناقشةِ والمحاسبةِ راضية ، ولهذهِ النصيحةِ والموعظةِ واعية . ولا تنسِي ما ذكّرت ، ولا تأمنِي ما حذّرت [1] .

فإنْ قادكِ الهوىٰ والصبوة ، وغلبتكِ[2] عنْ قبولِ ذلكَ القسوة . فاستعيني علىٰ زوالِ ذلكَ بدوامِ التهجدِ والقيام ، فإنْ لمْ يزلْ فبالمواظبةِ علىٰ الصيام ، فإنْ لمْ يزلْ فبصلةِ الأرحامِ والتلطّفِ بالأيتام . فإنْ لمْ يزلْ فانظري هلْ تسمحُ عينكِ منَ الدمعِ بقطرة ؟ أوْ هلْ يأخذكِ علىٰ مصيبتكِ حزنٌ وحسرَة ؟ .

---

(١) في (ب) : (ولا تنسي ما ذكرتك ولا تأمني ما حذرتك) .

(٢) في (ج) و (د) : (وغيبتك) .

فإنْ سمحتْ عينُكِ بالبكاء ، فقدْ بقي فيكِ موضعٌ للرجاء ، فاطلبي منَ اللّهِ التوفيقَ والإعانَة ، وادمني الإستغفارَ وطولَ الإستكانة . لعلّهُ أنْ يرحمَ ضعفك ، ويجبرَ معصيتك[1] ، ويعزّ ذُلّك ، ويقبل توبتك . فلا ملجأ إلاّ إليه ، ولا متّكلَ إلاّ عليه . فإنّهُ يفكُّ الأسير ، ويقبلُ اليسير ، ويعفُو عنِ الكثير . لا يخيّبُ منْ أمّلَهُ ورجاه ، ويجيبُ المضطرَّ إذا دعاه .

فاطلبِي منَ الذِي عندهُ مفاتحُ الغيب ، أنْ يغفرَ لكِ قبائحَ العيب .

وَلْيكنْ مقامُكِ مقامَ البائسِ الفقير ، وسؤالكِ سؤال المسكينِ الحقير . وادعيهِ[2] دعاءَ الهالكِ الغريق ، فهو أرأفُ مِنْ كلِّ شفيق . والمسؤولُ جوادٌ والمطلوبُ منه كريم ، ورحمتهُ واسعةٌ وعفوهُ عظيم ، وهوَ القائلُ : ﴿**يا عِبادِيَ الّذِينَ أسْرَفُوا عَلىٰ أنْفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللّهِ إنَّ اللّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمْ**﴾[3] .

وبالجملةِ فلا تيأسِي منْ رَوْحِ اللّهِ إنّهُ لا ييأسُ منْ روْحِ اللّه إلاَّ القومُ الكافرون ، ولا تأمنِي مكرَ اللّهِ ولا يأمنُ مكرَ اللّهِ إلاَّ القومُ الخاسرون .

شعرٌ :

أخافُ وأرجُو عفوَهُ وعقابَه ... وأعلمُ حقّاً أنّهُ ملكٌ عدلُ
فإنْ يكُ عفوٌ فهو منهُ تفضّلٌ ... وإنْ يكُ تعذيبٌ فإنّي لهُ أهلُ

---

(١) في (أ) : (مصيبتك) .
(٢) في (ج) و (د) : (وادعيتك) .
(٣) الزمر ٣٩ : ٥٣ .

يـا نفـسُ :

لقـدْ بُصّرتِ إنْ أبصـرتِ ، وأُسمعتِ إن سمعتِهِ ، وهُـديتِ إن اهتـديتِ ، ووُعيتِ إن وعـيت . فـاحـفـظِي وصيَّـتِي ، وجـانـبِي معصيتِي . وأخـذِي[1] مثـالِي ، وافقهِي أمثـالِي . فيـا لهـا مـواعظَ شافية ، وأمثالاً كافية ، لوْ صادفتْ قلوباً زاكية ، وأسماعاً واعية .

ولْنَخْتِمْ هـذهِ المحاسبـةَ بهذهِ المنـاجاة ، لتكـونَ إنْ شـاءَ اللّهُ وسيلةً إلىٰ ركوبِ سفينةِ النجـاة ، والفوزَ بغـرفاتِ الجنـاتِ ، ورضَى ربِّ الأرضينَ والسماوات .

وهيَ هذهِ المناجاةُ :

إلهِي لكَ الحمدُ الّذِي لا نهايـةَ ... لـهُ ويُرىٰ كـلَّ الأحانينَ[2] بـاقيًا
وشكراً يفوتُ العدَّ والرملَ والحصٰا ... ونجمَ السمٰـا والقطرَ ثمَّ الأواديٰـا
علىٰ أنْ رزقتَ العبدَ منكَ هدايةً ... أباحتهُ[3] تخليصاً منَ الكفرِ واقيًا
فـأنتَ الـذِي أطعمتنِي وسقيتنِي ... ولولاكَ كنتُ الدهرَ غرثانَ ظامیًـا
وأنتَ الذي آمنتَ خوفي بحكمةٍ ... أيـارجُهٰا[4] تلقـاهُ للنصرِ شـافيًـا
وأنتَ الـذِي اعـززتنِي بعـدَ ذلّـةٍ ... وصيّـرتنِي بعـدَ الإذالـةِ عـاليًـا
وأنتَ الـذِي أغنيتنِي بعدَ فـاقتِي ... فأصبحتُ من جدوى جدائكَ ثاريا

---

(١) في (أ) : (واحذري) .
(٢) في هـامش (م) : (الاحانين : جمـع حين ، والأوادي جمع : البحـر ، وقولـه إبـاحتـه أي : هيأت له ، قاله الكفعمي عفا الله عنه) .
(٣) في (أ) : (أتاحته) .
(٤) في هامش (م) : (الايارج : دواء كثير المنافع يستعمله الأطباء وهنا استعارة) .

وأنتَ الذِي فِي يومِ كربِي أغثتنِي ... وقدْ كنتُ مكثوراً[1] وللنصرِ ساليًا
وأنتَ الّذِي لمّا دعوتُكَ مخلصاً ... بلا مريةٍ حقّاً أجبتَ دعائيا
وأنتَ الّذِي أوليتنِي منكَ عصمةً ... رأيتُ بها طرفَ المكاره خاسيًا[2]
وفِي أحسنِ التقويمِ ربِّي خلقتنِي ... وسيّرتَ لي فِي الخافقيْن[3] مساعيًا
وكمْ لكَ يا ربَّ الأنامِ مواهباً ... وكمْ منن تحكِي الرياحَ السوافيا[4]
ومِنْ بعدِ هذا عنْ صراطِكَ سيّدِي ... تنكّبتُ إذْ ألفىٰ لأمركَ عاصيًا
فكمْ زلّةٍ أثبتُّها فِي صحائفِي ... وكنتُ بها أعلىٰ[5] المعاصِي راقيًا
وكمْ مأثمٍ حقّاً تقمّصتَ[6] قمصَهُ ... وكمْ منْ يدٍ حسنا جعلتُ مساويًا
وكمْ صهوةٍ[7] فِي منكرٍ امتطيتُها ... وكنتُ بميدانِ الهوىٰ متماديًا
وكمْ منْ عهودٍ حنثتُها متعمّداً ... وصرتُ بها عنْ قربِ عفوكَ قاصيًا
وكمْ لذّةٍ من بعدِها النارُ لمْ أخفْ ... عواقبَها بلْ كنتُ فيها مواليًا
وكم من هوىً تابعتُهُ فأضلّنِي ... فأصبحتُ منْ أثوابِ سخطكَ كاسيًا
وكمْ واجبٍ ضيّعتُهُ يومَ شقوتِي ... وعزمِي أضحىٰ فِي المعازفِ[8] ماضيًا
فيا نفسُ هلّا اعتبرتِ بمنْ مضىٰ ... ودورهمْ للموتِ أمستْ خواليًا

---

(١) في هامش (م) : (المكثور الذي كثر عليه العدوّ وفقد النصر) .
(٢) أي : بعيداً وصاغراً . مجمع البحرين ١ : ١٢١ خسا .
(٣) كذا في (م) وفي (أ) : (وصيرت في الخافقين) .
(٤) أي : الرياح المسرعة التي تسفي التراب وتذروه . مجمع البحرين ١ : ٢٣٠ سفا .
(٥) في (م) : (اوج) وفي هامشها : (الأوج ضد الهبوط ، وهو من الاصطلاحات وأهمله الجوهري) .
(٦) في هامش (م) : (قوله تقمصت أي : استوليت عليه واستبددته ، ومنه قول علي (عليه السلام) : ولقد تقمصها فلان وفلان قاله الكفعمي) .
(٧) في هامش (م) : (قوله وكم صهوة : مقعد الفارس ، والامتطاء : الركوب) .
(٨) في هامش (م) : (قوله في المعازف ، المعازف : الملاهي ، وعزفت : لهوت) .

فهمْ ببطونِ الأرضِ أضحَوْا رهائناً ... محاسنهُمْ فيها [1] يُرينَ بواليا
كمِ اخترمتْ[2] أيدِي المنونُ منَ الورىٰ ... قروناً فأمسَوْا فِي القبورِ جواثيا
وكمْ من مليكٍ قدْ تمكّنَ ملكُهُ ... سقاه الردىٰ كأساً منَ الموتِ ظاميا
فمامنعتْ عنهُ الصياصِي[3] الّتي بنىٰ ... ولا كانَ بالأموالِ للنفسِ قاديا
ولمْ يغنِ عنهُ جمعُهُ وجنودُهُ ... وأصبحَ منهُ ناظرُ العينِ خاسيا
فكمْ ترحٍ مستبشرٍ بوفاته ... وكمْ ترحٍ أضحىٰ لذلكَ[4] باكيا
فيا نفسُ جدّي فِي البكاءِ واندبِي ... زماناً بهِ قدْ كانَ شرُّكِ ساميا
ويا نفسُ ماذا تصنعين بحقٍّ منْ ... لهُ الحقُّ فِي يومٍ يريدُ التقاضيا[5]
ويا نفسُ توبِي عنْ هواكِ واقصرِي ... وسحِّي[6] دموعاً بلْ دماءً[7] جواريا
ويا نفسُ ولّىٰ العمرُ والشيبُ قدْ أتىٰ ... نذيراً بقربِ الموتِ لا شكَّ ناعيا
ويا نفسُ قومِي فِي الظلامِ بذلّةٍ ... ورقّةِ قلبٍ يجعلُ الصخرَ جاريا
وقولي: إلهِي أنتَ أكرمُ مَنْ عفا ... وأجدرُ منْ يولّي الجدىٰ[8] والأياديا
إلهِي إلهِي دقَّ عظمِي وانمحىٰ[9] ... منَ العالمِ الأرضيِّ ذكرِي وشانيا
إلهِي إلهِي اقحمتنِي مآثمِي[10] ... تعمّدتُها تحكِي البحورَ الطواميا[11]

---

(١) في (أ) : (منها) .
(٢) في هامش (م) : (قوله اخترمت أي : استأصلت ، واخترمت الدهور : استأصلت) .
(٣) هي : الحصون والقلاع التي يمانعون بها . مجمع البحرين ٤ : ١٧٤ صيص .
(٤) في (أ) : (أضحى منه كذلك) .
(٥) كذا في (م) وفي (أ) : (التقاصيا) .
(٦) أي : سيلي . مجمع البحرين ٢ : ٣٧٠ سحح .
(٧) في (أ) : (بالدماء) .
(٨) وهو : السائل والطالب . مجمع البحرين ١ : ٨٢ جدا .
(٩) في (أ) : (وانتحى) .
(١٠) في (م) : (مآثم) .
(١١) قال ابن منظور في اللسان ١٢ : ٣٧٠ طمم : (طمّ الماء يطمّ طمّا وطموما : علا وغمر) .

إلهِي أمنْ أهـلِ الشقاءِ خلقتنِي ... فـأُبديَ أشجـاناً تـطيـلُ بكـائيـا
إلهي أهلْ فِي الفائـزينَ جعلتنِي ... فـأفرحُ فِي دارِ المقـامِ رجـائيـا
إلهِي بِبابِ العفوِ أصبحتُ سائلاً ... ذليـلاً أُرجِّي أنْ تجيبَ دعـائيـا
إلهِي لئنْ اقعدتُ عنْ سبقِ طائعٍ ... فتـوحيـدُ ربِّي قـدْ أقـام قـواميـا
إلهِي لسانٌ فِي ثنائـكَ[1] مدأبٌ ... فكيفَ يُرى فِي الحشرِ للنارِ صاليًا
إلهِي لئنْ أخـطأتُ كـلَّ طـريقـةٍ ... فـإنِّي أصبتُ الخوفَ منـكَ إلهيًا
إلهِي إذا لمْ تعفُ إلّا عنِ امرىءٍ ... أطـاعَ فمنْ للّذِي[2] جاء خـاطيًا
إلهِي لئنْ عـذّبتنِي فـبمـأثـمِي ... وإنْ جدتَ لِي فالفضلُ ألقاهُ فاشيًا
إلهِي إذا ذنبِي أبـاحَ عقـوبتِـي ... أرانِي ارتجائي حسنَ صفحكَ دانيًا
إلهِي فـاجعلنِي مـطيعـاً أجـرتَـهُ ... وإنْ لمْ يكنْ فارحم لمن جاء عاصيًا
إلهِي أمرتَ الضيفَ يقرِي[3] ضيفَهُ ... فكنْ لِي بعفوٍ منكَ يا ربَّ قاريًا
نـزلتُ بِبابِ العفـوِ أرجُو إجـارةً ... فعربُ الفلا ناوىٰ النزيل الأمانيًا
وحـاشـاكَ يـا ربَّ البـريـةِ كلِّهـا ... تـردُّ عُبَيْـداً مستجيـراً مـواليـا
وحاشاكَ فِي يومِ القيامةِ أنْ أُرى ... وحظِّي منْ نيلِ المراحمِ خاليًا
وحاشاكَ فِي يومِ التغابنِ أنْ يُرىٰ ... بيَ الغبنُ أو أضحىٰ منَ العفوِ عاريًا
وإنَّ يقينِي فيـكَ إنّـكَ منقـذِي ... منَ النارِ فِي يومِ تشيبُ النواصيا
وكيفَ أذوقُ النارَ يا خالقَ الورىٰ ... وذلِّي قـدْ أمسىٰ بعـزِّكَ لاجيًـا
وكيفَ أذوقُ النارَ يا رافـعَ السمٰا ... وطرفِي قدْ أضحىٰ ببابكَ باكيًا[4]

---

(١) في (أ) : (ثناياك) .
(٢) في (أ) : (فمن ذا الّذي) .
(٣) أي : يضيّف ويحسن إليه ، مجمع البحرين ١ : ٣٤٠ قرا .
(٤) في (أ) : (باقيا) .

سليل الجُباعي جاءَ نحوكَ تائباً ... ذليلاً يُرىٰ في حندسِ اللّيلِ[1] داعيا
سليلُ الجُباعِي يشتكِي منْ جرائمٍ ... صغائرُهاتحكِي الجبالَ الرواسيا[2]
جرائمُ لو يُبلىٰ اللِّكامُ[3] بحملِهٰا ... لذلَّ وأضحىٰ بالثبورِ منادِيا
بعثتُ الأمانِي نحوَ جودكَ سيِّدِي ... فردَّ الأماني العاطلاتِ حواليا
وارسلتُ آمالِي خماصاً عواريٰا ... بحقِّكَ فارجعهٰا بطاناً كواسيا
أقلنِي أجرنِي أجزنِي يا مؤمِّلِي ... مكارمَكَ العظمىٰ فقدْ جئتُ راجيٰا
وصلِّ علىٰ خيرِ[4] النبيِّ وآلِهِ ... وعترتِهِ ما أصبحَ الدهرُ باقيا

---

(١) أي : في شدّة ظلام الليل . مجمع البحرين ٤ : ٦١ حندس .
(٢) أي : الجبال الثابتة . مجمع البحرين ١ : ١٨٣ رسا .
(٣) في هامش (م) : (جبل اللكام هو : جبل الفرح الذي بين مكة والمدينة يمضي إلى الشام حتى يتصل بلبنان ثم يتصل بجبال أنطاكية ويسمى هناك اللكام ، قاله القزويني في عجائبه) .
(٤) في (م) : (على المولى) .